

تأليـف

الليفتنانت كولونيل لويس بلي

ترجمها وحققها وقدم لها

دكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ

دكتور عويضة بن متيريك حامد الجهني

جامعة الملك سعود

عمادة شؤون المكتبات



رحلة إلى الرياض

تأليف

الليفتنانت كولونيل لويس بلي

ترجمها وحققها وقدم لها

الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ الدكتور عويضة بن متيريك حامد الجهني

قسم التاريخ ـ كلية الآداب

جامعة الملك سعود





عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الملك سعود

ص. ب ٢٢٤٨٠ ـ الرياض ١١٤٩٥ ـ المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى: ١٤١١هـ (١٩٩١م).

٩١٥٫٣٨
ب ل ر بلـــي، لويـــس
رحلة إلى الرياض، تأليـــف.
لويس بلي؛ ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ،
عويضة متيريك حامد الجهني،

١. الرياض ـ وصف ورحلات
٢. السعودية ـ وصف ورحلات ٣. الرحلات والأسفار.
أ. الشيخ عبدالله عبدالرحمن ب. الجهني، عويضة متيريك حامد جـ. العنوان

مطابع جامعة الملك سعود ١٤١١هـ

مقدمة الترجمة

يرى بدول Bidwell — ونرى معه — أنّ لرحلة بلي للرياض «أهميةً غير عاديّةٍ، ليس فقط لأنها عملٌ بطولي فذ، وإنَّما أيضًا للظروف والخلفيات السياسيّة التي تمَّت خلالها،» ويزيد من أهميّة هذا الرَّأي أنّ بدول، هو أحد الباحثين الاختصاصيين في بحوث ودراسات الشرق الأوسط بمركز دراسات الشرق الأوسط، بجامعة كمبردج.

وقد وُلد بلي سنة ١٨٢٥م (١٢٤١هـ) وبعد أن أتمَّ تعليمه، التحق بالقوات المسلحة لحكومة الهند في بمباي وأدّى الخدمة العسكرية من خلال اشتراكه في الحرب الفارسيّة سنة ١٨٥٧م، وكُلِّف بكثير من المهام السياسيّة، إذ عمل سكرتيراً في المفوضيّة البريطانيّة في طهران. وعندما انتهى عمله فيها عاد للهند عن طريق هيرات وقندهار (في أفغانستان الحالية). وكان أول إنجليزي يُرى في هذه المناطق منذ الحرب الأفغانية (١٨٣٨ - ١٨٤٢م). وبعد أن قضى فترة قصيرة كمقيم سياسي في زنجبار، أُرسل إلى الخليج ليكونَ مُقيمًا بريطانيًا في بُوشهر، وظلّ في منصبه هذا حتى سنة ١٨٧٣م، وفي سنة ١٨٨٣م دعاه العاهل البلجيكي ليوبولد، ليكون مديرًا للكنغو، لكن بلي فضَّل أن يكون عضوًا في البرلمان البريطاني، وأخيرًا وافته منيته في سنة ١٨٩٥م.[1]

ويهمنّا في هذا المجال، أن نوضح طبيعة منصبه الرسمي، وحدود اتصالاته الرسميّة من خلال وضع المقيميَّة البريطانية في بوشهر، في الفترة التي قام فيها برحلته

R. L. Bidwell, Lewis Pelly (1825-1895). in: Pelly Report, p. VI. (١)

للرياض، وأن نعرِض بشكلٍ موجز وواضح لتاريخ مقيميّة بوشهر[٢] هذه.

هذه المقيميّة كانت في الأصل وكالة فرعيَّة، تأسست سنة ١٧٦٣م، كوكالةٍ تابعةٍ لوكالة البصرة، واستمرَّت كذلك حتى فبراير سنة ١٧٦٩م، إذ انسحب المقيم البريطاني لتدهور العلاقات البريطانية الفارسية، ورغم المحاولات البريطانية لإعادة تأسيس الوكالة إلا أنها لم تنجح في ذلك إلا سنة ١٧٧٥م، وكانت وكالة بوشهر في هذه المرحلة (التأسيس الثاني) تابعة لوكالة البصرة أيضًا.

وفي ١٧٧٨م استقلَّت وكالة بوشهر عن وكالة البصرة، وصارت — أي وكالة بوشهر ــ هي المحطة الرئيسة لتجارة شركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج. لقد كان دور الوكالة — إذن — في هذه المرحلة تجاريًّا في الأساس يتدهور مكانها بتدهور التجارة البريطانيّة، وينشطُ بنشاطها.

وفي أواخر القرن الثامن عشر نشطت وكالة بوشهر، واتخذ نشاطها طابعًا سياسيًّا، وكان محور نشاطها في هذه الفترة هو وضع الخطط والتدابير لحماية الطرق إلى الهند من تهديدات نابليون وخططه.

وفي سنة ١٨٢٢م تغيَّر مسمى الوكالة، وتغيَّر المسمى الوظيفي لشاغلها، إذ أصبحت الوكالة، مقيمية، وأصبح الوكيل Factor مقيمًا Resident ومنذ هذا التاريخ أصبح للمقيميّة (الوكالة سابقا) طابع سياسي واضح، ومهام سياسيّة جليَّة، وتأكيدًا لهذا التطور الجديد، منعت حكومة الهند المقيم من ممارسة التجارة باسمه أو لحساب جهات أخرى.

---

(٢) اعتمدنا اعتمادا كاملاً في هذا العرض عن تاريخ مقيمية بوشهر على: إبراهيم، علاقة ساحل عمان؛ وقد توافر للباحث كثير من الوثائق الأصلية والإمكانات البحثية، كما هو واضح من كتابه مما جعلنا نعتمد عليه مطمئنين في تغطية هذه الفقرة.

وطوال القرن التاسع عشر كانت حكومة بمباي لأسباب تنظيميّة وجغرافيّة هي المسؤولة مباشرةً وكلّيةً عن مقيميّة بوشهر.

لقد تمّت رحلة بلي، المقيم البريطاني في مقيمية بوشهر — إذن — في فترة كانت هذه المقيمية ذات مركز مهم في تسيير سياسة المنطقة، وذات اتصالات نافذة بحكومة الهند البريطانية، وبالحكومة البريطانية تبعًا لذلك، ممّا يُضفي أهمية على هذه الرحلة.

ويزيدُ من أهمية الرحلة، أنّها تمّت في ظلّ ظروفٍ دولية بالغة الدقّة والحساسية. ويُجمل الباحث بِدْول، هذه الظروف والملابسات بما ننقله ملخصًا على النحو التّالي:

تمّت الرحلة، والصراع البريطاني الرُّوسي على أشدّه للسيطرة على أواسط آسيا. وكان عام ١٨٦٠م هو ذروة طموح نابليون الثالث الذي راح يترسّم خُطى بونابرت، فلم يكن نابليون الثالث لينسى أن بونابرت قد تحدث عن إمبراطورية عربية تابعة لفرنسا، تضم مصر وشبه جزيرة العرب، وجانبا من أفريقيا. ومنذ سنة ١٨٥٤م عمل نابليون الثالث على كسب ولاء المسيحيين اللاتين في الشرق. وفي سنة ١٨٦٠م أعلن نفسه — أي نابليون — إمبراطورًا على الفرنسيين والعرب التابعين له جميعًا (يقصد عرب الجزائر). وفي العام نفسه نزلت القوات الفرنسية للساحل اللبناني لدعم وتأييد المَوارِنة في نزاعهم مع الدروز، الذين يمّموا وجوههم بدورهم صوب بريطانيا، وفي الوقت نفسه ازداد النفوذ الفرنسي في مصر بعد إشراف فرديناد دلسبس — ابن عم زوجة نابليون الثالث — على حفر قناة السويس. وبدأت الأصابع الفرنسية تبحث لها عن أتباع داخل شبه الجزيرة العربية نفسها. ففي سنة ١٨٦٢م أرسل نابليون الثالث تابعه القس اليسوعي وليم بالجريف Palgrave في مهمة غير واضحة إلى مصر حيث أجرى هناك مباحثات سرّية، .ثم انسل ذاهبًا للرياض بعد أن تقمّص دور طبيب سوري مسيحي. وبعد ذلك بعامين أرسل نابليون الثالث مبعوثه جرماني Guarmani كمبعوث سرِّي إلى منطقة جبل شمّر والقصيم، وقضى هناك وقتًا طويلاً، وقد ذكر بلي نفسه أنَّ الفرنسيين اتصلوا بالإمام أكثر من مرة. وعرضوا عليه المساعدة، وبعد هذا العرض

يذكر الباحث بِدْول أنّه «كان من الحيوي أن يعرف الإنجليز ما يحاول الفرنسيون فعله، وهل يريدون إقامة إمبراطورية عربيّة تُديرها فرنسا في طريق الهند.»(٣)

وهناك ناحية أخرى يجب ألا نُغفلها، وهي متعلقة بمنطقة الخليج وخاصة منطقة الساحل العُماني. لقد بلغت الدولة السعودية الثانية في أواخر عهد الإمام فيصل بن تركي أقصى قوّتها ونفوذها. وبالرغم من أن نفوذ الدولة السعوديّة الثانية قد انكمش في غرب الجزيرة العربية عمّا كان عليه أيام الدولة السعودية الأولى، إلاّ أنّ نفوذها وتوسعها في شرق الجزيرة العربيّة وخاصة في منطقة الساحل العُماني قد عاد إلى سابق عهده وربّما أصبح في أواخر أيام الإمام فيصل أقوى من ذي قبل، وخاصة بعد وصول الأمير عبدالله ابن الإمام فيصل على رأس جيشه إلى منطقة البريمي، مركز قوات السعوديين في المناطق العُمانية في سنة ١٢٦٩/١٨٥٣م. وقد استطاع الأمير عبدالله أن يثبّت نفوذ الدولة السعوديّة في تلك المناطق وأن يُجبر حُكام مسقط وصحار على زيادة الأموال التي يدفعونها للدولة السعودية. وقد استطاع أيضًا نائبا الدولة السعودية الثانية في البريمي، أحمد بن محمد السديري وابنه وخليفته تُركي السديري أن يُحافظا على نفوذ الدولة قويًّا في منطقة الساحل العُماني والأحساء حتى نهاية عهد الإمام فيصل.

لقد تزامن ازدياد نفوذ الدولة السعودية هذا مع ازدياد مصالح بريطانيا ونفوذها في منطقة الخليج العربي، الذي بدأ منذ مغادرة القوات المصرية لتلك المنطقة. فاهتم البريطانيون بقوة الدولة السعودية في داخل الجزيرة وحرصوا على ألاّ يمتد نفوذها المباشر على المناطق الساحلية، وحالوا دون استيلائها على البحرين ومسقط.

وفي ظل هذه الظروف الموضوعية، وفي ظل المحاولات الفرنسية لاستقطاب بعض العناصر في الجزيرة نفسها، وفي ظل الصراع البريطاني الروسي في أواسط آسيا، خاصة وأن صوت أتباع السلفية أو الوهابية كان مسموعًا في الهند وفي هذه الأنحاء حتى

---

(٣) Bidwell, *Report*, p. VII.

هذه الفترة، في ظل مثل هذه الظروف تزداد رحلة بلي أهمية، خاصة وأنه لم يكن رحالة هاويًا، أو باحثًا عن المعلومة الجغرافية فقط، ولم يدَّعِ الرجلُ ذلك.

ومما يزيد من أهمية تقديمنا لنص عربي مُعلقٍ عليه، لرحلة بلي هذه، أنها لم تحظ بما هي جديرةٌ به من اهتمامٍ ممّن كتبوا عن تاريخ العلاقات السعودية الخارجية بشكلٍ عام.

ولعلَّ من أهم ما جعل الباحثين لا يلتفتون كثيرًا لأهمية بعثة بلي هذه إلى الرياض، كعلامة بارزة، ومرحلة حاسمة في تاريخ العلاقات السعوديّة البريطانيّة، أنَّ الإمام فيصلاً بن تركي قد توفاه الله بعد مغادرة بلي للرياض بشهور قلائل (أي في رجب عام ١٢٨٢هـ/ ديسمبر ١٨٦٥م) كما أن الفتن والفوضى ما لبثت أن استشرت في الفترة من ١٨٦٥م إلى ١٨٩١م، مما عاق الحكومة البريطانية عن تنفيذ توصيات بلي، لكنها — أي توصيات بلي — ظلّت درسًا واضح المعالم وَعَتْهُ الحكومة البريطانية، مؤدَّاه أنَّ قوى السعوديين في الداخل، هي القوى المتماسكة، الحقيقية، التي يمكنها تنفيذ ما تعد به من تحقيق الاستقرار في المنطقة، ومن هنا فإن التعامل معها، أكثر جدوىً وفائدةً من التعامل مع كيانات صغيرة هامشية. وهي السياسة التي طبقتها بريطانيا بحذافيرها عند قيام الدولة السعودية الثالثة.

والفقرات الدَّالة على مراهنة بلي على القوى السلفية في الداخل، أكثر من أن تدخل تحت حصر في نص رحلته هذه. فهو يقول: «إن الهدف الأساسي من رحلتي هو إبعاد أية مشاعر عدائية يحملها الأمير، ..... وذلك لصالح تنمية تجارة المنطقة ولأكون قد أديت عملي على نحوٍ مرضٍ يُبرِّىء ساحتي كمقيم سياسي للحكومة في هذه المناطق.» ويذكر أن «التحالف الوهابي وإن كان قد بدأ صغيرًا إلا أنّه قد نما بفضل السياسة المحنَّكة للسلطة المركزية.» ثم يقول في موضع آخر، وكأنه يلوم المسؤولين عن ذلك: «لقد انكمش التحالف السعودي(الوهابي). بعدئذٍ في الداخل بمنطقة نجد الجبلية، وقد قدَّم الأمير في أيام ضعفه عُروضًا، ليعقد مع الحكومة البريطانية معاهدةً،

لكن عروضه لم تلقَ قبولاً. ومضى الزَّمن، وخرج الباشوات المصريون من شبه الجزيرة العربية، وأصبحنا نحن أنفسنا (البريطانيين) ليس لنا وجود كقوة بحرية في الخليج، وأصبح أي جهد يمكن أن تبذله مشيخات الساحل محكومًا عليه بالفشل بسبب الحزازات والصراعات الدموية بين هذه المشيخات. . . .»

وكأنه يقول لحكومته إن القوى السعودية في الداخل هي الملاذُ الوحيد لتحقيق الاستقرار في المنطقة.

وهذا المنطلق الذي انطلق منه بلي وحثَّ حكومته على وضعه في اعتبارها يناقض تمام المناقضة سياسات وآراء من سبقوه في المقيميَّة.[٤]

أما عن النتائج العلمية للرحلة، فهي أوضح من أن يُقلِّل من أهميتها أحد، ويكفي أنه كان من نتائجها تحديد موقع مدينة الرياض بالضبط وفقًا لخطوط الطول والعرض، ولم يكن هذا معروفًا قبل ذلك.

وتشير الملاحق المدرجة في آخر الرحلة إلى الجهد الذي بذله بلي ورفاقه في تجميع العينات النباتية والجيولوجية والبيانات الإحصائية التقريبية، بالإضافة لملاحظاتهم الأنثروبولوجية، ورغم أنَّ باحثين أفاضل قد سبقوا بالتعريف بهذا، إلا أن تعريفاتهم رغم أهميتها وفضل السبق لها،[٥] لا تُغني عن تقديم النصِّ الكامل للرحلة وملاحقها.

وقد أشار بلي إلى بعض العقائد غير الإسلامية في شبه الجزيرة العربية وذكر أن جماعات في قلب الجزيرة لم تعرف الإسلام إلا على يد السلفيين (الوهابيين) وهذا لم يثبت

(٤) راجع نماذج من سياسات هؤلاء الوكلاء والمقيمين في بوشهر قبل بلي في: إبراهيم، علاقة *ساحل عمان*، صفحات متفرقة؛ أبو علية، *الدولة السعودية الثانية*، صفحات متفرقة.

(٥) من هؤلاء: أبو علية، *الدولة السعودية الثانية*؛ أنظر أيضا: «نظرة».

إلى الآن. وإذا ثبت هذا فإنَّ الحركة السلفيّة لم تكن حركة تنقية للعقيدة الإسلامية فحسب، وإنما كانت أيضًا حركة نشر وتثبيت لها في بعض مناطق الجزيرة العربية، وبلي بوصفه هذا يضيف لتاريخ الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية بُعدًا جديدًا غير واضح المعالم.

ولقد تضمَّن هذا التقرير بعض الآراء والانطباعات الشخصية للمؤلف تجاه الدعوة الإصلاحية والدولة السعوديّة وبعض المسؤولين فيها، وعلاقاتها بالمناطق التابعة لها. ويظهر جليًّا أن لخلفيَّة المؤلف الدينية والحضارية والاستعمارية، وتأثُّره بما كان يُشاع ضد الدعوة الإصلاحية والدولة السعودية في مناطق الخليج وبعض المناطق الإسلامية الأخرى، وبالإضافة إلى التناقضات الدينية والسياسية بين الدولة السعودية والحكومة البريطانية في الهند والمنافسة بينهما على منطقة الخليج — كل هذه العوامل كان لها دورٌ كبيرٌ في تشكيل تلك الآراء غير المعتدلة. لذا فإنه ينبغي أخذ هذه العوامل بعين الاعتبار فيما يتعلق بآراء المؤلف الدينية والسياسية الواردة في هذا التقرير.

فمثلاً وقع بلي في بعض من التحليلات الخاطئة، لكن التطورات التي حدثت بعد تمام رحلته وحتى أيامنا هذه (١٩٨٧م) أثبتت بما لا يدعُ مجالاً للشكِّ خطأ هذه التحليلات وبُعدها عن الصواب. لقد كان التاريخ والواقع هما خيرُ ردٍّ على بلي. ومن ذلك أنه توقع ألا يكون للسلفية وجود في مجتمع الثراء والنعمة، وأن السلفية (الوهابية) هي قرينة الفقر والقحط. وليس ثمة ردٌّ على هذا سوى القول بأن الرخاء قد عمَّ شبه الجزيرة العربية منذ قيام الدولة السعودية الثالثة، وكانت السلفية ومازالت هي أحد أسس قيام الدولة. وقد أشار بلي إلى أن المجتمعات الساحلية التي ألِفت العيش في ظل التجارة والاتصال بالعالم الخارجي لن تقبل السلفية، والواقع أيضًا هو خيرُ ردٍّ على ذلك، ويبدو أن السلفية قد ارتبطت في عقل بلي وغيره — فقط — بتحريم ارتداء الحرير للرجال، ومنع التدخين بأنواعه، وواقع الأمر أن السلفية في صميمها تعني تنقية عقيدة التوحيد من المظاهر الشركية — لذا فهي غير مرتبطة بفقرٍ أو غنى. بل أنَّ السلفية تنتشر لا في شبه الجزيرة العربية فحسب، وإنما في العالم الإسلامي كله، كما

أشرنا في تعليقاتنا في حواشي هذا الكتاب، فهي مرتبطة بانتشار الثقافة والتعليم. وكما سبق القول فإن هذه الأفكار الخاطئة لا تستحق عناء الرّد لسبب بسيط وهو أن الواقع المعاش الآن يدحضها.

إن القارىء لهذه الترجمة العربية لرحلة الكولونيل بلي إلى الرياض، ربما يواجه بعض الغموض في المعنى في قليل من المواضع، أو عدم اتساق اللغة العربية في مواضع أخرى. وقد حاولنا جهدنا لتلافي هاتين الناحيتين، إلا أننا لا ندعي الكمال. إن ترجمة هذا النص لم تكن أمرًا سهلاً. فهو تقرير سياسيّ يتسم بقدر كبير من الإيجاز، حيث صب المؤلف قدرًا كبيرًا من المعلومات والأفكار في جمل موجزة معقدة التركيب، كذلك كان طبيعيًّا أن يستخدم المؤلف تعابير ومفردات عصره (القرن التاسع عشر) التي لم يعد كثير منها يستخدم الآن.

هذا بالإضافة إلى أن المؤلف قد خاض في مجالات كثيرة شملت الموضوعات التّاريخيّة والدينيّة والسياسيّة والأنثروبولوجية والجغرافية والجيولوجية والنباتية وسلالات الخيل وغيرها. وقد ملأ المؤلف تقريره بكثير من أسماء الأعلام وخاصة أسماء الأمكنة التي جاء أكثرها مشوّهًا بسبب عدم معرفته باللغة العربية. ولذلك كنّا نلجأ في أكثر الأحيان إلى إثبات اسم العلم أو الكلمة أو التعبير بالحروف اللاتينية كما رسمها المؤلف إلى جانب ترجمتنا لها. ولهذا أيضًا، امتلأت هذه الترجمة بالحواشي التي حاولنا من خلالها تصحيح المفاهيم الخاطئة وتوضيح المعاني الغامضة، وتحقيق الأماكن والمواقع الكثيرة الواردة في النص.

ومع الاعتراف بأن غزارة المعلومات وتنوعها في هذا التقرير كانت من أقوى الدوافع لترجمته إلا أنها في الوقت ذاته، كانت من أسباب صعوبة نقله إلى العربية. وإذا كانت ترجمتنا هذه قد اتسمت بالحرفية في بعض المواضع، فهذا يعود إلى محاولتنا تحري الدقة في نقل المعلومات والأفكار التي وردت في هذا التقرير. فهذا النص في الحقيقة، تقرير سياسيّ أكثر منه وصف لرحلة من النوع الذي كان يكتبه الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر.

وطبعة رحلة بلي التي اعتمدنا عليها في هذه الترجمة العربية، تحمل عنوانين، أحدهما على الغلاف الخارجي، والآخر على صفحة العنوان. أما صفحة الغلاف فتلك بياناتها البيليوجرافية: Pelly, Lewis: Report on a Journey to Riyadh.

أما صفحة العنوان فتحمل البيانات التالية: Pelly, Lewis: Report on a Journey to Riyadh in Central Arabia (1865), with a new introduction by R.L.Bidwell.

وبعد صفحة العنوان الأولى مباشرة، تَرد المقدمة التي كتبها بِدْوِل، ثم ترد صفحة عنوان أخرى تحمل البيانات التالية: Pelly, Lewis (Lieu. Col.) H.M.'s political Resident in the Persian Gulf: Report on a journey to the Wahabee capital of Riyadh in central Arabia. Bombay, printed for Government at the Education Society's Press, 1866.

وبذلك يكون الناشر قد أعطى لهذه الرحلة ثلاثة عناوين:

ا) تقرير عن رحلةٍ للرياض (الغلاف).

ب) تقرير عن رحلةٍ للرياض في وسط شبه الجزيرة العربية (صفحة العنوان الثانية).

جـ) تقرير عن رحلةٍ إلى الرياض، عاصمة الوهابيِّين، في وسط شبه الجزيرة العربية.

وعلى هذا العنوان الأخير عوَّلنا، لأنه من الواضح أنه العنوان الأصلي للتقرير، بالإضافة إلى أن الصفحة التي تحمل هذا العنوان، قد كُتب عليها تاريخ النشر (١٨٦٦م). ومن الواضح أن النسخة التي بين أيدينا ما هي إلا إعادة طبع للنسخة الأصلية. ولما كان مصطلح (الوهابيين) غير دقيق تاريخيًا، كما أنه مصطلح يكرهه أصحاب الدعوة الإصلاحية، ولم يطلقوه على أنفسهم، وإنما ورد للمرة الأولى في

كتابات وعلى ألسن أعداء الدعوة، لذلك فقد وجد المترجمان أن يتصرفا قليلاً في عنوان الـرحلة فيستعيضـان عن الـوهابيين بالسعوديين، لأن التطورات التاريخية ثبّتت هذا المصطلح الأخير بقيام الدولة السعودية الأولى ثم الثانية ثم الثالثة.

ولاشك أن تشجيع مركز البحوث بكلية الآداب على ترجمة هذه الأعمال المفيدة، بالإضافة إلى التيسيرات المعيّنة التي قدّمها الأخ الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي، مدير المركز — كلٌّ ذلك كان حافزًا لنا لمواصلة الجهد وإتمام هذا العمل.

وعلى الله قصد السبيل

المترجمان

المحتويات

مذكرة رقم ٥٧، لسنة ١٨٦٦

القسم السياسي

من: الليفتنانت كولونيل لويس بلي[١].
المقيم السياسي لحكومة صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا[٢]، الخليج الفارسي[٣].

إلى: س. جوني، المحترم، وزير الدولة، بمباي.
المقيميّة البريطانيّة، بوشهر[٤]، في ١٥ مايو سنة ١٨٦٦.

سيِّدي:

يعتريني أسفٌ شديدٌ، لما حدث من تأخير، في تقديم تقرير عن زيارتي للرياض — عاصمة السعوديين (الوهابيين) —[٥] والتي قُمت بها في ربيع العام الماضي؛ ذلك أنّه بعد عودتي من وسط الجزيرة العربية، بثلاثة أيام أو أربعة، وجّهني

(١) للإلمام بفكرة عنه، راجع مقدمة الترجمة.

(٢) هي الملكة فكتوريا (١٨٣٧-١٩٠١م).

(٣) حتى سنة ١٨٢١م كانت الوثائق البريطانية تشير إلى الخليج باسم الخليج العربي Arabian Gulf انظر أمثلة على الوثائق التي تؤكد ذلك في: إبراهيم؛ *علاقة ساحل عمان*، ص١٥.

(٤) عن تطور وضع مقيمية بوشهر وتاريخها، راجع مقدمة الترجمة.

(٥) يستخدم المؤلف عبارات (الوهابيون، والحكومة الوهابية، والعاصمة الوهابية، والساحل الوهابي) للدلالة على الدولة السعودية الثانية وأتباعها والمناطق التابعة لها. وقد أطلق أعداء الدعوة الإصلاحية السلفية والدولة السعودية التي قامت على أساسها هذه التسمية «الوهابيون =

صاحب السعادة في المجلس(٦) للسفر إلى مسقط للنظر في مساعدة سلطان تلك المنطقة، فيما يواجه من متاعب مع السلطات السعودية (الوهابية) ومن مسقط توجّهت إلى بمباي، ومنها إلى إنجلترا. وفي يوم عودتي من إنجلترا، شرفتني الحكومة، مرة أخرى، بإرسالي إلى مسقط من أجل مساعدة السلطان الذي كانت حكومته في ذلك الوقت، عُرضة لخطر وشيك ممثل في أن يقذف السعوديون (الوهابيون) بها في البحر. ومنذ هذا التاريخ، حتى أيّام قليلة خلت، كنت إما في إبحار غير منقطع أو منشغلاً في أمور الساحل العربي. ولم يكن يساعدني إلا موظف واحد، اعتراه المرض مثل بقية الموظفين الذين أرأسهم. وكما تعرف الحكومة، فقد غدوت في خاتمة المطاف، عاجزا حتى عن ملاحقة مراسلاتي الجارية.

٢. وأكثر من هذا، فإن الأهداف التي وضعتها في اعتباري عند زيارتي لعاصمة السعوديين (الوهابيين)، لم يكن من بينها — منذ البداية — كتابة تقرير مفصل، وإنما كانت هذه الأهداف، كما يلي:

الهدف الأول، والأساسي، يتمثل في إبعاد أيَّة مشاعر عدائيّة يحملها الأمير — والتي ترسبت في عقل سموه — إزاء إجراءاتنا ضد الرق في الساحل الشرقي لأفريقيا(٧)، وهجماتنا على الساحل البحري(٨)، وبذل قصارى جهدي لاستبدال هذه

= والوهابية» على أهل تلك الدعوة لوصفهم بأنهم أهل مذهب جديد. أما أهل الدعوة فكانوا يرفضون تلك التسمية ويفضلون أن يُعْرفوا بالموحِّدين أو السَّلفيين. وقد استخدمنا هنا كلمتي (السعوديين) (والسّلفية) بدلا من (الوهابيين) (والوهابية) — حسب السياق — مع الإبقاء على الألفاظ الأصلية بين قوسين.

(٦) المقصود مجلس المدراء. عن تنظيم الشركة، وفكرة عن مجالسها وإداراتها انظر: إبراهيم، *علاقة ساحل عمان*، ص ص٢٠٣-٢٠٦، وانظر أيضا مقدمة هذه الترجمة.

(٧) رغم هذه الدعاوى العريضة إلا أن التطورات التاريخية في شرق أفريقيا حتى بعد انفصالها نهائيا عن عمان سنة ١٨٦١م تثبت أن تجارة الرقيق لم تتوقف، إذ ظل الرقيق يصدر بالآلاف. فقد أسهم الهنود والقوى الأوروبية المختلفة بنصيب الأسد في هذه التجارة.

(٨) المقصود هنا ساحل الخليج العربي.

المشاعر العدائية بعلاقات الصداقة، عن طريق اللقاءات الشخصيَّة، فعلاقات الصداقة تبدو من الأمور المستطابة لإحلال السَّلام العام في الخليج الفَارسيّ — لصالح تنمية تجارة المنطقة، ولأكون قد أديتُ عملي على نحوٍ مُرضٍ كمُقيم (مُعتمد) سياسي للحكومة في هذه المناطق.

٣. وإني لمعترف بأنَّ الاعتبارين التاليين، قد أسهما — وإن كانا يأتيان في المقام الثاني — في حثّي على القيام برحلتي في المناطق التي يحكمها السعوديون (الوهّابيون):

أولهما — أنّ الجمعيّة الجغرافيّة الملكيّة في لَندن، قد جزمت بأن أيَّ أوروبي لا يمكنه أن يصل إلى عاصمة نجد، دون احتمال فقدان حياته، وقد اطّلعتَ على هذا التقرير كنوع من التحدي، وجدت رغبة في قبوله، بسبب قناعتي أن المسؤول الإنجليزي — بما يتحلى به من حذر وخبرة — يستطيع الذهاب إلى أي مكان في آسيا، إذا ما تطلَّب واجبه في خدمة حكومة الهند، ذلك.

ثانيهما — لقد فهمتُ مقالة رئيس الجمعيّة الجغرافيّة، والتي مؤداها أننا نحن المحدثين، نعلم عن جغرافية وسط شبه الجزيرة العربية، أقل مما كان يعرفه القدماء على أيام بطليموس.[٩] ولهذا، فقد بدا لي أنه من المطلوب غاية الطلب أن نبدأ في تحديد خطوط العرض والطول للمراكز الرئيسة في هذه المنطقة في أقرب فرصة ممكنة —، وأن نجمع في الوقت نفسه — أثناء الطريق — عيِّنات طبيعية، كلما أمكننا ذلك.

٤: ولقد وُفِّقتُ في تحقيق هذه الأهداف الثلاثة، وآتى عملي في هذه المجالات أُكُله، لأن أي تقرير عن الموضوع يجب أن يشرح بالتفصيل الطريقة المستخدمة

(٩) بطليموس، عالم فلك وجغرافيا. سطع نجمة في الإسكندرية (١٢٧-١٥١م)، وكان بطليموس يزعم أن الأرض هي مركز الكون الثابت، وأن الشمس والقمر والكواكب السّيارة تدور حولها. وهو قول ثبت خطأه بعد ذلك. وقد عُرفت هذه النظرية بالنظرية البطليموسية أو البطلموسية. ولا علاقة لبطليموس هذا بالبطالسة الذين حكموا مصر في الفترة من ٣٢٣ ق.م. إلى ٣٠ ق.م.

للوصول لهذه النتائج. ولا أستطيع إلا أن أكون منطقيًا معقولاً عند قولي إن الوصف الذي استطعتُ تقديمه، ستجدونه أدنى بكثير، إذا ما قُورن بما نشره فعلاً رحَّالة بارزون مثل بُوركهارت(١٠) ونيبور(١١) والسيد لايارد وغيرهم. (١٢)

٥. وعلى أيَّة حال، فإنني واثق أن ما حدث من تأخير لم يكن دون فوائد، فخلال إقامتي في لندن، تمكَّنت بفضل اللطف الذي تعهدني به السير روديريك ميرشسون Murchison والدكتور هوكر Hooker، من أن أُلحق بتقريري هذا عدة ملاحق:

أولها — خريطة، أعدها السيد إدوارد ويلر، الخرائطي في الجمعيّة الجغرافيّة الملكيّة — توضِّح مسار رحلتي.

---

(١٠) هو جوهان لوديڤيج بوركهارت، سويسري، ولد في لوزان سنة ١٧٨٤م. ودرس في الجامعات الألمانية قبل أن يتوجه إلى لندن سنة ١٨٠٥م. وقد هيَّأت له الجمعية الجغرافية منحة في كامبردج للدراسة، استعدادًا للقيام برحلاته، فدرس اللغة العربية وشيئا من الكيمياء والفلك والطب وغير ذلك، مما يعد ضروريًا لأي رحّال ومكتشف. وقد قام برحلة شهيرة للبتراء والحجاز عن تفاصيل حياته، انظر:

Freeth and Winstone, *Explorers* pp. 91-121

(١١) كارستن نيبور ألماني المولد، إلا أنه يعتبر نفسه دانمركيًا منذ التحق بخدمة الملك الدانمركي، وتكوينه الثقافي لا يختلف عن تكوين بوركهارت وقد بدأ رحلته لجزيرة العرب سنة ١٧٦٢م.

(١٢) لقد بدأ الرُّحَّالة الأجانب يتوجهون صوب شبه جزيرة العرب منذ مطلع التاريخ الحديث. ومنذ أواخر القرن السابع عشر لم يخل عقد من قرن من رحالة أجنبي يجوب منطقة أو أخرى من شبه جزيرة العرب. وهاك بعض الأمثلة: في الفترة (١٥٠٣ـ١٥٠٨م) لودوفيكودي فارتيما (دمشق والحجاز، اليمن)، وفي ١٦٠٧م، جوهان ويلد (القاهرة، الحجاز، المخا) وفي ١٦٨٧م، جوزيف بتز (الحجاز والقاهرة)، وفي (١٧٦٢-١٧٦٧م) نيبور، وفي (١٨٠٦ـ١٨١٥م) أولرش سيتزن (البتراء، سيناء، القاهرة، الحجاز، اليمن) وفي ١٨٠٧ علي بك العباس (الحجاز)، وفي (١٨١٤ـ١٨١٥م) بوركهارت، وفي (١٨١٨ـ١٨١٩) سادلر (الأحساء، نجد، المدينة)، وفي ١٨٣٠م ولستد (السويس، وسواحل البحر الأحمر)، وفي ١٨٣٥م ولستد وكرتيندن (الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية).. وغير هؤلاء كثير.

Freeth and Winstone, *Explorers*, pp. 299-300.

ثانيها — تحليل كثير من العيِّنات الجغرافية التي جُمعت خلال الرحلة.

ثالثها — قائمة بما جُمع من نباتات وسط شبه جزيرة العرب، وقد صُنِّفت وفقًا لفصائلها الطبيعيّة.

رابعها — لقد تمكنتُ أيضًا من التدقيق في المعلومات (البيانات) الإحصائية القليلة التي قمت بنفسي بتجميعها أثناء الرحلة، وأرفقتها بالجانب الإحصائي من تقريري هذا على النحو التالي:

ا) مراحل الطريق من الكويت إلى الرياض، عبر سدوس.
ب) مراحل الطرق إلى الأحساء والعقير.
جـ) تقرير يوضح عدد المراحل وأسماءها، على طول الطرق من الكويت إلى القطيف.
د) تقرير يوضح عدد المراحل وأسماءها، على طول الطرق من الكويت إلى الأحساء.
هـ) تقرير يوضح المسافات بين بعض المناطق والمدن في نجد من ناحية والرياض — العاصمة — من ناحية أخرى، والمسافات بينها جميعًا من ناحية، وبين ميناء الكويت من ناحية أخرى.
و) تقرير عمّا يُستخدم في الرياض من موازين ومكاييل وعملة.
ز) تقرير يوضح أسماء مناطق نجد، وعدد سكانها التقريبي والعوائد السنوية منها، وما تستطيع كلُّ منطقة أن تقدمه من رجال مقاتلين.
حـ) تقرير يوضح أسماء قبائل نجد البدوية، وعدد أفرادها بشكل تقريبي، والعوائد السنوية التي يدفعونها للأمير.

٦. وإجمالاً، فإنني واثق — مع كل الاحترام — أن حكومة الهند، ستعتبر توضيحي الذي قدَّمته الآن، لما حدث من تأخير مُرضيًا.

٧. وسأشرع الآن في تقديم صورة مُجملة، بقدر ما تسعفني الذاكرة عن الطريقة التي تمت بها رحلتي مستجيبًا بذلك لطلب الحكومة بكتابة تقرير عمّا رأيته وما سمعته، وما قمت به، خلال زيارتي للأمير السعودي (الوهابي) في الرياض، في فبراير ومارس من العام الماضي.

٨. إنَّ صاحب السعادة في المجلس، يدرك أن حوالي خمسين عامًا قد مضت على تحالف القبائل العربية، تحالفًا غير وثيق، في ظلال الدعوة السَّلفية (الوهابية). وكان هذا التحالف confederacy قد جعلها في أوج سلطانها السياسي. ولقد كانت الفكرة الدينية هي نواة هذا التحالف (الكنفدرالية): العودة بالإسلام إلى نقائه الأول. وكان مُنشىء هذا المذهب[١٣] ويُدعى محمد بن عبدالوهاب، قد وُلد في العُيينة في وادي حنيفة، عاصمة أسرة بني عامر[١٤] التي كانت تحكم آنذاك جانبًا من نجد أو مرتفعات شبه جزيرة العرب. وقد وجد محمد بن عبدالوهاب المُفعم حماسًا في زعيم الرياض المجاور والمسمى سعودا، [١٥] أداة للغزو والغنم. [١٦] وقد أصبح هذان الرجلان — على

(١٣) إذا كانت السُّلفية أو الوهَّابية كما ذكر بلي نفسه في الجملة السابقة مباشرة تهدف إلى العودة بالإسلام إلى نقائه الأول، فهي إذن ليست مذهبًا جديدًا.

(١٤) الأسرة التي كانت تحكم في العُيَيْنة عند ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هي أسرة (آل معمر) وليست «بني عامر» كما ورد في النص.

(١٥) يقصد الإمام محمد بن سعود، ولم يكن زعيما للرياض، بل كان أميرا للدرعية، أما الرياض فكان زعيمها دِهَام بن دَوَّاس الذي كان من ألدّ أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية.

(١٦) رغم أن بِلي يشير في الفقرة نفسها إلى البُعد الديني للحركة السلفية، إلا أنه يلمز هنا، ذاكرا أن هدف الحركة كان غزوًا وغُنما، مع أنه قرر في أكثر من مكان في تقريره هذا أن هدف الدعوة السلفية هو العودة بالإسلام إلى بساطته الأولى. على أية حال، فإن مثل هذه الادعاءات ليست جديدة على التاريخ الإسلامي، فقد ركز بعض الباحثين من غير المسلمين كثيرا على التفسير المادي لحركة الفتوح الإسلامية في عهد الراشدين والعهود التي أتت بعد ذلك.

التوالي — مؤسسي السلطة الدينية والسياسية للتحالف السلفي (الوهابي) فالقبائل المكونة للتحالف كانت تدعو نفسها (بالوهَّابيين)[١٧] أو رجال ابن سعود على سواء.[١٨]

ولبعض الوقت استمرت السلطة الروحية في أسرة ابن عبدالوهاب[١٩] لكن السلطة الزمنية — في خاتمة المطاف — قد اندمجت مع السلطة الروحية (الدينية) وأصبح آل سعود أئمة وأمراء في الوقت نفسه.

وفي أيَّامنا هذه (١٨٦٥م) لم تكن أسرة محمد بن عبدالوهاب ممثلة إلا في ابنه[٢٠]

---

(١٧) لم تنفصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية، بمعنى أنه لم يكن لكل من السلطتين ممثل، فهذا يتناقض مع النظرية السياسية الإسلامية فكل خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم، كانوا يجمعون في شخوصهم بين السلطتين، تمشيا مع روح الإسلام الذي لا يفصل بين ما هو دين، وما هو دنيا، وهذا أيضًا ما حدث بالضبط عند قيام التحالف العظيم بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والإمام محمد بن سعود إذ إن الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب عندما التقى بمحمد بن سعود قال له من بين ما قال: «أبشرك بالعز والتمكين والنصر المبين. . فأرجو أن تكـون إماما يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك.» انظر: ابن بشر، *عنوان المجد*، مج ١، ص٢٤.

(١٨) انظر حاشية (١٠) الفقرة الأولى والمقدمة.

(١٩) لم يدع آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمة الله، في أي مرحلة من مراحل تاريخهم انفصالا بين السلطة الروحية (الدينية) والسلطة الزمنية (السياسية أو الدنيوية)، وإنما كان التحالف منذ نشأته الأولى بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب وثيقا، فكانت الدولة سندًا للدعوة وكانت الدعوة عزًا للدولة، ولكن بلي — ابن الحضارة الغربية — لم يفهم حقيقة النظرية السياسية في الإسلام، فخلط الأمور، فليس في التاريخ الإسلامي (باباوية) تمثل السلطة الروحية، وامبراطورية (تمثل السلطة الزمنية) كما كان في أوروبا الوسيطة، التي شهدت صراعات عنيفة بين السلطتين. ومع هذا فعلماء الدين والدعاة إلى الله والمصلحون كانوا يلقون التبجيل كله، والاحترام جلّه، من حكام المسلمين العدول.

(٢٠) يقصد بلي الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي وافته المنية سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) إذ لا نعلم من خلال المتوافر بين أيدينا من المراجع أن من أولاد الشيخ =

وحفيده فحسب، وكان ابنه يعيش في عزلة، لا يحظى بسلطة زمنية (دنيوية) أو روحية، بينما كان الإمام[٢١] يحظى بمركز الصدارة على كل علماء الدين (الملالي) وكان اسمه يُذكر على المنابر في أيام الجمع.[٢٢]

٩. لقد تكوّن التحالف السعودي (الوهابي) ونما بفضل السياسة البارعة التي مكّنت السلطة المركزية، من توحيد قبيلتين أو أكثر من القبائل التابعة لها، وتوجيهها ضد قبيلة معادية، التي يستوعبها التحالف بعد سحقها، وبهذه الطريقة ضم السعوديون (الوهابيون) كل شبه الجزيرة العربية تقريبًا، ولم يبقَ بمعزل عن الفتح سوى

= محمد بن عبدالوهاب (علي وعبدالله وحسين وحسن وعبدالعزيز وإبراهيم) من عاش إلى سنة ١٨٦٥م. أنظر: البسام، *علماء نجد*؛ راجع أبناء الشيخ في موضعهم من الترتيب الهجائي.

وقد كان عُمْر الشيخ عبدالرحمن متقدما، مما جعل بلي يعتقد أنه ابن الشيخ محمد. ولم يكن الشيخ عبدالرحمن يعيش بمعزل عن الحياة، بل كانت له الصدارة في الفتوى والتدريس، كما كان المقدّم في المشورة عند قادة الدولة السعودية الثانية. انظر: ابن بشر، *عنوان المجد*، مج٢، ص ص٢٨-٣١؛ ابن عيسى، *عقد الدرر*، ص ص٢٤-٥٩، *وآل الشيخ*، *مشاهير علماء نجد*، ص٦٣.

(٢١) المقصود هنا الإمام فيصل بن تركي.

(٢٢) نص ما قاله بلي: ويُذْكَر الإمام في الصلوات العامة (الجامعة) بدعوات وكلمات مساوية تقريبا لما يذكر به الرسول (ﷺ) نفسه.

.... and is mentioned at public prayers in terms almost equivalent with those which are lavished on the prophet himself.

وقد آثرنا إثبات العبارة مختصرة في المتن، وإن كانت الأمانة العلمية تجعلنا نشير إلى نص ما ذكره بلي. وحقيقة الأمر أن كل الكتب التي تناولت التاريخ السعودي سواء المعاصرة للأحداث (ابن غنام وابن بشر مثلا) أو ما أشار له الرحالة الأجانب (بوركهارت ونيبور مثلًا) أو ما توصل إليه باحثو هذه الأيام (عبدالله الصالح العثيمين مثلا) كل هؤلاء لم يشيروا من بعيد أو قريب إلى أن الأئمة من آل سعود قد ادّعوا مكانًا مماثلًا أو مقاربًا لمكان الرسول عليه الصلاة والسلام، فهم يكررون دوما أنه ﷺ أشرف الخلق.

اليمن وساحل حضرموت، ثم تعرَّض التحالف السعودي (الوهابي) بدوره للغزو وهُزم، على يد الباشاوات المصريين، بينما كنَّا نحن[٢٣] نُهاجم التحالف السعودي (الوهابي) على طول ساحل المحيط الهندي والخليج الفارسي.

١٠. لقد انكمش التحالف السعودي (الوهابي) بعدئذ في الداخل بمنطقة نجد الجبلية وقد قدَّم الأمير في أيام ضعفه عُروضًا، ليعقد مع حكومتنا معاهدة ارتباط لكن عروضه لم تلق قبولاً. ومضى الزمن، وخرج الباشاوات المصريون من شبه الجزيرة العربية، وأصبحنا نحن، أنفسنا، ليس لنا وجود كقوة بحرية في الخليج. وأصبح أي جهد يمكن أن تبذله مشيخات الساحل العربي نحو إحباط التحالف السعودي (الوهابي) محكومًا عليه بالفشل، بسبب الحزازات والصِّراعات الدموية بين هذه المَشْيخات. وكانت سلطنة مسقط التي تزعزعت بموت قائدها المقتدر، والمعروف لدينا — خطأ — بالإمام سيد سعيد[٢٤] قد تم تقسيمها وإضعافها بعد ذلك بسبب التحكيم الذي جرى على أيدينا في سنة ١٨٦١م.[٢٥]

---

(٢٣) يقصد حكومة الهند البريطانية.

(٢٤) ربما يقصد بلي، هنا أن لقبه الحقيقي هو السلطان السيد سعيد.

(٢٥) كانت شرق أفريقيا تزخر بجاليات عربية منذ القدم دون أي رباط سياسي مع الجزيرة العربية حتى أواخر القرن السادس عشر للميلاد، وابتداء من سنة ١٦٢٢م تقريبا أصبح شرق أفريقيا تابعا تبعية إسمية لعمان واستمرت هذه التبعية حتى سقوط دولة اليعاربة في عمان ١٧٤١م، وفي عهد البوسعيديين أصبحت تبعية شرق أفريقيا لعمان تبعية حقيقية لدرجة أنه في عام ١٨٣٢م أصبحت زنجبار هي عاصمة دولة البوسعيديين في عمان وشرق أفريقيا. وبموت السلطان السيد سعيد سنة ١٨٥٦م حدث خلاف بين أبنائه الذين اقتنعوا في النهاية بتحكيم اللورد كاننج حاكم الهند العام في نزاعهما وتعهدا بقبول نتيجة التحكيم مهما كانت. وقد صدر التحكيم النهائي سنة ١٨٦١م، وهو الذي أشار له بلِي في المتن. بما هو آت:

- فصل زنجبار وساحل أفريقيا الشرقي عن عمانَ، وتثبيت السيد ماجد كحاكم مستقل لزنجبار وملحقاتها.
- لا يسمح لحكومة مسقط وقبائل عمان بالتدخل في شؤون زنجبار. . الخ، ويهمنا في هذا=

وفي هذه الأثناء، استعاد السعوديون (الوهابيون) قوتهم، وساروا في سياستهم التوسعية الأولى، بهدوء ودون إعلان. ولقد وجدوا في الأمير فيصل زعيمًا أكثر قدرة على بث الرعب في قلوب البدو، وأكثر قدرة على دمج المناطق التابعة له dominions تحت حكم واحد يسوده الأمن والرخاء بالرغم من حكمه المطلق والمتّسم بالتعصب الديني الشديد(٢٦) ولقد خدم عبدالله — الابن الأكبر للأمير — والده بكفاءة كقائد عسكري. وتمّ ضم الأحساء والقطيف وهما منطقتان provinces غنيتان إذا ما قورنتا بغيرهما. وقد أدى هذا — مرة أخرى — إلى أن يصبح تحالف السعوديين (الوهابيين) قوة على سواحل الخليج، وكان خط الساحل الذي يسيطرون عليه قد امتد بإخضاع قبيلة الخوالد (بني خالد) البحرية القوية إخضاعًا كاملاً، والتي تمتدُّ مضاربها ما بين القطيف ورأس الخليج الفارسي. وإلى الغرب كانت قبائل قحطان الجبلية على الطريق المؤدي إلى مكة قيد المراقبة. وتم استرضاء الحكومة التركية بدفع إتاوة إسمية (رمزية) عن طريق تابعها شريف مكة. أما في الشمال فقد تم الاتفاق مع قبائل جبل شمر Jubbul Shummer

---

= الصدد أن نذكر أن عمان منذ الدولة السعودية الأولى كانت تدفع الزكاة للسعوديين، ومن هنا فإن هناك علاقة على نحو ما أو تبعية على نحو ما للعرب في شرق أفريقيا لحكومة الرياض، وانفصال شرق أفريقيا عن عمان يؤثر بالتالي في مقدار الزّكاة المدفوع لحكومة الرياض. لذلك فإنّ ما تسميه المراجع الأوروبية بحروب القرصنة السلفية في الخليج. لم تكن — من هذا المنطلق — إلا حروب جهاد واسترداد حق، ذلك أن الإنجليز على حد تعبير بلي قد حطّموا ممتلكات العرب في شرق أفريقيا، وأن أحد أهداف رحلته هو استرضاء الإمام فيصل بن تركي.

- عن تحكيم كاننج الصادر في ٢ أبريل ١٨٦١ وما أعقبه، انظر: قاسم، *دولة بوسعيد*، حراز، *أفريقيا الشرقية*، الشيخ، «تحكيم كاننج» وانظر أيضا: Kelly, *Britain and the persian Gulf*.

(٢٦) **لم تعد مثل هذه العبارات تؤثر في قليل أو كثير، خاصة بعد أن أسهب الباحثون فيما كانت عليه شبه الجزيرة العربية قبل الدعوة الإصلاحية من فوضى واضطراب، وبُعد عن العقيدة الصحيحة. والحقيقة أن حكم الإمام فيصل بن تركي قد تميز بالتسامح والجنوح إلى اللين والإصلاح كلما أمكن ذلك، والبعد عن الشدة إلا في أمور الأمن. انظر مثلا: معالجته لمشكلات أهل القصيم في: ابن بشر، *عنوان المجد*، مج٢، ص١٥٧ وما بعدها، وفي *تاريخ المملكة العربية السعودية* لعبدالله صالح العثيمين، مج١، ص٣١١.**

والظفير Dafeer على سياسة عدم الاعتداء. وحتى في الهند، بدأ الحديث عن السلفيين (الوهابيين) كتنظيم قوي، دعامته المتشدِّدون.[٢٧]

وقد كتبت عنهم الصحف مضخِّمة ومهوِّلة في أهميتهم. وبما أن للسلفيين (الوهابيين) أتباعًا في مناطق كثيرة بعيدة وعددًا من الجماعات المنفصلة (المتفرّقة) التي تتبع مذهبهم، على طول سواحل فارس وشبه الجزيرة العربية والهند، فقد اعتبروا أن الوقت الذي يستطيعون فيه العدوان والإفلات من العقوبة قد حان، وقد اتخذوا سلسلة من الإجراءات لإعادة بسط سيطرتهم المباشرة على مناطق مسقط ومشيخات ساحل القرصنة. وهذا كله محاولة لتحقيق ما شرحه لي الأمير فيصل في لقاء لاحق عن توحيد المملكة التي وهبها الله له والتي تمتد من الكويت إلى رأس الحدِّ، وربما وراء ذلك.

١١. وعندما وصلت كمقيم (بريطاني) في الخليج الفارسي قبل ثلاث سنوات ونصف السنة من الآن، وجدت أنه إلى جانب واجباتي الأخرى، كان عليَّ أن أقوم بدور الحكم لعقد هُدنة بحرية بين سلسلة المشيخات شبه المستقلة على الساحل العربي. وقد

---

(٢٧) من الكتب التي تعرضت لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من حيث انتشارها خارج شبه الجزيرة العربية كتاب: جمعة، *انتشار دعوة الشيخ*، وقد اتخذت السلفية خارج شبه الجزيرة طابعًا جهاديًا أقلق الاستعمار، ومن ذلك حركة نزار علي بالمناطق المحيطة بدلهي ١٨٢٧-١٨٣١م، وحركة الفرائضيين في البنغال ١٧٦٤-١٨٦٤م. ومازال لهم وجود حتى الآن، وحركة أحمد باريلي الذي خاض أتباعه حربا ضارية ضد الإنجليز في الهند في ١٨٥٧م و١٨٦٣م و١٨٦٨م، وغير ذلك كثير. ومما يُذكر في هذا الصدد أن أحد أحفاد محمد بن عبدالوهاب قضى شطرًا من حياته في الهند، وهو الشيخ إسحق بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي ولد في الرياض سنة ١٢٧٦هـ (١٨٩١م) وقد رحل إلى الهند سنة ١٣٠٩هـ وأكمل دراسته هناك، وذهب إلى مدينة بهوبال ودرس على علمائها خاصة في الحديث وصار من كبار علماء وقته في الأصول والفروع وعلوم العربية. وأرسل من الهند إلى الرياض قصيدة مؤثرة صارت تنشد في المجامع والبيوت يترحم فيها على أيامه الماضية، ثم عاد للرياض فقام بالتدريس والافتاء وتوفى رحمه الله سنة ١٣١٩هـ. انظر ترجمته مفصلة في: البسام، *علماء نجد*، مج١، ص ص٢٠٥-٢٠٦.

تأكد لي — بمزيد من البحث في أمورها — أن هذه المشيخات في حقيقة الأمر تمثل دمى — على نحو ما — في أيدي قوة نجد الداخلية العظيمة، التي كانت — أي تلك القـوة — تضغط على طول الحـدود البرية لهذه المشيخات، وتتلقى منها ما يدل على التبعية.[٢٨] ذلك أن تجربة الماضي قد أظهرت أن النفوذ السعودي (الوهابي) النجدي قد بدأ بشكـل واضـح يكـرِّس جهده في اتجاه خطر. وأن سيطرة الحكومة السعودية (الوهابية) فيما مضى على كل خط الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، من الكويت إلى رأس الحـدِّ كانت مرادفة للقرصنة على نطاق واسع.[٢٩] وذلك في خليجي عُمان وفارس وفي المحيط الهندي، من حيث إلحاق أذى بليغ بالتجارة والسلام العام. (راجع تقريري رقم ٣٩ في ١٢ فبراير سنة ١٨٦٣م).

١٢. لقد ظهر بجلاء أن الكراهية الشديدة، والتي كمنت في العقل العربي، ضدَّنـا، بسبب تدميرنا لممتلكات العرب في الساحل الشرقي لأفريقيا — أثناء تنفيذ إجـراءاتنـا لمنـاهضـة الـرِّق — قد امتـدت إلى نجد، وأصبحت الحكومة السعودية (الـوهـابية) مؤخـرا، أكثـر انـزعاجًا بسبب هجماتنا على سواحلها. وقد قُطعت كل العلاقات بين هذه المقيميّة (البريطانية) وأمير نجد، وفي الوقت نفسه لابد أن أذكر أن كل الجماعات قد اعترفت بالأمير فيصل بن سعود، قابلة به حاكمًا عادلاً وصارمًا. وكان الأمير قد حقق نجاحًا غير مسبوق في كبح جِماح القبائل التابعة له، وكفِّ أيديها عمّا جُبلت عليه من نهب وسلب. وكان الأمير راغبًا في أن يغرس في هذه القبائل عادات

(٢٨) يقصد دفع الزكاة.

(٢٩) تقدم في حاشية سابقة أن السلفيين كانوا يَرُدون بذلك على تحطيم الإنجليز لممتلكات العرب في شرق أفريقيا، ومادام الإمام فيصل يعتبر أن ملكه (حكمه) يمتد حتى رأس الحد، فهو بالتالي كان يعتبر ما كان تابعا لعمان، تابعا له بالتالي، وقد أثبتت التطورات التي أعقبت تحكيم كانتج ١٨٦١م أن فصل مسقط عن زنجبار لم يُؤد إلى القضاء على تجارة الرقيق، كما ثبت أن القـوى الأوروبية نفسهـا ظلت تمارس هذه التجارة مع ساحل إفريقيا الشرقي، كما أوجد الإنجليز بعـد ذلـك نظام السخرة في كينيا وهو نظام لا يبعد عن الرّق كثيرا. راجع ذلك بالتفصيل في: الشيخ، *دول الإسلام*، الفصل الأول عن تحكيم كانتج.

الاستقرار (الاستيطان) في توجيههم للعمل في مجالي، الزراعة والتجارة. ولم يكن يبدو أن أحدًا يُحِبُّ الأمير، وإن بدا الجميع مُعجبين به. ويتحدث الناس عنه بنوعٍ من الرَّهبة يمتزج فيها الاحترام بالكراهية بشكلٍ لافت للنظر.(٣٠)

(راجع تقاريري المتفرقة من زنجبار، في الفترة من أكتوبر سنة ١٨٦١م إلى سبتمبر سنة ١٨٦٢م. ليس بين يدي نسخ منها الآن، عدا الخطابات رقم ١١٣ في أول فبراير سنة ١٨٦٢م، ورقم ٢٣٣ في ١٠ يوليو سنة ١٨٦٢م، ورقم ٢١٢ إلى الكابتن أولدفلد Old Field في يونيو سنة ١٨٦٢م.)

١٣. لقد ظهر لي أنه للقضاء بفعالية على النَّزعات العدوانيّة لعرب الساحل، فإنه يتحتَّم علينا أن نُعالج الأمور من جذورها بتعاملنا مع الحكومة السعودية (الوهابية). ولقد كُنت واثقًا من أنني لو استطعت إعادة تكوين علاقات مع حاكم كفيصل، فإننا ساعتها، ربما سنستفيد من نفوذه على مشيخات الساحل، دون أن تعترينا رهبة من أن هذا النفوذ (السعودي) سيُكرِّس لغير التوجهات الحضارية. وعلى هذا، فقد وجَّهتُ مذكرة رقيقة مُهذبة للأمير معربًا فيها عن رغبتي في تكوين علاقة صداقة، ومخبرًا إيَّاه أنه إذا وافق على ذلك، فإنني سأكون سعيدًا بزيارته في عاصمته، وكان ردّه مقتضبًا جافًا، وهو يعكس بهذا موقفه ممَّن شغل منصب المقيم البريطاني قبلي. لقد بدا لي — على أيَّة حال — أنَّ هذا النفور بين شاغل منصب المقيم البريطاني والأمير، يُشكِّل عقبة. ولذا فقد منحت نفسي فرصة أخرى لمراسلته مؤكدًا له أنَّه رغم إظهار عدم تفهمه لمشاعري إلا أنني مع ذلك أرغب بأن أسجل تقديري لحكمه العادل بين القبائل، ومع هذا، لم أتلقَّ من سموه ردًّا على خطابي.

١٤. لقد علمتُ مؤخَّرًا من الأهالي الذين كانوا في الرياض أن الأمير قد ذكر — وقد أصبح أكثر تفهمًا — أنني إن حضرت، فلن أقدِّم شيئًا سوى التمنيَّات الطيِّبة، ولذا فقد قررت في النهاية أن أذهب لعاصمته لعقد اجتماع صداقة معه. وعلى هذا، ففي

(٣٠) استخدم المؤلف تعبير: ....in which respect and hatred were curiously, mingled.

ينـاير سنـة ١٨٦٥م عبرتُ الخليج إلى الكـويت، وهناك التقيت بالشيوخ وأخبرتهم بمبتغاي، وهو أن أتجه جنوبا بغرب إلى الرياض، وأن أعود إلى الساحل عبر الأحساء والعقـير، أو أية طريق أخـرى مماثلة إذا فرضت الظروف ذلك. وفي الوقت نفسه، أرسلت خطابًـا للأمير فيصل أخبره أنني في الطريق لزيارته، وأنني — من خلال ما علمته من أتباعه — قد أصبحت مقتنعًا بأن اللقاء الشخصي بيننا سيُحقق أمورًا مرضية للطرفين. وقد أرسلتُ هذا الخطاب بالبريد السريع. وفي نيَّتي أن أصل في إثر الخطاب مباشرة دون توانٍ، سير العادة. وقد وافق شيخ مشايخ الكويت[٣١] الموصوف في رسالتي المُنوّه عنها هنا — على وجهة النظر هذه، ثم قال بإيجاز: «خُذ الجمال، والله معك.» ولكن الشيخ يوسف بن بدر— الذي كان معروفًا منذ فترة طويلة في سوق الخيول في بمباي، كمصدِّر رئيس للخيول العربية — اعترض بجدِّية على تحركي. وأخيرًا، عقد الشيوخ مجلسًـا وقرَّروا أنه من الأفضل أن أتريث قليلاً لتوفير الجمال المناسبة والمُرشد المناسب ولتحسس الأخبار في نجد. ونتيجة لهذا قبلتُ كرم يوسف باستضافته لي خلال فترة الانتظار تلك، كما رُحت أجمع من رجال القبائل المجاورة ما استطعت جمعه من معلومات متعلقة بمسائل بعينها سبق أن أثيرت في الجمعية الجغرافية الملكية، وبمسائل متعلقـة بالـطبـوغـرافية العامة والأحوال السائدة في مناطق السعوديين (الوهابيين). وبالتالي قدَّمتُ ملاحظات باستقصاءاتي تلك، ألحقتها بخطابي رقم ١١ المؤرخ في ١٤ فبراير سنـة ١٨٦٥م. تلك المـلاحظات التي أعتقد أن أولئك المهتمين بهذه المسائل والأمور، قد استوعبوها منذ وقت ذكري لها.

(راجع تقريري رقم ٦٧، الذي فصلته بذكر وقائعه يومًا يومًا — والمؤرخ في ١٣ أبريل سنة ١٨٦٣م — الفقرة رقم ١٢٨).

١٥. لقـد أتـاحت لي إقامتي في الكويت فرصة مواتية لرؤية الحياة الداخليّة واليوميّة في بيت شيخ عربي. فليس ثمة إنجليزي راقٍ في مقدوره أن يكون أكثر من

(٣١) شيخ الكـويت الـذي زار بلِي البلدة في أيامـه هو الشيخ صبـاح بن جابـر الصبـاح (١٢٧٦ ـ ١٢٨٣هـ) انظر: الرشيد، *تاريخ الكويت*، ص١٣.

الشيخ يوسف بن بدر، كياسةً وكرمًا. لقد بلغ يوسف الثانية والسبعين من عمره، وأظن أنه قد تزوَّج ستا وعشرين مرة. ولا تزال واحدة أو أكثر من زوجاته تُقمن معه في منزله؛ أمّا الأخريات مِمّن أعقب منهن فقد كُنّ مستقرات وادعات في منازل مستقلة. وكان يحظى باحترام عميق وملحوظ من قبل أبنائه الكُثر، الذين كانوا ينفقون وقتهم وجهدهم في تدبير أمري، وقد قضيت بينهم أسبوعًا في البرية في أحد حصونهم، نصيد بالصقور ونستمتع بمشاهدة أفراسهم الأصيلة، وكان الحصن الذي أشرت إليه يُسمى بالجهراء ويقع في الزاوية الشمالية الغربية لخليج الكويت. ويقال إن هذا الموقع قديم جدًّا وأثري، وكان لايزال يوجد بعض الآجر، وبقايا لمبان أخرى في الأرض المجاورة، وفي هذا المكان يجمع يوسف خيوله بعد جلبها — في مجموعات صغيرة من (قبائل) شَمر وعنزة ونجد،[٣٢] وقبائل أخرى، ويحميها في حصون مسورة، وينعشها بعد مسيرتها الطويلة في الصحراء، بإطعامها فصيفصات Lucerne رَطْبها أو سقاها ماء بوسائل مُصطنعة ويرعاها حتى يحين موسم التصدير إلى بمباي فينقلها للكويت، ويشحنها بحرًا. ولقد تفضّل عليَّ يوسف بقائمة بالسلالات الأكثر شهرة من سواها والتي ألحقها (بالتقرير)، ذلك أنني وجدت ما يؤيدها من أهل الخبرة في عُمان وأماكن أخرى.

١٦. وفي كل مساء، جرت عادة الشيخ أن يجلس في قاعة الاستقبال (ديوانيّته) وجرت عادة العرب، سواء أكانوا من الحضر أم من البدو أن يترددوا عليه دون عوائق أو شكليات (بروتوكول)، فيتداولون الحكاية في إثر الحكاية دون توقف. وبالرغم من محافظة يوسف الشديدة على واجباته الدينية، فإنه مع ذلك كان مُلمًّا بكتابات الأديان الأخرى إذ كان يتكلّم عنها برصانة تامة، وفي بعض الأحيان، كان ثمة حكاية فجة بعض الشيء، لكنه كان من الواضح دائمًا أن ذلك لم يكن صادرًا عن فُحش أو بذاءة في التفكير.

ويبدو العربي مُفكّرًا كسائر الجنس البشري إلاّ أنه أقل تحفظًا منّا في لغته، فهو يتحدَّث رافعًا صوته ويُلقي الكلام وكأنه يُهيله بالفأس (المِسْحاة) دون الحاجة إلى استعمال مواربة، أو إسهاب اللّورد ماكُولي Mecauley's Periphrasis .

(٣٢) ربما يقصد المؤلف قبائل عالية بنجد.

١٧ . وكانت تدار القهوة والشِّيشة التُّركية، لينال منها من شاء بحرية كاملة، ذلك أنَّ مُخّ العربي — كما ذكر الشيخ — مصنوع من القهوة.(٣٣) لقد كان صومُ رمضان (الذي كان حالاً في ذلك الوقت) أمرًا شاقًا بالنسبة للشيخ، نظرًا لما يتطلبه الصوم من وجوب الامتناع عن تلك الرفاهية (القهوة). وخلال اجتماع الشَّمل (في الديوانيَّة)، يستطيع البدو وغيرهم الدخول، حيث يجلسون القُرفصاء، مُخلِّين سيوفهم أمامهم، ويتجاذبون أطراف الحديث، ونظرًا للقلق الذي يتميَّزون به، فإنَّهم سرعان ما يقفزون فجأة، دافعين بأقدامهم في نعالهم، ثم ينصرفون. وقد يَدلِفُ رجلٌ ليقول إن لديه حصانًا جميلاً في الخارج، في مُخيَّمِهِ، وأنه في حاجة إلى بعض المؤن، كمسحوق (البارود) مثلاً، وقطعة قماش لنسائه حتى يتمكن من إحضاره. وقد يشرح بدوي آخر قائلاً إن قبيلته قد وصلت إلى مرعى بعينه، وإنه في حاجة إلى تموين لها. وثالث، قد يُحضر معه دولارات (ريالات) قليلة، كان قد اقترضها — وقد يكون ذلك قبل أعوام وأصبح من الضروري أن يَرُدَّها لصاحبها قبل أن ينوي الحج إلى مكة، فيعد النقود ويسلمها، ثم يُعبِّر عن رغبته في اقتراضها مرة أخرى أو أن يأخذ بدلاً منها بضائع. وبعض هؤلاء البدو تركوا لديّ ملاحظات عرقية (أنثروبولوجية) توضح حياة الأعراب وتوضح الصعوبة التي يعانونها خلال الموسم الحار، كما توضح ما يقومون به من غارات سلب ونهب. وقد جمعت من خلالهم، ومن الشيخ — بالإضافة لأمور أخرى — بعض الطرائق التي يمكن للغريب — إن اتبعها — أن يحصل على الحماية، والتي يفترض الناس هنا أنها تبلغ الأربعين، وقد ألحقت بتقريري هذا ملاحظات ببعض تلك المسائل.

١٨ . وقد يكون من المطلوب في هذا الصَّدد أن أُقدم ملاحظات قليلة عن خليج الكويت — إنه خليج القدماء المبارك، فعلى شواطئه عاش الجرهائيون Giranhensis والكلمة قرين يُقال إنها تصغير قَرن، والتي يقال إن الخليج يُشبهه شكلاً.(٣٤) وكلمة الكويت الحالية مشتقة من الكوت، وتعني حِصنًا قد يعود قِدمًا إلى حوالي مائة سنة.

---

(٣٣) An Arab's marrow is made of coffee تعبير يقصد به فرط حب العربي للقهوة

(٣٤) كانت الكويت تسمى «القرين» خلال القرن الثامن عشر. انظر: Niebuhr *Travels* II, p. 127.

وقد شغل شيوخ الكويت في بداية الأمر حِصنًا يقال له أم قصر Monqesser في خُور الزّبير، إلى الشمال قليلاً. لقد كانوا قراصنة مدخل شطّ العرب. لكن التُّرك هاجموهم فأبحروا جنوبًا، وحطّوا رحالهم في موقعهم الحالي وحصّنوه من ناحية البر درءًا لهجمات البدو. وكانت المساحة المُحيطة، والتي يتراوح نصف قُطرها ما بين ثمانية وعشرة أميال، داخلة في زِمامهم ولكنها — أي هذه المساحة — باستثناء حصنين أو ثلاثة وما يحيط بها من مصادر مائية — تعدّ في جملتها غير مُنتجة، فالماء حتى في الكويت نفسها، به بعض الملوحة. ومع هذا فالكويت إحدى أكثر موانىء الخليج ازدهارًا، فمراكبها كبيرة وكثيرة وتستخدم للتجارة مع الهند والسواحل العربية، وقد حقق بحّارتها شهرة كبرى في هذه المناطق، ولتجارتها مكانة كبيرة، حيث استيراد الأرز من شيستار والبصرة وساحل المالابار واستيراد القمح من سواحل الخليج، والتمور من البصرة، وجلب أخشاب بناء السفن من سواحل الهند الغربية. أما تجارتهم عبر المنافذ البرية؛ فهم يُقايضون البدو الذين يجلبون معهم خلال الشتاء والربيع — الروغان Rowghan (الصُّوف) والخيول، ويقايضون عليها بالبن والأرز وغير ذلك من الضروريّات. وللبدو حرية التجوال والحركة في البلدة شريطة أن يتركوا أسلحتهم عند بوابة الكويت حيث يجلس شيخ المشايخ والقضاة يوميًا ليستمعوا إلى الأخبار ويشرفوا على التجارة ويعقدوا مجالس القضاء. وفي كل يوم، تعد مائدة غداء ضخمة في صالة مخصصة لاستقبال الغرباء، والعملة في الكويت هي ريالات (دولارات)، ماريا تريزا والكرانات الفارسية والعملة التركية النحاسية وأحيانًا يوجد الجنيه الإنجليزي الذهبي.[٣٥] ويمكن الحصول على الكمبيالات والفواتير وكشوف الحسابات من البصرة وبوشهر وبمباي والعاصمة السعودية (الوهابية).

ويتمتع السكان — بما فيهم اليهود — بتسامح ديني كامل. ولا تفرض السلطات ضرائبَ أو رسومًا، وإن كان القادرون على دفعها يُقدمون لشيخ الشيوخ هدية سنوية. ويبدو حقيقةً، أن تدخل الحكومة في أي نوع من أنواع النشاط البشري، قليل، كما يبدو أن الحاجة إلى مثل هذا التدخل، قليلة أيضًا.

---

(٣٥) انظر ملحق العملات.

وللكويتيين تجارة نقل جديرة بالاعتبار، وربما كان الكويتيون أفضل بُنَاةِ سفن وقوارب على سواحل الخليج. والكويت منطقة صحية بشكل ملحوظ رغم حرارتها المتزايدة صيفًا. وتبدو الأمراض قليلة، ونادرًا ما يُشاهد الكويتيون وهم يمارسون أي علاج خلا الكيّ بالحديد المُحمى. حقيقة، لقد علمت أنه منذ رحيلي، وقع مضيفي فريسة للكوليرا، فعالج نفسه بما كان يعتبره مخلصًا — علاجًا إلاهيًّا، ذلك أنه عندما هاجمته الكوليرا لأول مرة، وضع ألف دولار (ريال) تحت وسادته لتوزّع على الفقراء والمحتاجين، عند شفائه، ويبدو أن هذا العلاج كان فعّالاً. فقد لاحظت خلال إقامتي مع هذا الشيخ، أنه في كل يوم من أيام الجمع، يتجمّع ذوو الحاجات عند بابه حيث يمنحهم الهِبات. أيمكن أن يكون هذا هو سرُّ شيخوخته المفعمة بالحيوية؟

١٩. وفيما يتعلق بالطعام، فإن الأثرياء — بطبيعة الحال — كغيرهم في البقاع الأخرى — كانوا يتأنّقون في مأكلهم، أما طعام الفقراء الأساسي على طول خط الساحل فيتمثل في السمك المجفف مع قليل من التمر، بينما الطعام الأساسي في الداخل يتمثل في التمر والقمح وحليب النوق. ومن الأمور الحقيقية أن الناس والخيول معًا — في مضارب البادية — يعتمدون في التعيّش في بعض الأحيان على حليب النوق وحده وهو غذاء دسم جدًّا، وأكثر من هذا فحليب النوق يعتبر مفيدًا للعيون كما أنه ضروري لتمام نمو المهر، ومن بين الأمور اللازمة للمهر أيضا أن ينعم بهواء الصحراء، وأن يُمتطى عندما يبلغ من العمر عامًا ونصف عام على أن يكون مُمتطيه ذا ثقل مُناسب لطاقته. وقد ذكر لي رجلٌ من الأهالي تصادف أن قضيتُ معه أيامًا قليلة بالقُرب من الجهراء أنه اعتاد خلال الربيع عندما تتغذّى الجمال على الأعشاب الخضر، الإيغال بعيدًا في الصحراء حيث يستبدل غذاءه المعتاد بحليب الإبل، وقد أكد الرجل لي — ومظهره يدعّم كلماته — أن حليب النوق في غاية الدَّسامة.

وعلى أيّة حال، فقد تأكدت أن صديقي هذا عادة ما يختار شهر رمضان لرحلته الصحراوية، نظرًا للحقيقة التي مُؤدّاها أنَّ السفر يُعفي المسلم من الصيام[٣٦] ويخزن بدو الكويت وحضرها الجَراد الذي يستسيغون طعمه جدًّا. وذات مرة جذب انتباهي

(٣٦) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَرِيضًا أو عَلى سَفرٍ، فَعِدّة من أيّام أُخَر﴾، البقرة، =

أنَّ المدينة كلها قد خرجت تصيح صياح الفرح والحبور، لمناسبتين في آن؛ هطول المطر، وقدوم أسراب الجراد. وفي الكويت، وعلى طول الساحل عامة، نجد العرب أقل تعصبًا بمدىً بعيد، مما عليه الحال في المناطق الداخلية، فهم يُدخِّنون النرجيلة الفارسية ويحشونها بتمباك مجلوب من لار[٣٧] عبر لنجة Lingah كما يدخنون الشيبوك التركي cheebook ويحشونه بالتمباك المجلوب من الموصل عبر دجلة، أو من اليمن عبر المخا. أما في الصحراء، فمن الشائع تدخين السبيل sabeel العربي، وهو نوع يعتبر من أرخص أنواع الغلايين وأخفها حملًا.

٢٠ . وثمَّة خبرٌ متوارث، يتناقله الناس في الكويت، عن قناةٍ صناعيةٍ[٣٨] كانت تمر ذات يوم، منحدرة من الفرات عبر منطقة العدان[٣٩] Adan الساحلية في اتجاه القطيف، ولم أستطع أن أجد هناك أيَّة آثار تدل على هذه القناة في أيامنا هذه. لكن في مناسبة سابقة — بينما كنت أبحر إلى رأس خور الزُّبير، عند نقطة تبعد حوالي عشرة أميال عن البصرة، وجدتُ هناك قناة لاستخدام الزوارق الخفيفة Canoe [٤٠] تربط ذلك الخور بأنهار البصرة. ويجدر بي أن أذكر هنا أنه بدا لي أن خور عبدالله المؤدي إلى خور الزُّبير، يمكن أن يكون مفضَّلًا فيما بعد، من قبل رُبَّانيي السفن البُخارية، على القنوات الحالية المؤدية للبصرة. إن مدخل خور عبدالله واسع وذو عمق كافٍ. ولقد رسوْت عند رأس خور الزُّبير قريبًا على طول الشاطىء في مياه يبلغ عمقها أربع فاثومات (٢٤ قدمًا).[٤١] ومن رأس خور الزُّبير يُمكن أن يصل خط حديدي للبحر المتوسط،

= آية ١٨٤. «إنَّما الأعمالُ بالنيات» فتبييت نيَّة السَّفر خصيصًا في رمضان هربًا من الصيام، أمرٌ غير مقبول من الناحية الدينية. وعلى أية حال، فإن هذا تفسير بلي، وقد يكون قد أساء الظن، خاصة أنه لم يذكر أن الرجل قال له ذلك.

(٣٧) لاَرْ، منطقة في جنوب بلاد فارس إلى الشمال الغربي من لنجه وبندر عَباس.

(٣٨) أي حفرها البشر، ولم تكن بفعل سيل أو غيره من العوامل الطبيعية.

(٣٩) في الأصل Adau ولعله خطأ مطبعي.

(٤٠) ويسمى أيضا شختورة، وهو زورق طويل خفيف.

(٤١) الفاثوم fathom ، وحدة قياس لعمق الماء تبلغ ستة أقدام طولا، عن: *معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية*، جمعه وأعده أحمد الخطيب.

في خط مباشر، يبلغ حوالي ٨٠٠ ميل. وأكد العرب لي وجود طريقين مباشرين إلى الغرب من الفرات، أحدهما يَمُر في غالبه في الصحراء، والآخر عبر المدن. ومن الممكن مسح هذين الطريقين ذات يوم.

٢١ . عودٌ للحديث عن الكويت: بعد مرور بضعة أسابيع مع الشيخ[٤٢] وصل من الرياض رجل سعودي (وهّابي) ذو شأن، في طريقه إلى بغداد. وكان قد جلب معه ثلاثة جمال تحمل وسم الأمير فيصل، وأخبرني أن أمامه ثلاث مهام، عليه إنجازها، وأنّ التعليمات لديه هي إعادة واحد من الجمال عقب إنجاز كل مهمة دلالة على أن المهمة قد تمت. وقد توقف هذا الرجل مدّة يوم أو أكثر من أجلي في الكويت، وقدم لي قدرًا من المعلومات المختلفة عن الأحوال في العاصمة، وقد ذكر لي — من بين أمور أخرى — كيفية استقبال اقتراحي الأول بزيارة الأمير في مجلسه durbar ، وكيف أنه عند استلام خطابي الأول، أنكر هو وحاشيته زيارتي إنكارًا قاطعًا وكيف أنه عند وصول خطابي الثاني الذي طلبتُ فيه أيضًا مساعدة الأمير لي بخبراته الطيبة لشراء بعض الخيول العربية الممتازة، انشرح صدر الأمير قليلاً، وكيف أن الأمير في لحظة مغادرته للرياض، علم أنني في الطريق لزيارته، فشرع في الضحك، بينما ظل علماء الدين (الملالي) والحاشية مصمّمين على موقفهم السابق. ولقد سألتُ الرجل إذا ما كان راغبًا في إلغاء رحلته إلى بغداد ليكون دليلي إلى الرياض، ولقد بدا لبرهة راغبًا هذا التغيير، لكنه بعد أن عقد اجتماعًا ليليًا برجاله، عاد في صبيحة اليوم التالي وبيّن لي أن الأمير قد يقتله إذا ما عاد دون إنجاز مهامه. وعلى أية حال، فقد أضاف بأنه سيكون سعيدًا إذا ما ترك تحت تصرفي أحد جِماله الموسومة بعلامة الأمير وشارته، فإذا ما ضايقني أحد أو تحرّش بي في الطريق، فما عليّ إلا أن أظهر علامة الأمير، وساعتها سيلقي البدو السلام من على بعد. على أن هذا الترتيب سيكون غير مفيد إذا ما نفق الجملُ أو إذا كان البدو غير قادرين على معرفة وسم الأمير. وعند هذا الحدّ توقّفت مفاوضاتنا.

(٤٢) يعني الشيخ يوسف بن بدر، الذي سبق أن أشار إليه في الصفحات السابقة.

٢٢ . وأخيرًا، ظهر رسولي عائدًا حاملاً البريد، وقد جلب لي ملاحظةً مقتضبةً من الأمير، بالسَّماح لي بالتقدم، ولم يكن ثمّة مرشد أو مندوب. وعلى أيّة حال، فإن فصل الشتاء قد أوشك على الانتهاء، فليس ثمة وقت لإضاعته. وقد كنت في الوقت نفسه قد جمعت عددًا من المعلومات الطبوغرافية المعينة، وقد ضمَّنت بعض هذه المعارف بمذكرتي المرفقة بالخطاب رقم ١١ المؤرخ في ١٤ فبراير سنة ١٨٦٥م. وإجمالاً فقد رُحت أجتمع بشيوخ الكويت مرة أخرى، وخلصتُ إلى أن أبدأ حالاً في اتخاذ سبيلي للرياض. كانت إبلي قد تجمَّعت لي من كلِّ مكان ومن كل القبائل. ولم يكن من بين هذه الجمال جمل ركوب (ذلول). لقد بلغ عددها ما بين ٢٧ إلى ٣٠ جملاً. ولقد أخذتُ معي اللِّفتنانت ديوز Dawes الضابط الملحق بباخرة المقيميّة ليأخذ على عاتقه الملاحظات الفلكيّة، والسيد كولفيل Colvill جرَّاح المقيميّة وطبيبها لتولِّي الأمور الطبيّة في قافلتي مع تعليمات بجمع النباتات والصخور على قدر طاقته، دون أن يُشعر به أحد. وبالإضافة إلى المترجم السيد جورج لوكاس Lucas ، كان برفقتي أيضًا جُنديان من جنود المراسلة orderlies وهما مُسلمان من شمال غرب الهند، وشبراسي chuprassee من كلكتا، وخادم فارسي، وصحبني أيضًا طبَّاخ برتغالي. وجعلتهم جميعًا يرتدون العباءات فوق ملابسهم لتجنب أي فضول لا لزوم له، ولتحاشي السرقة، والحقيقة أنه عندما تحرك الموكب خارجًا من البلدة في مساء اليوم السابع عشر من فبراير، ليأخذ خطواته الأولى، للتأكد من أن كل شيء قد اكتمل، قبل بداية الرحلة الحقيقية — لم أستطع إلاَّ أن أعترف في قرارة نفسي بأننا أشبه بجماعة من النوع الذي سيرفض فلستاف Falstaff السير معها عبر منطقة كفنتري Coventry [٤٣].

لقد كانت لنا خيمة وحيدة، وكانت تمويناتنا مكوَّنة من الحساء المعلّب واللحوم وبعض التمور، والأرز، فحسب، وقد تبينَّ أنه بدونها ما كنّا استطعنا الوصول إلى الرياض. ولقد أخذتُ معي أيضًا ثلاثة آلاف ريال لمواجهة الطوارىء، وصندوقين مليئين بالهدايا.

---

(٤٣) نص العبارة: .Would have objected to marching through Coventry with و Coventry مدينة بأواسط إنجلترا، وتستخدم في التعبيرات الإنجليزية للدلالة على الذهاب لمكان بعيد أو غير مرغوب فيه to send (a person) to Coventry بمعنى يأبى أن يكمله أو تكون له به صلة.

٢٣ . لقد حفظتُ بعناية في حقيبتي، الكرونوميتر chronometer (آلة قياس الزمن) والسُّدسية sextant ومُبيِّن الأفق (الأفق الصناعي) artificial horizon. أما الكرونوميتر، الذي صنعه جون بول Pool في شارع فنشيرش Fenchurch فحفظ بالطريقة الآتية: المحوران والأجزاء النحاسية يخرجان بالكامل من العلبة بينما الجزء السفلي للغطاء يكون مغلقًا، تاركًا الجزء العلوي حُرًّا، ولكن بدون الزجاجة. وقد تمّ ربط الكرونوميتر بإحكام في القطن الذي يُبطن الجزء السفلي لعلبته. وتم ملء الجزء العلوي بلبدة (حشوة) قطن ملفوفة بمنديل ناعم، بحيث تكون مناسبة لإغلاق الغطاء. وكانت العلبة ملائمة لفتحة التجويف المعدة لها في الحقيبة المبطنة بقماش الفانلة، وذات الغطاء الكرتوني (غطاؤها من الورق المقوّى) الذي أُغلق وقُمط (شُبك)، أما المساحة الباقية في الحقيبة فقد مُلئت ملابس ناعمة وربطت بعناية كافية لتقليل الاهتزاز بقدر الإمكان. وبهذه الطريقة حملت الجمال الكرونوميتر في منطقة تخلو من الطرق المُعبَّدة، لمسافة بلغت ٨٠٠ أو ٩٠٠ ميل. ولقد ضبطنا الكرونوميتر بعناية قبل بداية الرحلة وقارنّاه بغيره من الكرونوميترات الموثوقة. وعند عودتنا وجد اللفتنانت وارنر Warner والسيد ديوز Dawes وضع الأوبزيرفر (المُلاحظ) ٦,٢٥ ميل (ستة أميال وربع ميل) تجاه الشرق من الوضع الصحيح. (٤٤)

(٤٤) نظرا لأهمية هذا النص المتعلق بالكرونوميتر والسُّدسية، ودقته، وفائدته للمشتغلين بتاريخ العلوم، نرى من الضروري إيراد نص بلي كما هو بالإنجليزية، في هذه الحاشية، إلى جانب الترجمة العربية في المتن، فهذا ادعى للوضوح:

The chronometer, sextant and artificial horizon, were carefully packed in my own portmanteau. The chronometer, made by John Pool, Fenchurch Street, was managed in the following manner: The gymballs and brasswork were entirely removed from the case, and the lower part of the lid was locked, leaving the upper one free, but without the glass. The chronometer was packed tightly in cotton in the lower part of its case, the upper part being filled with a wad of cotton wrapped in a soft handkerchief, and so fitting as just to allow of the lid closing. The case was then fitted into and operture cut in the tray of the portmanteau and bedded in a layer of soft flannel. The lid of the tray, which was of millboard, closed & clamped over the packing. The remainder of the portmanteau was filled with soft wearing apparel packed sufficiently tight to deaden as much as possible any concussion. In this manner the chronometer were carried across country on a baggage camel for a distance of 800 or 900 miles. It was carefully rated before starting and compared with other chronometers having well ascertained =

٢٤ . وقبل التحرك داخل البرية، وجَّهتُ تعليمات للكابتن وارنر Warner قائد باخرة المقيميّة، أن يذهب للبحرين، قُبالة الساحل السعودي (الوهابي) عند خط العرض نفسه. وأن يتصل من وقت لآخر بميناء العُقير ليتحسس أخبار تحركاتنا وليكون مستعدًا لاستقبالنا عند عودتنا من هذا الطريق. ولقد أرفقتُ نسخة من تعليماتي تلك بهذا التقرير، ولقد أظهرت الأحداث أننا كُنّا قادرين على حساب زمن وصولنا إلى العقير باليوم.

٢٥ . وأظنُّ أنني سأكون قادرًا على تقديم أكثر الصور صدقًا عن هذه الرحلة، والتي قد لا تكون — من الناحية الفنية — أفضلها. وذلك باستخلاص هذه الصورة من دفتر مذكراتي اليومية، وبالتالي فإنني أعد باتِّباع هذه الطريقة. ويجب أن أوضح هنا أنه إذا كان لي أن أصف رحلة عبر الصحاري القاحلة، فإن الوصف — إن اتَّسم بالصِّدق — يجب أن يُماثل بالضرورة طبيعة المنطقة التي قطعناها.

٢٦ . في صبيحة اليوم الثامن عشر من فبراير غادرنا معسكرنا الواقع خارج أسوار الكويت مباشرة، وتحركنا قُرابة الساعة في الاتجاه الشرقي ثمَّ ما لبثنا أن اتجهنا تدريجيًّا إلى جنوب الجنوب الشرقي صوب قلعة يُقال لها قلعة ملح[٤٥] على بُعد خمس ساعات من الكويت، وهي تقع في دائرة الحدود البرية لهذه المشيخة الصغيرة. وكان حول الحصن بعض العيون، وزروع قليلة وبعض السقائف[٤٦] المؤقتة. لقد كان يمكن تتبع

= rates. On return it was found by lieutenant Warner and Mr. Dawes to place th observer 6 1/4 miles to the eastward of the correct position.

ملحوظة: السُّدسية أو ذات السدس، أو الكوكبة الجنوبية sextant هي آلة بصرية ذات مقياس مُدرج على شكل قوس دائرية. طولها سدس محيط الدائرة. تستعمل لقياس الأبعاد؛ انظر: معجم *المصطلحات العلمية والفنية* والذي ألحقه يوسف خياط بطبعته *للسان العرب* ـ مادة سُدسية. وعن صورة السدسية راجع: *معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية* ، إعداد: أحمد الخطيب، مادة sextant.

(٤٥) مَلح مورد ماء يقع إلى الجنوب من مدينة الكويت بحوالي ٣٥ كيلًا تقريبًا.

(٤٦) فضّلنا السقائف جمع سقيفة، ترجمة للكلمة الإنجليزية huts في هذا السياق.

آثار أقدام الإبل من المدينة حتى القلعة. لكن هنا تضيع — فجأة — كلُّ علامات الطريق وملامحه. وكانت الطبيعة العامة للمنطقة، هنا تتمثّل في برارٍ مكشوفةٍ لا يحدها إلا الأفق، تمتد طويلاً بموجات صغيرة من الرِّمال. وخلال الساعة الأولى كنَّا نسير على أعشاب قليلة طَعِمَها الجراد وبعد ذلك وجدنا سهولاً، تناثرت فيها شُجيرات قصيرات تُجاهـد للاحتفاظ بخضرتها في هذا الموسم الذي يمثل بواكير الربيع، وكانت الجمال دائمـة الرعي منها كلما سرنا مارين بها. وكانت الأرض التي توقَّفنا فيها للراحة هذا المساء، تقع على بعد ساعة ونصف الساعة بعد هذه القلعة[٤٧] حيث أصبحنا داخل الحدود السعودية (الوهابية) مباشرة. كان ثمة جبل مخروطي يُقال له واره Warrah [٤٨] يتجه إلى الجنوب الغربي وإلى الجنوب، وعلى مسافة تبلغ حوالي أربعة أميال أو خمسة، بينما الجبـل الثاني والأكثر بعدا، ويقال له صبيه Sebayah فتوجُّهه إلى الجنوب وإلى الغرب. ولم تكن الأرض التي توقَّفنا فيها مميَّزة بأية سقيفة أو حصن. وجمعنا قليلاً من الماء من برك مؤقتة تجمَّع فيها ماء المطر الهاطل هذا الصباح، على أنه في العادة لا يوجد ماء في هذه المنطقة.

٢٧ . وفي صبيحة اليوم التاسع عشر، نهضنا مع مطلع النهار، ولمَّا كان هذا أول يوم من أيام مسيرتنا لا يعتريه اضطراب أو توقف، فقد يكون من المناسب أن أقدّم ما تم في هذا اليوم كعيِّنة تُبيِّنُ طريقتنا المعتادة. فنحن نهب مستيقظين بمجرد أن يدعو رئيس جَمّالتنا رفاقه لأداء صلاة الصُّبح. ويُمكّننا هذا من لملمة خيمتنا وحزم حقائبنا، استعدادًا للتحرك مع مشرق الشمس. وأثناء مسيرتنا للرياض، كان جَمَّالتنا يُراعون بدون استثناء، صيام رمضان بصرامة وشدة، كطبيعة العربي، إلا أنّه لا يقل صحَّة عن ذلك، أنَّ العرب حسَّاسون للغاية من البرد، لذا فإنني أشك أن شيئًا ما أقل أهمية من الفروض الدينية، يمكن أن يُغري رفاقنا بالنُّهوض من الفراش صباحًا في وقت شديد

---

(٤٧) إشارة إلى حِصن مَلَح سابق الذكر.

(٤٨) جبل وارة (أواره) تل ارتفاعه حوالي ٢٠٠ قدم حوله بقايا آثار عمران قديمة، ويقع على بعد ٩ أميال شمال حقل برقان.

البكور. وحتى بعد إتمام صلاتهم فإنهم عادة ما يفزعون إلى تحميل الدواب وينكمشون مستدفئين بنيران الحطب.

٢٨ . وعلى أيّة حال، فإنهم — عند بزوغ الشمس — يبدون مُنتعشين، فيتهادى موكبنا وئيدًا، بمعدلٍ يبلغ حوالي ثلاثة أميال في الساعة. ولم يكن ثمّة جَملٌ يشرد عنّا لمسافة تذكر، وإنّما كان كل جمل يرسم في مشيه خطًّا مستمر التعرج بحثًا عن العُشب والأجزاء الريّانة من نباتات الصحراء كوجبةٍ شهيّة. وكلما حانت الفرصة بظهور أكمةٍ مُجلّلة بالخُضرة، فإن ثلاثة جمال أو أربعة تندفع في الوقت نفسه حيث يمد كل جملٍ رقبته الأفعوانيّة على آخر المدى فإذا لم يُوفَّق في الوصول للخُضرة، انتقم لنفسه بعضّ الجمل المجاور له.

وفي الساعة العاشرة صباحًا أو ما حولها، كان علينا أن نندفع قليلاً أمام إبلنا لِنُعِدَّ قهوتنا وإفطارنا، ممّا هو متوافر، وحتّى تلحق بنا القافلة. وهكذا دواليك طوال النهار. وقد كنّا نتوقف قبل مغرب الشمس بقليل، لنتمكّن من نصب المُخيّم، وتأمين أنفسنا قبل حلولِ الظلام، وبمجرّد أن نُنزلَ حمولة الإبل، نُطلق سراحها لترعى عشاءها، وإن كان علينا أن نُعيدها إلى مرابطها في حوالي الساعة الثامنة أو التاسعة مساءً حيث يجمعها الجمّالة ويجعلونها تجثم جنبًا إلى جنب، مُتضامَّة في خط واحد. وينام الجمّالة قريبين منها، مُتّخذين منها دِرءًا. وقد وجّهنا فتحة خيمتنا نحو الشمال، وعندما تأكّدنا من استغراق المعسكر في النوم، شرعنا في العمل مستخدمين السدسية sextant وآلة الأفق الصناعي artificial horizon وكان من الممكن بطبيعة الحال، رصدُ نجم الشمال دون مخاطرة أن يكتشفنا أحد داخل الخيمة. أما بالنسبة لخط الطول فإن تحديده برصد (ملاحظة) القمر أو النجوم — فإن آلة الأفق الصناعي سرعان ما انضبطت خارج الساتر الجانبي للخيمة. إذ كان يمكن ملاحظة (رصد) الوقت المحدد من داخل الصندوق (الحقيبة)[٤٩] الموضوعة في أعمق جزء من الخيمة.

(٤٩) كان بِلي قد وضع السُدسية وآلة الأفق الصناعي في داخل صندوق وكان يستخدمها إذا حان الوقت، وهما في الصندوق.

وبهذه الطريقة، فإن خطوط الطول وخطوط العرض لكل المراكز (النقاط) التي تتغـير فيها طبيعة الأرض كانت — كما أعتقد — قد حُدِّدت بشكل منضبط، ولأنّ التغييرات كانت ملحوظة جدًّا، ولأنها — أي هذه المتغيرات — كانت تلتقي جميعًا بدرجة متساوية، في الطريق إلى الرياض والعودة منها، فقد أمكن التوصل إلى سلسلتين من النقـاط تُحدِّدان الاتجـاه العام لكل السهول والجبال والكثبان الرَّملية عبر منطقة واسعـة، إن مسـيرنـا ذهـابًا وعودةً، كان — حقيقة — يشكل ضلعي مثلث، تُمثل الرياض رأسه. أما قاعدته فتمتد من الكويت — نقطة البداية، حتى العُقير — نقطة العودة — قد تكون مسافتها حوالي ٢٠٠ ميل.(٥٠) وعلى أية حال فإن النقاط المحددة (المخـططة) كانت — فقط — هي تلك الـواقعـة على خط طريقنا. ولكن بتجميع المعلومات المحلية — خاصة تلك المتعلقة بالمدن المعروفة — على مدى الأيام المتتابعة، كنت قادرًا على استخدامها، كاتجاه زاوي مقابل cross bearings لتحديد مواضع هذه المُدن وبهذا فإنني واثق أن الدِّقة هنا تقريبية.

٢٩. وستلاحظ الحكومة أن مسودة الخريطة توضِّح تاريخ كل مرحلة من مراحل المسير، كما أرَّخت قائمة النباتات والصخور بالطريقة نفسها. ومن هنا فإن مقارنة هذه القوائم والخريطة المبدئية مع المذكرات (الملاحظات) التي جمعناها خلال الطريق — والتي استخلص الآن منها — فإنه يمكن بتلك المقارنة معرفة المنطقة التي جلبنا منها العيِّنة الطبيعية، بشكل يسهل التحقق منه.

٣٠. عود إلى مسيرتنا يوم ١٩ (من شهر فبراير)، فقبل البدء، حدث أول خلافٍ بسيطٍ بيني وبين رئيس الجَمَّالة، نظرًا لرغبتي في تغيير الطريق، لكي نتمكن من المرور بسدير. وفي الوقت نفسه، لحق بي شيخٌ من قبيلة سبيع Sebaa الذي كُنت قد اشتريتُ منـه حصـانًا عندما كنت في الكويت، والذي وافقت على صحبته لي، ظنًّا مني أنه سيكـون ذا فائـدة فيما يتعلق بالخيول، لقـد كان رجلًا منظره لا يَسُر، ويُعاني عرجًا شديدًا، لكنَّـه وصف نفسه بأنه أحد الأتباع الشَّخصيين لعبدالله بن فيصل، وبأنه

(٥٠) ذكر المؤلف في موضع آخر (فقرة ٩٤) أن رواحله قد قطعت حوالي ٩٠٠ ميل في هذه الرحلة.

شخصٌ مهمٌ بين قبيلته. وعلى أيَّة حال، فقد اشترط ألا يذهب إلى أبعد من الرياض بأية حال. وأنه سيتقاضى خمسين دولارًا حتى هذه النقطة (الرياض) ولكن اتضح أنه لم يكن قادرًا على تقديم حتى حصان واحد لي، وأن الترحاب الذي لقيه في الطريق حتى من بعض أفـراد قبيلته لم يكن مقبولاً، وفي إحدى المرَّات، كاد أن يتسبب في مشكلة للقـافلة عنـدمـا صادف أحد الذين لهم ثأر عند قبيلته، وأخيرًا عند وصولنا للرياض حياهُ عبدالله بأن طلب أن يعرف سبب وجود هذا الكلب السبيعي هناك، وسرعان ما دُحرج لمحاربة قحطان في طريق مكة.

٣١. وفي هذا الصباح تركنا ابنا مُضيفنا يوسف بن بدر واللذان كانا قد صَحبانا إلى الحدود، بعد أن تركا — بلطفهما وكياستهما الفطريين، وكرمهما الذي لم يكن غريبًا على أسرتهما — تأثيرًا حسنًا في كل مجموعتنا.

لقـد كان من المقبول كثيرًا بالنسبة لي أن أُرسل منذ فترة قصيرة بعض الهدايا الصغيرة لهذه الأسرة على سبيل الذكرى.

٣٢. كان مسـار طريقنـا اليوم: ساعتـين جنوبًا بغرب، ثم جنوبًا بشرق لمدة ساعة، وأخيرًا جنوبًا لمدة ساعة وثلاثة أرباع الساعة، لقد كانت مسيرتنا في هذا اليوم قصـيرة نسبيًا، وقـد توقفنا في منحدر طفيف لأرضٍ تُعرف باسم لقيط Legeet [٥١] وكـانت طبيعـة المنطقة مشابهة جدًا، لطبيعة المنطقة التي قطعناها بالأمس. وخلال مسـيرتنا مررنا بخيمة سوداء. وفي المساء ظهر لنا بدويٌ مصحوبٌ بثلاثة جمال. وقد اشتريتُ اثنين منها للطوارىء. وقد تصادف أن كان هذا الفصل من فصول العام، أكثر الفصول التي يمكن اختيارها ملاءمةً واعتدالاً. فقد كان الهواء لطيفًا يبعث على النشاط، وكانت الشجيرات أكثر ما تكون إيناعًا في هذه الصحارى، وكانت الزهور البرية تتناثر بقدرٍ طيبٍ في البراري.

---

(٥١) لقيط Legeet مورد ماء يقـع على بعـد ٢٥ ميلاً من السـاحل إلى الجنوب الشرقي من بلدة الكـويت، وتبدأ من هذه النقطة طريق تعبر الصحراء إلى الزلفي في نجد. لوريمر، *دليل الخليج*، القسم الجغرافي، مج ١، ص ص٣٣-٣٤.

لقد كان الطريق يتشعب من المكان الذي توقَّفنا فيه هذه الليلة إلى الزُّلفي التي تعتبر أقصى بلدان سدير من ناحية الشمال، كما تعتبر أيضًا محطة رئيسة لقوافل الحجاج المتجهين من البصرة إلى مكة. وإلى اليسار منا — أي بين موقع توقفنا والخليج الفارسي — يقع طريق آخر يعرف في الكويت باسم Ureplyan [٥٢] يؤدي إلى الرياض.

في واقع الأمر، فإنه توجد ثلاثة طرق أو أربعة تمرُّ بها القبائل في هجراتها السنوية في غدوِّها ورواحها من الكويت إلى مرتفعات نجد. وكل هذه الطرق تقع متوازية بعضها مع البعض الآخر، بشكل غير منتظم وقد حدَّدت مسار هذه الطرق، الإمكانات الرعوية، ووجود الآبار، وإمكانية اجتياز المناطق الرملية.

٣٣. وفي اليوم العشرين (من فبراير) غادرنا لقيط Legeet ، وبعد ثلاث ساعات من السير، وصلنا منخفضًا يُعرف بخور القَرين، وهذا المنخفض يصل إلى الخليج الفارسي، والجبل الواقع عن يميننا بأميال قليلة يحمل اسم الخور، وبعد ثماني ساعات من المسيرة، نصبنا خيمتنا على تل يقع على الجانب الأدنى لسلسلة (من التلال) يُقال لها الحير أو دلَّة الدلة[٥٣]. وكانت المنطقة التي توقفنا فيها خالية تمامًا من السكان، وقد استمدَّت اسمها من وبرة التي تقع قليلاً إلى الشرق وكانت طبيعة المنطقة مماثلة لتلك التي عبرناها بالأمس، وخلال الصباح التقينا بجماعة من البدو التابعين للسعوديين (الوهابيين)، لكنهم كانوا أبعد ما يكونون عن السلفية، فقد ظهر لي أن هؤلاء الأشخاص من أكثر من رأيت في حياتي غلظة وتململاً وفضولاً. لقد أقبلوا علينا عدْوًا، ولم تكن لجمالهم أرسنة أو لخيولهم ألجمة. وسرعان ما ترجَّلوا وأمرُّوا أرسنةً ما بين أرجل

---

(٥٢) لم نعثر في المصادر التي تكلمت عن الطرق المؤدية من نجد إلى ساحل الخليج وخاصة معجم اليمامة لعبدالله بن محمد ابن خميس، الرياض ١٣٩٨هـ، ص٤٣٦-٤٣٨، ومعجم المنطقة الشرقية لحمد الجاسر، دار اليمامة ١٤٠٠هـ، ص٦٨٨-٦٩٢، على وصف لهذا الطريق.

(٥٣) نص العبارة:

On a hill on the hither side of a range called the Heir or Della-ud-Della.

لم نجد في المصادر المتوافرة لنا أي ذكر لهذين الموضعين.

الخيل الأمامية ثم ربطوها فوق عراقيبها بقليل وتركوا الجمال ترعى بنفسها، وجثم الجمع حولنا وطلبوا منا تبغًا مقدِّمين خناجرهم مقابل الحصول عليه، وبينما كنا نتظاهر بأننا لا نملك من التبغ شيئًا، عاودوا التحدث معنا قائلين إنه لا طائل من وراء التبغ الآن، ففي الغد سيكونون في الكويت وسيدخِّنون ملء رغبتهم. لقد انتهى الحديث بيننا وبينهم، ونهض كلُّ واحدٍ من هؤلاء الأشرار دون الرجوع (الالتفات) لجاره، وراح يعدو في إثر بعيره أو حصانه، واختفوا.

٣٤. ووفقًا لما ذكرته السلطات الكويتية، فإن سلسلة التلال المنخفضات المنعطفة أمامنا، تُحدِّد الحدود البرية لمنطقة العَدَان Adan كما وضَّحتُ ذلك في مذكرتي السابقة (في ١٤ فبراير ١٨٦٦). [٥٤] وفقًا لما ذكره الناس في القطيف — من ناحية أخرى — فإن العَدان اسم يُطلق عامَّةً على ساحل الخليج الممتد من الكويت إلى رأس تنورة، والذي يكوّن الحد الشمالي لمنطقة القطيف؛ أما منطقة الساحل الموازية لمنعطف (الخليج) الذي تقع فيه جزيرة البحرين الحاليّة، فكانت فيما سبق تُعرف كلها باسم البحرين، [٥٥] ولقد ظهر أنَّ البدو يميِّزون مناطقهم المختلفة باتجاهات طبقاتها أو بتكوينات تربتها، فعلى سبيل المثال فإن أرض العَدَان معروفة بطبقتها strata الممتدة في اتجاه التلال المنخفضات الواقعات إلى الأمام منَّا الآن، أي الممتدة من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي — ومن المؤكد أنه عندما يحين الفصل الحارُّ وتغدو العلامات الأرضية غير مرئية بسبب كثافة الجو، [٥٦] يعمد البدويُّ للتحقق من المنطقة التي هو فيها، بالحفر قليلاً تحت القشرة الأرضية.

---

(٥٤) وضعها بلي في الحاشية وآثرنا إثباتها في النص.

(٥٥) للاطلاع على آراء أخرى حول تحديد منطقة العَدَان، انظر: الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١١٣٤-١١٤٠، *ولمع الشهاب*، ص٢٦٠. لوريمر، *دليل الخليج، القسم الجغرافي*؛ مج١، ص ص٢٩-٣٠.

(٥٦) نص العبارة: density of the atmosphere

٣٥. في يوم ٢١ في شهـر فبراير غادرنا وَبْرة وسرعان ما عبرنا تلال دلة الدالة لندخل منطقة الشق Shug ذات التلال المنخفضات الممتدات بعيدًا إلى الشمال حتى تصل في امتدادها إلى نقطة بين الصّحاحة (؟) Sahahah وجبال صفوان بالقرب من الزبير. وتتبع طبقات الشق منحنى الجبال الذي يحدّد (يُعلِّم) حدود المنطقة. والأرض التي نقطعها اليوم. تتصعَّد (ترتفع تدريجيًّا) برفق نحو الداخل، وتنحدر برفق تدريجي شديد نحو الشرق، متعامدة على طريقنا. والطبيعة العامة للارتفاع تأخذ على نحو ما هذا الشكل:

وقد ظهر عن يسارنا تل مخروطي، وإلى الأمام منا، على بعد أربعة أميال كان ثمة منحنى يتكون من خمسة تلال منفصلة تُعرف بتلال الكبريت. وعلى أية حال فإن تلَّين منها فقط هما المُكبرتان.

٣٦. لقد نصبنا خيمتنا هذا اليوم في دلّة الكبريت (دلة الشبريت) في الشق Shug.

٣٧. وفي اليوم الثاني والعشرين (من فبراير) بعد أن قطعنا خمسة أميال، كان أبعد تلال الكبريت من ناحية الشرق وأكبرها يقع جنوبًا على مسافة ميلين. وكان التّل الذي مررنا بالقرب منه بعد ذلك يتجه جنوبًا بغرب فجنوبًا. وعندما اقتربنا من هذا التل الأخير كُشِفَ لنا تل أوسط. وثمة تلّان آخران، أحدهما يتجه غربًا، والآخر يتجه إلى الغرب فالشمال فالغرب (غرب ـ شمال ـ غرب)، ليكملا — أي التلين — مجموعة من خمسة تلال، تشكِّل قوسًا عبر طريقنا. وتقع كلُّ تلال الكبريت في الشق Shug، وكانت طبيعة المنطقة في هذا اليوم، أقلَّ انتظامًا في تموجها الصحراوي، فهنا وهناك تناثرت تلال مُنخفضات، وكانت الأرض مكشوفةً أكثر من ذي قبل، وتناقصت الشجيرات، وتجلَّت بوضوح مساحات من الأراضي المتناثرة ذوات التربة الرَّقيقة. وفي مكان أو مكانين نُحتت (بفعل الطبيعة) الصخور الرملية لتكون في مستوى واحد مع التربة. وقد بدت المنطقة تتصعد (ترتفع) في اتجاه المناطق الداخليّة عن يميننا، كما

كانت تنحـدر تدريجيًّا عن يسارنا. لقد كنا نَصعدُ ببطء، لكن بشكل واضح، كلما انحرفنا صوب الجنوب الغربي. لقد كان الجوُّ باردًا جدًّا، وكانت فترة الصباح حقيقة، باردةً برودة لا تبعث على السرور. لقد كُنت سعيدًا أن أترجَّل وأمشي ميلاً أو ميلين خلال الصبـاح. ولقد قابلنا أسرة بدوية بعد أن قطعنا حوالي تسعة أميال من نقطة بدايتنا، وقد اشتريت قربة ماء من هذه الأسرة ولكنها لم تَبِع ناقتها الحلوب. وقبل أن نصـل إلى منـطقـة استراحتنا (توقفنا) بقليل، ظهرت لنا بعض التلال الهرمية، عن يميننا، على بُعد أميال قليلة. لقد كانت تبدو كالرمال المتراكمة في أشكال هرمية، إلا أنَّ ميلها يبدو شديد الانحدار بالنسبة لكونها رملية. وكان اتجاهها (شرق - جنوب - شرق) بالنظر لها من موقعنا الذي توقفنا فيه، وكانت تبعد من موقعنا بحوالي ثلاثة أميال أو أربعة. وتسمَّى الأرض بين الشق Shug — التي غادرناها — والوريعة — التي لم نصلها بعد — الردائف أو هضاب الرمل.

٣٨. الثـالـث والعشرون من شهر فبراير — عندما بدأنا المسير، كانت أرض المنطقة التي قطعناها من حيث طبيعتها — تمثل استمرارًا لما قطعناه في المرحلة الأخيرة من رحلتنا بالأمس، فبعد ساعة دخلنا منطقة تعرف باسم الوريعة Wuriyah، ولم يكن للأرض التي غادرناها لتوِّنا — والتي تمثل أرضًا انتقالية (وُسطى) بين الوريعة والشق Shug — اسم سوى (الـردايف). والـوريعة بمثابة عتبة (مُستهل) للصمَّان، حيث تُصبح الأرض تدريجيًّا أكثر تقطعًا broken up into patches [٥٧] وتكسوها الحصوات المتناثرات والنبكات الترابية (الهضاب الترابية الصغيرة) والأحجار الرملية لمسافة تبلغ حوالي ثمانية عشر ميلاً (أي ستّ ساعـات من المسـير) إلى الجنوب الغربي (منتصف الجنـوب) من نقطة انطلاقنا (نقطة البداية) — حين دخلنا الصمَّان الخالصة، وهي منطقة ذات أرض متباينة وتلال منخفضة تكسوها الأحجار الرملية، وتتخللها جروف (جمع جرف) تكونت بفعل مياه الأمطار الشتوية. أما الوديان فكانت ملتوية ومستوية تتناثر فيها هنا وهناك بعض الحشائش والزهور البرية والشجيرات، في هذا الموسم من

(٥٧) أي تصبح الأرض قطعًا متجاورات تتباين كل قطعة في طبيعتها عن القطعة أو القطع المجاورة لها.

مواسم الربيع. وكلما توغلنا في الصمّان أصبحت التلال أكثر ارتفاعًا وأكثر تشابكًا وتعقيدًا. وبعد ساعات ثمانٍ ترجّلنا عند بعض الخيام السوداء. لقد كان رجال الخيام قد يمموا شطر الساحل لبيع ما لديهم من روغان Rowghan وسألنا نساءهم بعض الحليب وقد تساءلت النسوة من نكون! فهيئتنا — كما قُلنَ — لم تكن هيئة أولئك البدو، وملابسنا لا تتلاءم مع أشكالنا فقال الشيخ عبدالعزيز(٥٨) لهن: إننا عسكر لذلك فهيئتنا مختلفة، غير أن النسوة اللائي قابلهن الشيخ عبدالعزيز أردن معرفة السبب الذي حداه إلى تقديم الحليب الطيِّب للعسكر، فشرح لهن أننا رغم كوننا من العسكر إلا أننا من المسلمين. وعلى هذا فقد أعطيننا بعض الحليب. وكان ثمة فتاة قد وقفت إلى جانبنا، فأبدى الشيخ عبدالعزيز رغبته في منحها عشرة دولارات (ربما كمهر لها)، فجرت الفتاة ضاحكة داخل الخيمة، بينما ودعتنا النسوة قائلات: «ليحفظها الله من أن تقع في أيدي قبيلتكم.» لقد كُنا نريد الاستمرار ذاهبين إلى وبرة Wubreh (٥٩) للحصول على الماء، لكن المسافة كانت بعيدة للغاية، لذلك توقّفنا عند حلول المساء قبل الوصول إليها بحوالي ساعة بالقرب من مضارب لقبيلة السودان Soodan ، وقد أحضر البدو لي مُهرا من سلالة العُبيَّة للبيع، كما أحضروا خروفًا كهدية وقد دفعت مقابله دولارين، وطلب المانح مني نصف دولار إضافي، مقابل جلد الخروف. ويقال إن الصمّان تمتد في اتجاه الشمال امتدادًا تستغرقه رحلة ثمانية أيام وتنتهي — أي الصمّان — عند انتهاء الأحجار الرملية، وتبدأ المنطقة في الاكتساء بالصخور الجلمودية boul-ders (٦٠) وبعضها ضخمة سوداء، وعندئذ يصبح اسم المنطقة الحجرة Hajar ،(٦١)

(٥٨) أحد مرافقي بلي.

(٥٩) تُعرف قديمًا بثَبْرة وهي مورد ماء قديم يقع في شرقي الصَّمّان تلتقي عنده كثير من الطرق، (الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية* مج ١، ص٣٣٢).

(٦٠) عرَّبها معجم *المصطلحات العلمية والفنية والهندسية* بجلمود وعرّفة بأن قطره لا يقل عن عشرة سنتيمترات، وتكتب: boulder أو bowlder .

(٦١) الحَجْرة: أرض ذات آكام وأودية ومناهل متعددة تقع شمال وادي الباطن والدهناء، وتمتد شمالا إلى داخل الحدود العراقية وتقع بين خطي طول ٤٢ و٤٥ وخطي عرض ٢٨ ـ ٣١ درجة. الجاسر، معجم *شمال المملكة*، ص ص٤٠٠-٤٠١.

وتصل الحجرة إلى سوق الشيوخ (؟) Soong es shiyakh . ولقد كانت الجمال في هذا اليوم، تهتز اهتزازًا شديدًا إذ من المؤكد أنّ بعض صناديقي قد تكسر إلى قطع. وتمتد الصمّان شمالاً مسافة أبعد من امتداد الدهناء. وإن كانت الدهناء تمتدُّ جنوبًا في داخل الصحراء المعروفة باسم الربع الخالي أو اليمامة، وهي اليمامة القديمة أي المنطقة التي كانت يومًا ما آهلة بالسكان، ثم طمستها الرمال وتحطَّم وجودها السياسي بسبب غزوات المسلمين الأخيرة.[٦٢] وعندما حلَّ المساء هاجم بعض النسوة من قاطنات المضارب المجاورة[٦٣] مسئول الترجمة في رحلتنا، وطلبن منه أن يبيعهن أزراره ومناديله الحريرية، وعندما تراجع رافضًا راحت النسوة تتضاحكن قائلات: «لا بأس، ولكن لابد أن نحصل عليها» (الأزرار والمناديل الحريرية). وفي إثر هذا قطعن أزراره المعدنية وخطفن المناديل التي وضعها على رقبته، وأخرجن مناديل أخرى من جيبه.

٣٩. ويتشعب الطريق إلى سدير، بعد ساعة من هذا المكان، بالقرب من الآبار ولذا أتاني دليلي (مُرشدي) ليعاود مناقشتي في قراري بشأن سلك هذا الطريق. لقد كُنت متلهفًا جدًّا للذهاب عبر هذا الطريق، وكنت قد صمَّمت على الذهاب عبره، لكن كان ثمة أسبابٌ ضد هذا القرار، وتتمثَّل هذه الأسباب فيما يلي:

أولاً، بعد مغادرة الآبار، يتحتَّم عليَّ قضاء ثلاثة أيامٍ في الصمَّان ويومين طويلين في الدهناء، وتلك الأيام الخمسة جميعًا، بلا ماء. وكان لدي فقط ثماني قرب، لعشرة رجال، وكانت القرب ترشح الماء فقد وجدتُ بعضها الآن خاليًا رغم أنه قد مضى على مغادرتنا آخر مورد للماء ثلاثة أيام فقط.

---

(٦٢) المعروف أن منطقة اليمامة في جزيرة العرب هي منطقة سافلة نجد وهي جبل العارض أو طويق والأودية المنحدرة منه. أما اليمامة التي يتحدث عنها المؤلف هنا والتي كانت مزدهرة ثم اندثرت بفعل الرمل وغزوات المسلمين فليست معروفة.

(٦٣) يقصد مضارب قبيلة السودان التي ذكرها قبل قليل. وقد نسبهم المؤلف إلى العجمان، فقرة رقم ٤٥.

ثانيًا، إن الطريق لا يغشاه كثيرون، وسنمضي يومين سيرًا خلال تلال رملية هائلة. ويعتمد (البدو) على تشمُّم الأرض أو الرطوبة أو غير ذلك في حالة شكهم في صحة الطريق، وإذا ما ضلّوا الطريق بالفعل فإنهم يقضون أحيانًا عشرة أيام في تلمس مخرجٍ خلال أكماتٍ مُتتابعات ومتتاليات صغيرات.

ثالثًا، إن هذا الطريق يسير إلى الجنوب الغربي، ثم يتجه غربًا، بينما الطريق المباشر يسير جنوبًا، ومن ثم إلى الشرق[٦٤] ومن الممكن أن نقضي على الأقل خمسة أيام زائدة، كي نصل للرياض. وفي هذه الأثناء قد يزداد شك الأمير، مما يجعل زيارتي — من وجهة النظر السياسية — أكثر عُرضة للفشل. وبوجه عام، فقد بدا أنه يتعينَّ عليَّ إمَّا أن أجعل رفاقي يعودون وأن أذهب بمفردي في هذا الطريق بسرعة، أو أن أتخلى عن ذلك. وعلى كُرهٍ شديدٍ مني تخليت عن ذلك الطريق، وقررت على كل حال أن أمعن جنوبًا وأن أذهب إلى منطقة المِحْمل وسدوس مُتذرِّعًا ببحثي عن هذه المدينة الأخيرة كنقطة ملائمة لإخبار الأمير بوصولي القريب.

٤٠. وفي اليوم الرابع والعشرين من فبراير غادرنا الأراضي التي اتخذناها مُستراحًا، متوقعين أن نصل وبرة في زمن يتراوح ما بين الساعة والساعتين. وعلى أية حال، فطالما كان من غير المؤكد معرفة الحالة التي ستكون عليها الآبار من حيث توافر الماء، وطالما لم نكن متيقنين من عدد خيام العرب التي ستكون هناك، فإن رجالنا قد قاموا بنزح مياه الأمطار القليلة الصالحة، التي وجدوها في بركة في الوادي، والتي ثبت أنها كانت كافية لملء قربنا السبع. وفي الوقت نفسه، استدرنا إلى يمين الوادي حيث بعض الخيام التي وجدناها تخصُّ قبيلة سبيع التي ينتمي إليها الشيخ المرافق لنا. لقد كان ثمة أربع أسر أو خمس قابعةً في هذا الركن القصيِّ، وإن كانت كل خيمة تبعد عن الأخرى، مسافة معتبرة بعض الشيء. وقد جلسنا قُبالة إحدى الخيمتين الكبيرتين، وأحضرت النسوة لنا من كلتا الخيمتين صينية معدنية مستديرة وكبيرة، غاصة بالجُبن

---

(٦٤) يبدو أن ثمة خطأ مطبعي، فالمتجه للرياض من الكويت أو وَبْره لا يسير شرقًا. انظر فقرة (٤٢).

البـدوي (الإقط) الـذي اختلط بشعـر الماعز بشكل جلي، بالإضافة لبعض التمور النجدية، وبعض الزبد البدوي في آنية، مع كمية كبيرة من اللبن الرائب. وكان هذا الطعام الثري الفاخر، بطبيعة الحال قد قُدِّم لنا إكرامًا للشيخ وهذا التصرف يتمشى مع عادات البدو عندما يُقدِّم الشيخ نفسه مع مرافقيه لساكني مضارب أحدٍ من قبيلته. أما لو كُنَّا بمفردنا أو كان الشيخ المرافق لنا من قبيلة أخرى، فمن المشكوك فيه ساعتها أن نحصل على أي شيءٍ من النسوة الطيبات، أو نحصل على الأكثر على بعض التمور نتبلَّغُ بها، وشربة ماء. ولمَّا كُنّا جوعى كصيَّادين فقد تناولنا وجبة ممتازة. وقد لاحظت أن الفتيات الصغيرات وكذلك الشباب خارج الخيام لهم ضفائر شعر طويلة تدلَّت من خلف رؤوسهم، كما كان أحد الشباب قد عقد ضفيرتين من ضفائره الأمامية حول ذقنه.

٤١ . وحـال مغـادرتنا الخيام، سِرنا صُعدًا عبر بعض التلال التي كانت أكثر انخفاضًا، وفي غضون نصف ساعة انحدرنا إلى الوادي الذي كانت تقع به آبار وبرة، التي تشكل المركز الرئيس كمكان تجمّع واستراحة للقبائل، وهي في طريقها إلى ساحل الخليج ذاهبة إليه، وفي طريقها عائدة منه. لقد كان هناك ما يزيد على مائة بئر تتزاحم جميعًا في مساحة تبلغ ٤٠٠ ياردة مربعة. وتتبدَّى في الأرض على مسافة قصيرة من هذه الآبـار، مسـارب (طـرق ضيقة) نتجت عن آثار الأقدام، كما تبدو مخلَّفات مخيمات ضخمة، لكننا لم نجد بأنفسنا خيمة واحدة منصوبة. ومن بين كل الآبار، كانت قلة منها في حالة طيبة. وقد جلبنا مياهنا من أحد الآبار التي قدَّرنا أن مياهها أحلى من مياه الآبار الأخرى. وقد حُفرت هذه الآبار على عمق حوالي ثلاثة أو أربعة فاثومات، في الصخور الرمليّة. كما كانت فوّهات هذه الآبار قد نحتت بأخاديد (حُفر) عميقة نتيجة احتكاك حبال السحب بحوافٍّ فوَّهاتها. وفي الحقيقة، فإن المشهور عن هذه الآبار عودتها إلى تاريخ قديم جدًّا، ومظهر الآبار يتناسب تمامًا مع هذا القول. وعندما يصل البدو هنا بأعداد كبيرة وهم يعانون الظمأ الشديد، فإنهم — وحيواناتهم — يتزاحمون على الماء تزاحمًا شديدًا يبدو — كما يقال — مرعبًا شيئًا ما، ويستمرُّ الوضع على هذا النَّحـو حتى يبدأ المـاء العـذب في النضوب أخيراً من الآبار، وعندئذ يشرع البدو مضطرين في نزح المياه من الآبار المجاورة وبعضها ذو مياه مالحة غير سائغة.

٤٢. وتمثل وبرة نقطة مركزية تتجمَّع عندها طرقٌ كثيرة. فإذا كنت عند الآبار، فهناك طريق يؤدي إلى المجمعة في سدير يتجه جنوبًا بغرب، ومن ثَمَّ للغرب عبر تلال من كُتل الصخور الرمليّة الخشنة القاسية. والطريق المباشر للرياض يخرج من منطقة الآبار في اتجاه الجنوب والغرب، وسرعان ما نجد بعد دخول هذه المنطقة التحاتية وعلى ربـوة إلى اليمين قليلاً، آثار قلعة جبلية صغيرة. ويُقال إنها موغلةٌ في القدم، لكنني حكمت من الفخّـاريات التي التقطتها ومن المظهر العام لخرائب القلعة أنه رغم أن موقعها قد يكون قديمًا إلا أن أطلالها الحالية لا ترجع قدمًا إلى مئات كثيرة من السنين.

٤٣. وبعد مغادرة القلعة[٦٥] بدت منطقة الصمّان مكشوفة أكثر من ذي قبل، إذ غدت التلال أقلَّ تشابكًا وتداخلاً وتعقيدًا، وغدت الوديان أعرض من ذي قبل، كما غدت بواطنهـا أكثر استواءً وتسطيحًا، متخذة بشكل عام شكلاً متعرِّجًا في اتجاه الشـمال والجنـوب. وغدت التلال الجانبية أكثر انخفاضًا، وغدت قممها مسطَّحة. وتوشحت غالبًا بالقرب من قواعدها بلون الآجر (القرميد)، وفي بعض الحالات، حين تكون التلال مخروطية وجدنا أيضًا قممها المخروطية تتخذ لون الآجر (القرميد). ولقد سرنا متَّبعين واحدًا من هذه الوديان الطويلة حتى غربت الشمس، ثم توقفنا بحيث كانت الأرض المرتفعة في طرف الوادي[٦٦] الجنوبي في مواجهتنا مباشرة، وخلال النهار جمعنا كمية كبيرة من الزهور البرية وكذلك بعض المقدونس البري. وكانت الشجيرات المنتشرة في المنطقة تبدو نوعًا من الحُمِّيض البري myrtle .

وقد جلب لي أحد الجمّالة نباتًا ذا جذور بصليَّة[٦٧] نزع لحاءه، وقد ذكرتني هذه

---

(٦٥) أي خرائب القلعة التي أشار إليها آنفًا.

(٦٦) أي نهايته الجنوبية its southern extremity.

(٦٧) bulbous root ، أي جذور بصلية، وثمـة فصيلة نبـاتية تتخذ جذورها شكل البصلات أو البصيلات، فهناك النرجس البصلي bulbous narcissus والبقول البصلية، كالبصل والثوم، والقفلوط bulbous vegetables . . . . وما إلى ذلك. راجع معجم الشهابي للمصطلحات الزراعية.

النبتة — بمظهرها الخارجي وبقلبها الداخلي وبطعمها — بالبندق البرازيلي(٦٨). وينمو الحُمَّاض(٦٩) بوفرة، ويذكر البدو أن خورشيد باشا قد استجلبه إلى نجد من مصر، وأن أكله الآن شائعٌ بينهم. لقد كانت الأرض التي قطعناها هذا اليوم أكثر جدباً وتوهجًا من أي أرضٍ أتينا عبرها. وعلى أيّة حال، فقد كانت الجمال تسرع الخُطى عندما لا تجد ما ترعاه. وقد لاحظت أن الجمل يرعى وهو يسير، ويظل يقطع ثلاثة أميال في الساعة كالمعتاد. ولقد وصف لي رجالنا خرائب (أطلال) القلعة المسماة ثاج(٧٠) الواقعة إلى الجنوب الشرقي منّا على مسافة تبلغ قُرابة المسير ثلاثة أيام من القطيف. وقد قرروا أن قلعة ثاج، كانت في الأيام الماضية، المدينة الرئيسة في الأحساء، وكانت قد بُنيت من حجارة بيضٍ ضخام، وأضافوا قائلين إن قواعد جدرانها يمكن تتبعها لمسافة ميل أو أكثر طولاً، ولمسافة تبلغ حوالي نصف الميل عرضًا. ومازالت الأطلال والمياه موجودة إلى جوارها. ويظهر أن مدينة كبيرة مزدهرة تُسمى دوته Duta نشأت مؤخرًا، إلى جوار ثاج. وهذه المدينة تتميز بكونها في وسط منطقة خصبة ومتوافرة المياه، وأن سكانها يعملون بالزراعة، بالإضافة لتعودهم ممارسة التجارة، وكانوا ساخطين جدًّا في ظل الحكم السعودي (الوهابي) الذي امتد إليهم حديثًا.

٤٤. وفي نهار الخامس والعشرين من فبراير، ارتحلنا خارجين من الوادي الذي وصفته آنفًا في الصمّان، وإن كُنّا سرعان ما دخلنا شعبًا أخرى للوديان. لقد كانت الأرض التي قطعناها في الساعات الثلاث الأولى شبيهة بتلك التي قطعناها بالأمس،

---

(٦٨) Brazil nut، وقد ورد في معجم الشهابي للمصطلحات الزراعية أنها ثمرة نوع من البندق اسمه العِلْمي *Bertholletia excelsa* من الفصيلة الآسية.

(٦٩) نبات عشبي معمر من الفصيلة البطاطية Polygonaceae فيه أنواع برية وأخرى تزرع، وقد أورد الشهابي في *مصطلحات العلوم الزراعية* في مادة sorrel المعلومات التالية بالإضافة لما سبق: حُمّاض معروف، وحُمّاض بستاني *(Rumex acetosia)* Common sorrel, وحماض درقي French Sorrel sour dock (Rumex scutatus) يستعمل سلطة أو يطبخ، وحُمّاض الغنم Sheep sorrel *(Rumex acetosella)* وينبت بريا ويؤكل لحموضة ورقة... إلخ.

(٧٠) في الأصل Taj (تاج) وصحتها (ثاج). عن ثاج انظر الجاسر: معجم *المنطقة الشرقية*، ص٣٠٧. أما دوته (Duta) التي ذكرها المؤلف مجاورة لثاج فليس لها ذكر في مصادرنا.

أو على طول وادٍ ذي بطن مسطحة يمتد من الشمال إلى الجنوب، تحفُّ به على الجانبين تلال من الحجر الرملي، منخفضات، وذوات قمم عريضة (مسطحة). والصمّان بشكل عام ينحو للاعتدال والتوازن[٧١] وبعد ثلاث ساعات غدت الأراضي أكثر تفتتًا واضطرابًا، واختلطت بقع من الحشائش الخضر في الوديان ببعض الزهور البرية، والشجيرات المعتادة في الصمّان، بالحُميض البري المنتشر انتشارًا كبيرًا في أم الجنيب Om-al-Jenaib لقد كان التوجه العام ينحو غربًا بالتدريج. وكانت الحرارة ملحوظة خلال النهار، وأصيب اللفتنانت ديوز بضربة شمس. رغم أن الجو كان في الصباح باردًا.

وتوقفنا في المساء قُبيل الخامسة، بعد مسيرٍ مرهق بين بعض الجروف المنخفضة من الأحجار الرملية المتكسرة. وقد حاول الليفتنانت ديوز رسم صورة سريعة لمرشدنا الصُلُبي [٧٢] وهو رجل كبير مفيد وعطوف، يتحلى بملامح خلقية منتظمة دقيقة، ويندس في عباءة من جلد الإبل[٧٣]. وتتشابه نظرته لقبيلته كثيرًا مع ما سبق أن جمعته وألحقته مع مذكرتي المؤرخة في يوم ١٤ من الشهر الحالي ومع هذا فهو يقول إن غالب

(٧١) استخدم المؤلف للدلالة على ذلك لفظ milder.

(٧٢) يستخدم المؤلف صيغة التصغير Selaibee صُليبي للمفرد و Selaibees للجمع للدلالة على أفراد وقبيلة الصّلب أو الصّلبة (انظر ملحق رقم ١٣) وسنستخدم نحن في الترجمة تسميات صُلُبي للمفرد وصلب أو الصلبة للجمع لأنها أشهر.

(٧٣) هكذا ضبطها الشهابي في معجمه عن مصطلحات العلوم الزراعية (إيَّل) وجمعها على (آيايل) وعرفه بأنه حيوان مجتر من ذوات الظلف، قرونه مصمتة، والآيايل أنواع، والصغير منها هو الذي يسمى deer، وأورد أنواعه كالآتي:

أيل أو إيَّل أَسْمر fallow deer (*Cervus dama*)

وايّل المِسك musk deer (*Moschus moschiferus*)

والآيل الأحمر red deer (*Cervus elaphus*)

واليَحْمور roe deer (*Capreolus capra*)

وذكر عن هذا الأخير أنه حيوان لبون مجتر من فصيلة الأيايل. وفي مادة أخرى حدد معجم الشهابي أن الأيايل من فصيلة الأيليات. أما معجم *المصطلحات العلمية والفنية* الذي جمعه=

قبيلته his people كلاب، وإن كان من بينهم قلة راقية ومتفوقة للغاية مثله هو — على حد قوله. وليس من شك أن مظهره أكثر تفوقًا ورقيًا على كثير من الصَّلب الذين رأيتهم في الكويت، كتفوق مظهر الإنجليزي الراقي على مظهر الريفي الساذج، ولقد لاحظت أن هذا الرجل الهرم يتناول طعامه مع العرب ويحافظ على كل الصلوات، ويصوم — كما يفعلون — طوال النهار، رغم المشاق الناتجة عن مسيرتنا الطويلة — ذلك أننا كنا في شهر رمضان.

لقد كان من المستحيل حقيقة ألا يذهل الإنسان من الصَرامة الشديدة التي يحافظ بها هؤلاء الناس على واجباتهم الدينية. فخلال كل أيام مسيرتنا المتواصلة، لم يدخل جوفهم ماء، ولا مرَّ عبر شفاههم طعام يؤكل، في نهارات هذه الأيام. وعندما تغيب الشمس يتناولون قهوتهم وطعامًا متقشفًا مما قد يكون عندهم في أكياسهم، وإذا ما استطاعوا أن يجدوا خروفًا، أو إذا ما منحتهم واحدًا، فإنهم يستمتعون بإعداده للطعام ويسعدون، وإذا لم يتيسر ذلك، ارتشفوا قليلاً من الماء من قربهم وتناولوا بعض الجُبن البدوي وبعض التمور، وغدوا منتعشين بطعامهم هذا. ومن خلال الأحاديث المتبادلة، جمعت في هذا اليوم عدة معلومات أوردها كالتالي:

أولاً: إن الصحراء الجنوبية لا تعرف بين البدو باسم الربع الخالي (فحسب) فهم يسمونها أحيانًا بالربع الخالي، وأحيانًا الرمل الخالي، ولكنها معروفة بشكلٍ عامٍ في نجد باسم اليمامة، بمعنى أنه توجد مدينة اليمامة الحالية في منطقة الخرج، ومنطقة الخرج هذه تسمى أيضًا بمنطقة اليمامة. كما يُقال إن اليمامة القديمة لا تشمل فقط منطقة اليمامة الحالية ولكنها تمتد شرقًا بمحاذاة الصحراء (صحراء الربع الخالي) إلى

= يوسف خياط، فيزيد إيضاحًا بقوله: «إن الأيل في المؤلفات العربية وأيل المسك واليحمور أجناس أخرى تختلف عن أيل أوروبا وأيل خراسان، وأيل كندا، إلا أن بعض علماء الحيوان يجمعها في فصيلة واحدة على أساس أنها جميعا لبونة ومجترة ومن فصيلة الأيليات، وعن أيل المسك يورد معجم خياط أنه حيوان من المُجترات شبيه بالظبي لذكره تحت بطنه من الوراء جِرَاب يمتلىء مِسْكًا.

الاحساء. أي أن تلك المنطقة — منطقة الاحساء — تحت اسمها القديم — هجر — كانت جزءًا من اليمامة.[٧٤]

ثانيًا: توجد إحدى عشرة قبيلة مُتحالفة (في كنفدرالية) تحت حكم نجد. ولهذه القبائل الإحدى عشرة، فروع متعددة، لكل فرع شيخه. وكل شيخ يحكم في قبيلته، فإذا ما شبَّ نزاع أو قامت غارة بين فروع قبيلة الشيخ[٧٥] فإمَّا أن يُسوّوا الأمر بينهم، وإمَّا أن يرفعوا أمر النزاع للأمير. وعلى أية حال فقد كانوا يكرهون رفع الأمر للأمير نظرًا لقسوته الشديدة، فنادرًا ما يُعاقب على الجريمة المقترفة بغير القتل.[٧٦] وكان الأمير — على أية حال — يحكم بالنفي إلى القطيف، لأدنى إثم أو إساءة، وكان يعتبر النفي للقطيف، وسيلة من وسائل القتل البطيء بسبب حُمَّى الملاريا marsh fever. وإذا ما حدثت معارك جادة أو عامة بين القبائل التابعة له، فإن الأمير إمَّا أن يرسل بعض قواته العسكرية السريعة لوقف الاضطرابات، وإمَّا أن يأذن للقبيلة المُعتدى عليها بأن تثأر لنفسها.

وإذا قتل إنسانٌ إنسانًا من قبيلته نفسها، فإن هذا الأمر يُحل في القبيلة بدفع الدية، أمَّا إذا كان القتيل من قبيلة أخرى — أو حتى الجريح — فإن الأمر يرتب بدفع

---

(٧٤) صحراء الرُّبع الخالي والأحساء (أو البحرين) ليستا من اليمامة لا قديمًا ولا حديثًا. فليس في المصادر التي بين أيدينا ما يدل على أن هاتين المنطقتين من اليمامة أو أن اسم اليمامة كان يُطلق على تلك الصحراء الشاسعة في الجنوب. وكان نفوذ حكام اليمامة في بعض الفترات في صدر الإسلام يمتد إلى البحرين وغيرها، لكن البحرين لم تكن من اليمامة جغرافيا. الأصفهاني، *بلاد العرب*، ص ص٣٢٢-٣٢٧؛ والهمداني، *صفة جزيرة العرب*، ص ص٢٨٢-٢٨٥ ص ص٣٠٧-٣١٣.

(٧٥) الترجمة الحرفية «بين قبائله» between his tribes وقد يقصد بين قبيلة وأخرى.

(٧٦) من المعروف أن الإمام فيصل بن تركي كان يفضل إحالة قضايا رعيته ومشكلاتها ليحكم فيها وفقا للشرع الإسلامي، حتى بالنسبة للقضايا السياسية. انظر: ابن بشر، *عنوان المجد*، مج٢، ص١٥٨.

الدية، ولكن الأمر بهذه الطريقة لا يكون قد انتهى كلية. فعلى سبيل المثال، فإن شابًا من معارفي في الكويت جرح رجلاً من قبيلة غير قبيلته، فتربصوا له. وأخيرًا دفع والده عوضًا (فدية) مقدارها ١٢٠٠ دولار (ريال)، ومع هذا كان الشاب دومًا في حالة تخوف لأنـه لو تمكن الرجل المجروح من طعنه أو قتله، فما عليه ساعتها إلا أن يرد الدية، وعندئذ يكون الأمر قد حُسم. ولقد بدا لي منذ زمن أن أحد نتائج نظام الثأر المرعب بين القبائل، يحتم على الأفراد أن يتخذوا احتياطاتهم لدرء مخاطره. ومن هنا فقد قدرت أن سلامتي الشخصية في ازدياد، فما دامت عقولهم قد ألفت هذا النوع من التفكير، فمن الطبيعي أن يطبقوه بالنسبة لقبيلتي[٧٧].

٤٥ . وقد جرت القاعدة أن تدفع القبائل للأمير خيولاً وعينًا،[٧٨] باستثناء قاطني الأحساء والقطيف ومنطقة الكويت فنظرًا لتداول النقود للأغراض التجارية العامة، فإن جانبًا منها يصل للعاصمة (الرياض). ويرسل الأمير رجلاً — مرة كل عام — لاستلام الزكاة من القبيلة، أو أن يأتي الشيخ أو نائبه للرياض حاملاً الزكاة معه. وفي مقابل ذلك، يمنحه الأمير عباءة Abba أو أكثر تشريفًا له، وهذه العباءات تصنع في الأحساء وتساوي من ١٠ إلى ٢٠ تومان tomans .[٧٩] وترسل الأحساء ذاتها بعض العبـاءات ضمن جعلهـا من الـزكاة. ولبعض القبائل مركزها الصيفي في العاصمة (الرياض) وقبائل أخرى لها مراكزها في أماكن أخرى، فعلى سبيل المثال فإن قبيلة سبيع يشكلون حرّاس الأمـير على نحـو ما. فهم يقبعـون قرب الرياض خلال الصيف، ويجوبون حيث العشب والماء خلال الخريف والشتاء والربيع، جيئة وذهابًا عبر الطريق الذي أتّخذُ مسيري الآن عبره، وحدود ترحالهم يصل إلى المراعي الجيدة الواقعة بين الزبير والجهراء وشط العرب. وتنطبق هذه الملاحظات نفسها على قبيلة مطير. أما قبيلة السودان من العجمان — القبيلة المتفوقة — فلهم مركزهم الصيفي في الصمّان، فهم

---

(٧٧) apply it to my tribe ، ومن الواضح أنه ليس للرجل (بلي) قبيلة هنا، وأنما المعنى المقصود، أنه لو قتل فإن حكومته الإنجليزية ستأخذ بثأره أو هكذا ظن.

(٧٨) الدفع خيلاً هو في واقع الأمر دفع عَيْنًا، لكن هذا هو تعبير المؤلف.

(٧٩) انظر الملحق رقم ٨.

قلّما يزورون العاصمة (الرياض) وإنما يجوبون ساحل الخليج — ولا تبدو القبائل القاطنة على طريق الكويت، على علاقة ود وصداقة، مع القبائل القاطنة في طريق الأحساء، فعلى سبيل المثال، فإن الشيخ السبيعي المرافق لي ذكر أنه سيُقْتل إذا ما وقع في قبضة أحد في هذه المنطقة. وتَسِمُ كل القبائل نفسها بأنها بدو، وهذا يعني أنهم رعاة جوّالون. ويعيشون في خيام حتى في الصيف. وقد أخبرني مرشدنا (دليلنا) الصّلبي العجوز أنه يعرف هذا الجانب من نجد فحسب، ففي هذا الجانب يعرف الرجل كل صدعٍ وشق، لكنه — كما قال — لا يعرف كثيراً عن مواضع الأحساء. لكنني بعد ذلك اكتشفت أنه يعرف كل شق وموضع في منطقة الأحساء. لكن الصَلَب دائمًا يكتمون معارفهم خوفًا من العرب.

ثالثًا: إن قبائل نجد — خلا أربع قبائل — سبيع ومطير وعنزة وشمَّر يقيمون صليبًا معلقًا عليه قماش أحمر على باب الخيمة، عند إجراء عملية الختان، كدلالة على الدعوة للحفل المعقود بهذه المناسبة. ويرسل الأصدقاء خرافًا كهدايا في مثل هذه المناسبات. ويُربط الخروف بحبل ويُشدُّ إلى الطفل الذي سيزمعون ختانه. وقد يحضر كل صديق أهدى خروفًا، ليتناول طعامه من الخروف الذي أهداه. وبالنسبة للرجل الثْري فإنه لا يذبح الخروف نفسه المُهدى إليه، وإنما يحتفظ به كرأسمال مدَّخر لابنه،(٨٠) وقد لا يكون للرجل الفقير مثل هذا الخيار. ويقول العرب إن الصّلَب قد أخذوا عنهم فكرة الصّليب المُغطى بالقماش بينما يذكر الصّلب أنهم الأصل في هذه الممارسة وأن العرب أخذوها عنهم. والفريقان كلاهما، يُرجعان هذه العادة لزمن ما قبل الرسول (ﷺ).

رابعًا: إن مدن وقرى نجد، في جانب كبير منها، يقطنها البدو المستقرون، ومازالوا يحتفظون بأسماء قبائلهم، ويدفعون الزكاة tribute لشيوخهم. ويطلبون منهم الحماية. ومع هذا فهم مستقرون بمعنى أنهم بدو قد تحولوا لحياة الاستقرار وعملوا

---

(٨٠) as a nest-egg for his son

بالحرف[٨١] والزراعة منذ جيل أو أكثر. وعلى الشاكلة نفسها، نجد القاطنين في قرى سدير، ومدن العارض والدواسر وغيرهم.[٨٢]

خامسًا: إن نجدًا الخالصة تشمل العارض وسدير والمِحمل والخرج والقصيم والوشم.

سادسًا: وثمَّة علاقة صداقة مع جبل شمّر، والحقيقة أن الزعيم الحاكم الآن في جبل شمّر، الشيخ رشيد، يدينُ بمنصبه للأمير (فيصل) ومن ناحية أخرى فقد ساعد الشيخ رشيد، بدوره الأمير (فيصل) بعد عودته — أي عودة الأمير من مصر — تسلم السلطة والشيخ الرشيد يدفع بعض الزكاة tribute لنجد،[٨٣] وإن كانت منطقة جبل شمّر لا تعتبر نجدية.[٨٤] وتضم شمَّر جانبًا من القصيم إلى الجنوب، وتمتد حتى ولاية الفرات.

سابعًا: ورغم أن الأمير من قبيلة عنزة، إلا أن علاقته بعنزة لم تكن طيبة.

ثامنًا: كان آل الدواسر، هم القابضون على السلطة في نجد، في الأصل، وقد بذلوا محاولات مختلفات لاستعادة سلطتهم دون طائل وهم الآن — حقيقة — بدون سلطة.[٨٥]

---

(٨١) استخدم المؤلف لفظ industry الذي يعني في ذلك العصر الحرف اليدوية.

(٨٢) من الصعب التسليم بوجهة نظر المؤلف القائلة بأن أغلب سكان بلدان وقرى نجد كانوا بدوا استقروا منذ جيل أو أكثر. والحقيقة أن كثيرا من سكان نجد الحضر ينتسبون إلى قبائل، ولكن تلك القبائل قديمة. كما أن غالبية سكان نجد الحضر مستقرون في قراهم منذ أجيال عديدة.

(٨٣) أمير جبل شمر المعاصر لزيارة بلِي للرياض هو طلال بن عبدالله بن رشيد (توفي ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م)؛ أما الأمير الرشيدي الذي ساعد الإمام (فيصل) بعد عودته من مصر فهو والد طلال، المسمى عبدالله بن رشيد المتوفي ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م.

(٨٤) مصطلح نجد الجغرافي يشمل جبل شمر أيضا.

(٨٥) لم يسبق لقبيلة الدواسر أو لأحد من رجالها أن مارس سلطة على كل نجد. بل كان لبعض الأسر المنتمية لتلك القبيلة الرئاسة في بعض القرى النجدية فقط.

٤٦ . لقد كانت الأرض التي توقفنا فيها في ليلة أمس، مازالت ضمن الصمّان وفي هذا اليوم (السادس والعشرون من شهر فبراير) كان مسيرنا في نصف الساعة الأولى، مشابهًا على وجه التقريب، لما كان عليه الحال بالأمس. فبعد ذلك غدت المنطقة سهولاً مكشوفة. وبدأت التلال تتراجع رويدًا رويدًا ويتلاشى ارتفاعها وينقص شيئًا فشيئًا حتى غدت منخفضًا ينساب رملاً متموجًا وصخرًا، وزُبرًا من الحجارة الرملية. وقد سرنا راكبين حوالي ثماني ساعات خلال هذه المنطقة التي وصفنا طبيعتها والتي تشكل الحافّة الغربية لمنطقة الصمّان. وعندما تغادر الصمّان يظهر خط واضح من التلال الرمليّة في مواجهتك على مسافة تبلغ حوالي خمسة أو ستة أميال. وتمتد سلاسل التلال الرملية بعيدًا إلى أبعد ما تستطيع العين أن ترى إلى الأمام، يمنة ويسرة، وكان يُمكن تمييز معالمها، كما لو كانت تلالاً من الرمل ممتدة على الشاطىء عند النظر إليها من جهة البحر. وتُمثل سلاسل التلال الرمليّة تلك sand ridges بداية الدهناء[٨٦] وتمتد بينك وبينها، منحدرات حصوية قاسية، تميل ميلاً وئيدًا. وقد تسلّقنا الآن هذه المنحدرات ونصبنا خيمتنا على قمة أول تل رملي. وعند النظر إلى هذه المساحات الرملية من أعلى فإنها تبدو على هيئة انتفاخ، أكثر مما تبدو على هيئة سلاسل حيث لا يتجاوز ارتفاعها مقدارًا يتراوح ما بين السبعين والتسعين قدمًا على الأكثر، بينما يبلغ عرضها ٤٠٠ ياردة أو نحو ذلك، وتمتد إلى الشمال الغربي وإلى الغرب، كما تمتد إلى الجنوب الشرقي وإلى الشرق حتى الأفق. وتتناثر فيها النباتات الخضراء والتي يبدو بعض أنواعها مختلفًا عن تلك التي مررنا بها لتوّنا، وتبدو النباتات هنا أكثر إيناعًا من تلك التي مررنا بها في الصمّان. والحقيقة أن قطاع الصمّان لم يحظ إلا بالقليل من المطر منذ مدة، أو لم يصبه القطرُ نهائيًا. وإذا ما نظرنا في الاتجاه الذي ستكون عليه مسيرتنا غدًا، فإنني أستطيع أن أرى من موقعي في مخيمي سهلاً آخر على البعد وسلسلة أخرى (حبل) من التلال الرملية تمتد كموجات طويلة منخفضة في عرض بحر وسيط.

---

(٨٦) تسمى هذه السلاسل من الكثبان الرملية بالحِبَال أو العُروق لضيق عرضها واستطالتها التي تمتد إلى مئات الكيلومترات، وسوف نستخدم كلمة الحبال الرملية كمقابل عربي للفظ الإنجليزي sand-ridge في معظم الحالات.

٤٧ . لقد أغفلتُ ذكر أنه خلال مسيري عبر الصمّان هذا الصباح، وصلنا إلى صدع دائري في صخرة، قطره ٣٥ قدمًا أو نحو ذلك وبعمق ٢٠ قدمًا. وكان ثمة نوع من المجاز الضيق berme في الصدع، كما كان هناك صدع ثان أكثر انخفاضًا يبلغ عمقه حوالي ثلاثة أقدام (؟) ولم أستطع أن أقرّر فيما إذا كان هذا التجويف طبيعيًا أم غير ذلك. وعلى أية حال، فإنه يبدو في جانب منه صناعيًا (بفعل بشر) فجوانبه كلها من الصخر الصلد. وقد تدلّى واحد من رفاقي ممسكًا بحبل في المجاز الضيق berme، ومن ثم في الشق المنخفض lower chasm وعلى أية حال فإنه لم يجد ماء.

٤٨ . وكمثال على طبيعة الحياة التي يتحكم فيها الثأر، فإنه يمكنني أن أذكر أن شيخنا السبيعي قد راح يتجاذب أطراف الحديث مع رئيس الجمّالين، ثم أنهما أسرعا بجمليهما مسافة تُقارب الميل، أمام القافلة، وفجأة وجدا نفسيهما أمام مضارب بدو، فخطر لرئيس الجمّالين أن يشتري ناقة حلوبًا — كنت قد فوّضته في شرائها — من أولئك البدو، ولسوء الحظ اتضح أن هذه المضارب كانت لقبيلة الدواسر الذين كانوا يطلبون في قبيلة سبيع ثأرًا، وعندما اكتشف رئيس الجمّالة والشيخ السبيعي (المرافق لنا) هذه الحقيقة ولّيا مدبرين بأقصى سرعة تستطيعها الجمال، وعندما وصل الشيخ السبيعي إلينا مرة أخرى، كان يرتعد من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه. وفي المساء راح يتلقى التهاني من كل الحضور (الركب)، فقد اتضح أن قبيلته[٨٧] قد قتلت في العام الماضي سبعين دوسريًّا.

٤٩ . وفي هذا اليوم، جمعت بعض المعلومات التالية، من خلال مناقشاتي عبر الطريق — أولاً، توجد قبيلة منبوذة في الصحراء التي تحد اليمامة، لها دين خاص بها.

---

(٨٧) استخدم المؤلف لفظ people ، كعادة الأنثروبولوجيين الذين يكتبون عن القبائل الأفريقية والعربية، وحقيقة الأمر أن هذا استعمال خاطىء، لأن القبائل العربية، لا يمكن أن تكون شعوبا، فلغتها واحدة ويجمعها دين واحد، كما أن ملامحها الفيزيقية واحدة، وعاداتها متشابهة، والاختلاط بينها أكيد.

وهم يُسَمَّون بالعوازم.[٨٨] والمسلمون يصنِّفونهم هم والصّلب في مكان وضيع فليس لهم شيوخ قبليون أو تنظيمات قبلية ولا يُعترف بهم. وعندما سألت لماذا استطاع المسلمون بالقوة تحويل الغالبية في شبه جزيرة العرب إلى الإسلام، بينما تجاوزوا الصّلب، كانت الإجابة التي تلقيتها هي أن التحول للإسلام، كان يتم عن طريق شيوخ القبائل فيُسلم الشيخ وتتبعه قبيلته، بينما ليس للصّلب شيوخ لذا لم يكن من الممكن تحويلهم إلا فُرادى، إجبارًا أو إقناعًا، وليس للمسلمين صبر طويل لفعل هذا. وأكثر من هذا فقد وجد المسلمون أنَّ الصّلب مفيدون للغاية كأدلاء أو مرشدين، كما أنهم غير مؤذين، وأنهم جنس خاضع تابع، مما يجعل من سوء السياسة طردهم أو إجبارهم (على الإسلام).

ومما تعلَّمته منذ ذلك الوقت، أنني أصبحت أميل إلى الاستنتاج القائل بأن الدين الإسلامي لم يكن دينًا مقبولاً من قبائل وسط شبه الجزيرة العربية عمومًا، منذ تاريخ بعيد جدًّا، وأن بعض تلك القبائل قد تحولت من الوثنية إلى السلفية (الوهابية) مباشرة، دون أن تكون قد عرفت الإسلام في أي شكل من أشكاله قبل ذلك. وأن تحوّل هذه القبائل للإسلام لم يتم إلا خلال القرن الأخير، أو حتى خلال نصفه الأخير. فعلى سبيل المثال، فقد تأكدت من مصادر عربية مسؤولة حسنة الاطلاع، أن الناس في الحوطة El-Howtah في سدير قد تحوَّلوا من الوثنية إلى السلفية (الوهابية) على يد الأمير فيصل مباشرة، خلال الأربعين سنة الأخيرة، وأنه توجد هناك حتى الآن كهوف منحوتة في جبل طويق Toweg المطل على سدير، والتي هي بمثابة معابد لدين الحوطة

(٨٨) المعروف أنه لم يبق في جزيرة العرب أي دين آخر غير الإسلام منذ أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ومن المعروف أيضا عدم حرص بعض سكان الجزيرة العربية وخاصة من الرحل على تأدية واجباتهم الدينية خلال العصور الإسلامية المتأخرة وعودة بعض العقائد والتقاليد الجاهلية للظهور مرة أخرى بينهم. أما قبيلة العوازم فيعتقد المنتسبون إليها وبعض الباحثين أنها قبيلة عربية صريحة النسب لا تختلف عن بقية القبائل العربية في العادات والتقاليد والديانة. انظر: العبيد، *قبيلة العوازم*، ص ص١٦، ٣٦، ٤٢، وما بعدها.

(حوطة سدير) القديم[٨٩] وأضافت تلك المصادر أن الناس في الحوطة مازالوا يصونون هذه الكهوف ويمنعونها من انتهاك الغرباء. وقد أكدت لي المصادر نفسها وغيرها أنه بالقرب من بلدة جلاجل، إلى الشمال قليلاً من حوطة سدير، يوجد جبل، في قمته، لاتزال توجد معابد منحوتة لأماكن عبادة قديمة. ونجد أيضًا أن آل مرة El-Morreh إلى الجنوب، قبيلة تحولت للإسلام مؤخرًا جدًا، وحتى الآن فإن اعتناقهم للسلفية (الوهابية) قد تم بالقوة، كما أن إيمانهم بنبوة النبي (ﷺ) أمر غير مؤكد.[٩٠]

ويقال إن آل مرة هدَّدوا بالدخول فيما يسمونه دين السيد religion of the syed وهو الدين (المذهب) الموجود في نجران، وذلك عندما ضايقتهم سيطرة الحكومة.[٩١]

---

(٨٩) يجب ألا تُؤخذ هذه المعلومات عن أهل سدير ومعابدهم الوثنية على ظاهرها دون التثبت من مصادر أخرى، فقد تكون هذه الأماكن من النوع الذي وجد بين المجتمعات الإسلامية المتأخرة وخاصة في المناطق المعزولة مثل نجد حيث كان يسود الجهل ـ وقد اكتسبت تلك الأماكن قداسة خاصة بسبب اقترانها ببعض الصالحين كأن تكون قبورا أو بيوتا لهم، وبعض تلك الأماكن تقترن ببعض بقايا طقوس الجاهلية المتعلقة بالصخور والأشجار، وكان الناس يزورونها ويقدسونها ويقدمون لها النذور والقرابين ويعتقدون فيها النفع والضرّ، ولكنهم على أية حال يعتبرون أنفسهم مسلمين، وربما يقومون بكثير من الواجبات الإسلامية مثل الصلاة والصوم والحج. وقد ذكر ابن غنام بعض هذه الأماكن التي وجدت في المناطق المجاورة للدرعية قبل الدعوة الإصلاحية مثل قبر زيد بن الخطاب وقبر ضرار بن الأزور ونخل فحل الفحول وشجرة الطرفية وغار بنت الأمير. انظر: ابن غنام، *تاريخ نجد*، مج١، ص ص١١-١٢.

(٩٠) لم يذكر بلِي مصادره صراحة فيما يتعلق بهذه المعلومات، وعلى أية حال فقد مضى على رحلته هذه أكثر من مائة سنة الآن، ومن المؤكد أن جهود الدعوة المتوالية التي قام عليها الحكام السعوديون المتوالون طوال أكثر من مائة سنة منذ أن زار بلِي الرياض قد آتت ثمارها إسلاما خالصا، وإيمانا لا شية فيه.

(٩١) تنتمي قبيلة آل مرة إلى قبيلة يامْ الكبيرة، التي تسكن نجران وما جاورها. أما دين السيد فهو المذهب الإسماعيلي الموجود في نجران والذي يتزعمه السيد المكرمي. انظر: حمزة، في بلاد عسير، ص ص١٧٢-١٧٣.

ومرة أخرى ففي الأحساء والقطيف نجد أن حدَّ السيف ببساطة هو السبب في إبقاء العقيدة السلفية (الوهابية) سائدة، فالناس هناك يدخِّنون ويرتدون ملابس حريرية، وهم ناعمـون ومتسمون بالمرح، وهناك من يؤكد أنهم يحتسون المشروبات الكحولية المخمَّـرة. وبـاختصار فإن السلفية (الوهابية) الخالصة تبدو وجهًا من وجوه الإسلام قاصرًا على الفقراء والمناطق النائية.(٩٢)

ورغم أن الأهداف العسكرية أو السياسية قد تجعل السلفية (الوهابية) تستمر في الوجود بشكل مظهري(٩٣) بين المجتمعات الثرية إلا أنه عند الاحتكاك بالحضارة والتجارة فإن طبيعة الأمور في مثل هذه المناطق تجعل السلفية (الوهابية) في نهاية الأمر مجرد اسم. ومن المعروف أن السلفيين (الوهابيين) لا يعتبرون السنة أو الشيعة مسلمين حقيقيين(٩٤) وقد ردَّ شريف مكة على ذلك بعدم الاعتراف بالسلفيين (الوهابيين). فقد

---

(٩٢) مما يؤكـد خطأ تحليلات بلي وفسـاد توقعـاته أن شبه جزيرة العرب قد عرفت عصر الرخاء والازدهار، ومع هذا فمازالت السلفية تزداد فيها كل يوم قوة. بل وواقع الأمر، أن السلفية تنتشر بانتشـار التعليم. ويلاحظ أن بعض من يكتب عن السلفية، يربطها فقط بتحريم الدخان وشرب الخمر وهذا من بين أمور كثيرة نادى بها السلفيون، لكن السلفية في جوهرها الخـالص هي إفـراد الله — سبحـانه وتعالى — بالعبودية، وهي بهذا حركة تنقية للمعتقد الإسـلامي، وحركة دعوة للوثنيين للدخول في الدين الحنيف، وحركة علمية تدعو إلى نبذ تفسير الظواهر بغير أسبابها الحقيقية.

(٩٣) استخدم المؤلف للدلالة على الوجود المظهري تعبير galvanized existence وهي تعني الوجود المجُلفن أو المدهون، أو المطلي بالزنك، والمقصود ما أوردناه، في المتن. وقد أكدت التطورات الحـادثـة بعـد ذلك، عكس توقعات بلي تماما. فقد بدأ السلفيون يتغاضون عن الجوانب المظهرية، وراحوا يؤكدون الآن على فكرة التوحيد الخالص، كما راحوا ينشرون التعليم الديني وغير الديني، فاهتموا بالعلوم الحديثة وأخذوا بالتطورات الحادثة في مجال الإعلام وطبقوها على الدعوة للإسلام.

(٩٤) أهل الدعوة الإصلاحية السلفية يؤكدون دائما أنهم من أهل السنة ومن أتباع الإمام أحمد بن حنبل ولكن هذا ما كان يسمعه بلي من أعداء دعوة الشيخ محمد الإصلاحية خارج الجزيرة العربية.

جرت العادة على القول بأن المسلمين ليس لديهم إلاّ اثنين وسبعين فرقة ليس من بينها الشيعة الذين يُعتبرون كفرة، وقد أعلن شريف مكة الآن الشيء نفسه بالنسبة للسلفيين (الوهابيين) (أي تكفيرهم) وبالإضافة لذلك فإن الأسرة الحاكمة في مسقط وتلك التي تحكم في نجد، تَسِم كلٌ منهما الأخرى بالكفر.

وبوجه عام، فإنه لأمر شائق، وفي حالة ما إذا نشبت حرب دينية في آسيا، أن نلاحظ إلى أي مدى — حين تُرفع دعوى (صيحة) الدين من قبل أصحاب أي مذهب إسلامي — يمكن أن تلقى هذه الصيحة استجابة من أصحاب المذاهب الأخرى، وإذا ما حدثت الاستجابة فإلى أي حدٍّ سيطول هذا التآلف القلبي بين المسلمين، إننا نعلم من التاريخ أن الحكام المسلمين العظماء قد وجهوا اهتمامهم للتوفيق بين المذاهب الدينية المختلفة ورتق الفجوات بينها من خلال بعض الحياد الفلسفي، وكأن فِطُرهم وتجاربهم قد علَّمتهم أن قيام المسلمين بعمل مشترك على نحو دائم ومستمر، أمرٌ مستحيل بغير تلك الطريقة.[٩٥]

٥٠ . لنعُد إلى رحلة اليوم، لقد خرجتُ من المناقشات بأن المشكلة الحقيقية بين الإمام والسلطان في مسقط هي أن الإمام يرغب في زيادة الزكاة النقدية من مبلغ ١٢,٠٠٠ دولار (ريال ماريا تريزا) إلى ٤٠,٠٠٠، وأنه من هذه النظرة فإن النائب في البٌريمي قد أمر بالتقدم لغزو أراضي مسقط. وعلى أية حال فإن الإمام نفسه هو الذي يمسك بالرسن.

(٩٥) كانت كلمات بلي هذه في ظل ظروف تاريخية تؤيد ما يقول، لكن التاريخ الإسلامي المجيد في عهد محمد رسول الله، ومن تبعه من الراشدين، وكذلك في عهد كثير من الخلفاء المسلمين، يَدْحض ما يقول. ومن الواجب على المسلمين تدبر مثل هذه الأقوال، خاصة وأن بلي في هذه الحالة يُعَبِّر عن رأيه بصدق كامل، فالمفروض أن رحلته التي نترجم تقريرها الآن، صيغت نتائجها بشكل سري ورفعت لحكومته لتبنى عليها سياستها.

ثالثًا ـ لقد ذُكر لي اليوم أنه قبل تأسيس الدولة السعودية كان وسط شبه الجزيرة العربية مقسمًا إلى مشيخات صغيرة ومستقلة متعددة، ليس بينها إلاّ علاقات اجتماعية وسياسية ودينية ضئيلة.

رابعًا ـ أنه حتى السنوات الثلاث الأخيرة أو نحوها، كان الحجاج من غير العرب يدفعون أموالاً تحت وطأة التهديد لعدد من شيوخ القبائل أثناء مسيرهم عبر نجد، بينما هم الآن يتفقون مع حكومة نجد على دفع ٧٢ دولارًا عن كل حاج، ويقوم الأمير بتحويل عشرين دولارًا لشريف مكة، ويُعطى شيوخ القبائل على الطريق اثني عشر دولارًا.[٩٦]

وفيما يلي عدد الحجاج المارين سنويًا على وجه التقريب:

ـ عن طريق البصرة	١٨,٠٠٠
ـ عن طريق الكويت	٢,٠٠٠
ـ عن طريق الأحساء	٣٠,٠٠٠
ـ من دمشق والشمال	١٥٠,٠٠٠

لكنني أظن أن هذه الفئة الأخيرة لا تدفع أية مبالغ كبيرة للإمام[٩٧] وعلى أية حال فإن العائد المعتمد على مرور حجاج البر لا يمكن في الوقت الحاضر إلا أن يكون متباين القيمة تباينًا شديدًا طالما أن المتحصل يتغير بالضرورة. ففي كل موسم تتطور وسائل نقل الحجاج بواسطة السفن البخاريّة. وليس من المحتمل أن أي أمة تريد الحج إلى

(٩٦) يبدو أن هذا التغير في تنظيم مرور الحجاج بنجد، ومنع الإمام فيصل شيوخ القبائل من فرض أتاوات على الحجاج ـ قد حدث بعد الضربات التي ألحقها الإمام فيصل وابنه عبدالله، ببعض القبائل التي تقطن على طريق الحجاج مثل مطير وقحطان وعُتيبة والعُجمان وغيرهم. وقد استطاع الأمير عبدالله بن فيصل إلحاق هزائم شديدة بالعُجمان أكثر تلك القبائل تعرضا للحجاج خلال سنتي ١٢٧٦ و١٢٧٧هـ. ابن عيسى، *عقد الدرر*، ص ص٢٦ـ٣٥.

(٩٧) تمر قوافل بلاد الشام عن طريق شمال الحجاز التي لم تكن تخضع لسلطة الدولة السعودية الثانية.

مكـة ستستمـر طويلاً في تعـريض نفسهـا للإهـانة والسرقة والتأخير والسهر والجوع والعطش، ومواجهة آلاف المصاعب التي يتعرض لها السفر بالجمال عبر الصحراء، في حين أنه بركوب الحاج للبواخر، يستطيع أن يصل إلى المشاعر المقدسة في راحة نسبية وبأجر معقول، ودون تعريض أمور الحجاج الروحية لأي إخلال.

خامسًا: لقد أدرت الحديث اليوم عن عوائد الأمير، ولقد ذُكر لي أن ما يتلقاه من عوائد مالية من أتباعه كالتالي:

من البدو عامة	١١٤,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة القصيم	٧٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة الوشم	١٢,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة سدير	٧٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة العارض	٥٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة اليمامة، الخرج، الحريق	٣٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة الحوطة (حوطة بني تميم)	٢٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة الأفلاج	٧,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة السليل	٧,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة وادي الدواسر	١٦,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة الأحساء	٢٧٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة القطيف	١٣٠,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من منطقة العُقير	٤,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
من المنطقة الواقعة بين العارض وحزم الرَّاجي[٩٨] Hazmer Rojee والمسمَّاة القرنية Gheraniah	٦,٠٠٠ ريال ماريا تريزا
الإجمالي العام	٨٠٦,٠٠٠ ريال ماريا تريزا

(٩٨) حَزْم الراجي: لم نجد لها ذكر في المصادر المحلية، لكن لوريمر يعين موقعها إلى الجنوب الغربي من عفيف في عالية نجد الجنوبية ضمن ديرة عتيبة (*دليل الخليج، القسم الجغرافي*، مج٥ ص٢٣٤٥). أما المنطقة الواقعة بين حزم الرَّاجي والعارض فتعرف بالعرض أو عرض شمام أو القويعية.

سادسًا ـ لقد علمت أن ضريبة الرأس poll tax لا وجود لها في وسط شبه جزيرة العرب، بل أنه حتى من الصعب أن نحصل على إحصاء تقريبي ـ والنساء والأطفال لا يُعدّون (لا يُحصون).

سابعًا ـ لقد دار الحديث عن خادم factotum الأمير[٩٩] أو حاجبه، المدعو محبوبًا الذي كان أبوه عبدًا حبشيًا مشهورًا من عبيد الأمير. ثم أن الأمير أعتقه ووهبه إحدى جواريه التي كان الأمير قد جلبها معه من مصر، ويقال إنها كانت تنتمي إلى أصول كرجية من جورجيا Georgian . ويبدو أن نظام التسري لم يكن يلقى قبولاً في نجد، فللرجل أن يتزوج أربعًا في الوقت نفسه وله أن يُطلق عندما يحلو له، لكن المرأة الأثيرة يجب أن تكون زوجة لا محظية، فهم يطبقون على أنفسهم المبدأ الذي يطبقونه على خيولهم، فيما يتعلق بالنسب أو الدم، وذلك أن الدم أو النسب إذا مالوِّث فمن غير الممكن تنقيته (تطهيره) بعد ذلك. لهذا، إذا ما تزوج عربي من امرأة أفريقية وأعقب منها، فلن يكون مسموحًا لابنه منها — ذلك الابن المُخلَّط أو المُهجّن — أن يتزوَّج امرأة عربية خالصة العروبة، بقصد الاحتفاظ بنقاء الدم العربي. ومن ناحية أخرى فإننا نجد على الشريط الساحلي، أن وضع ابن الزوجة الحبشية يُشبه وضع الآخرين فسلطان عُمان الأخير الذي قتله ابنه منذ أسابيع قليلة كان أبوه عربيًا خالصًا (نقيّا) هو السيد سعيد، ومن أم حبشية[١٠٠] وفيما يتعلق بالوراثة، فإن نظامها عند السلفيين (الوهابيين) مأخوذ من القرآن (الكريم) فالرجل لا يستطيع أن يوصي (يورِّث بوصيَّة) بأكثر من نصف one-half عقاره. ويأخذ رجال الدين ثلث التركة[١٠١] أما الأرملة التي

---

(٩٩) محبوب بن جوهر، ويقول بَلْجريف إن جوهر كان أحد عبيد الإمام تركي بن عبدالله وقد أُعتق، ثم أصبح من كبار موظفي الإمام فيصل وأمين خزانته؛ أما محبوب فقد كان له نفوذ عظيم في القصر وقد لقبه بلجريف بكبير الوزراء (Prime Minister) وقدر عمره بحوالي ٢٥ سنة. انظر: Palgrave, *Narrative*, II, 98-101

(١٠٠) السّلطان المقتول هو ثويني بن سعيد بن سلطان؛ أما ابنه فهو سالم بن ثويني.

(١٠١) نص عبارة المؤلف: **The priesthood appropriate one-third**

ومن الواضح أن معرفة بِلي لنظام الوراثة في الشريعةالإسلامية الذي يُطَبِّقه أهل الدعوة =

لا ولد لها فتحصل على ربع التركة، أما الأرملة التي لها أولاد فتحصل على ثمن التركة بينما تحصل ذريتها على الثمن الآخر.[١٠٢]

٥١ . وفي صباح اليوم السابع والعشرين، غادرنا مخيَّمنا المقام على الحبل الرملي الأول، وبعد أن قطعنا عليه مئات قليلة من الياردات، انحدرنا في سهل، يبلغ عرضه حوالي سبعة أميال. ومن ثم ارتقينا الحبل الرملي الثاني، الذي كان أكثر عرضًا، ورماله أكثر كثافة من الحبل الأول، ولقد استغرقنا ساعة ونصف ساعة في عبور هذا الحبل الثاني، وما لبثنا أن انحدرنا إلى السهل الثاني الذي يبلغ عرضه حوالي الميل ونصف الميل. ومن ثمَّ ارتقينا الحبل الرملي الثالث وعبرناه في زمن استغرق ساعة وعشر دقائق. ومرة أخرى انحدرنا إلى سهل ثالث يبلغ عرضه حوالي ثلاثة أميال. وقد استغرق الحبل الرملي الرابع منا ساعة لعبوره، ويلاحظ أن كل الحبال الرملية وكل السهول التي تتخللها تسير بوجه عام في اتجاه واحد هو ذلك الذي وصفته عند الحديث عن الحبل الرملي الأول. وأستطيع القول إن أساس الطبيعة العامة للمنطقة هي تلك التي عَرَضْت لها بعد مغادرة الكويت مباشرة، بمعنى أنها برارٍ تتخللها سلاسل من التكوينات الخفيفة المتوالية، على فترات (بين الحين والآخر) ولها اتجاه غالب (عام) فالدَّهناء فقط تشكل هضبة أكثر ارتفاعًا، وأكثر إيغالاً للداخل، وتطوقها من الشمال، ومن ناحية أطرافها الجنوبية، كتل واسعة من الصحاري الرملية vast blocks of sandy deserts والرمال من هذه الصحاري قد جلبتها الرياح السائدة، وتراكمت حيث توجد العوائق (مصدَّات الرياح) بمعنى، أنه على طول التموجات التي أصبحت تغطيها الرمال التي حملتها الرياح من سلاسل التلال الرملية والتي وصفتها — بينما نجد السهول أو الوديان التي تتخلل سلاسل الرمال تبدو كما لو كانت كأقماع أو أنابيب للرياح — فكانت بالتالي

= الإصلاحية ليست دقيقة، فالمقدار الذي يستطيع الشخص ان يوصي به هو الثلث وليس النصف، أما علماء الدين والقُضاة فلا يحق لهم أخذ شيء من تركة المتوفَّى، إلا إذا كان المُتوفَّى قد أوصى لأحدهم.

(١٠٢) من المعروف أن المرأة إذا مات عنها زوجها وكان له منها ذرية حصلت هي على ثمن التركة وما يتبقى يقسم بين ذرية المتوفَّى للذكر مثل حظِّ الأُنْثَيَيْن.

هي نفسها خالية من الرمال التي يُعصف بها إلى يمين الوادي وإلى شماله عند المرتفعات المتاخمة، ويجب أن يكون حاضرًا في الذهن دائمًا أن الرياح السائدة في هذه المناطق تتخذ نفس الاتجاه العام للحبال (التلال) الرملية في الدهناء، بمعنى أنها شمالية غربية وجنوبية شرقية. وفي الأماكن التي تكون فيها منطقة ما تحت التربة subsoil (١٠٣) في الوديان (السهول) قد كشفت بالفعل، فإن الحقول (الأراضي) تتخذ مظهر الطمي الخفيف، المشقّق هنا وهناك بمساحات من الحصى الصغير وكسر الحجر الرملي. وتختلف الحياة النباتية في الحبال (التلال) الرملية عن تلك التي وجدناها في الصمّان، وقد التقطت اليوم عيّنات قليلة من النباتات. أما عن لون الرمل فهو يميل قليلاً إلى الحمرة أو البرتقالي الذي اعترته حمرة.

٥٢. لقد كنّا نعبر السهل الرابع، عندما داهمتني الدوسنتاريا التي كنت أعاني منها منذ يومين أو ثلاثة، وقد أصبحتُ أحس بألم شديد للغاية بحيث لم أعد قادرًا على تحمل رجرجة البعير. فأمرت بالتوقف في الساعة الثالثة بعد الظهر. وعلى أية حال فلم نكد نفرغ من نصب خيمتنا حتى استنفر الركب لمواجهة خطر طارىء، فقد تبيّن أنّ الجماعة التي تقترب منا تمثل بعض أعداء الشيخ (السبيعي) إذ إنهم من وادي الدواسر. لقد كُنّا أقوياء جدًّا، بالنسبة لهم، لذلك لم يُظهروا العداء، ومع هذا فقد أخبرني الشيخ السبيعي عندما احتسيت القهوة معه في المساء، أنه لولا الخوف من الأمير لاهتبل هذه الفرصة لقتل هؤلاء الأشخاص، ولقد حاول المترجم المرافق لي أن يستخلص بعض المعلومات عن وادي الدواسر من هؤلاء الغرباء، ولكنهم لم يردوا عليه حتى سلامه، قائلين له صلِّ على النبي. وهذه طريقة مهذبة للإشارة إلى أننا أعداء وأنه من الأفضل ألا نوجه استفسارات. ولقد تأكدت في هذا اليوم أن أحد الجمّالة المرافقين لي، كان من قبيلة عسير من المناطق الجبلية المواجهة للحُديدة. وقد برهن على أنه أقل رجال الركب انضباطًا، ففي إحدى المناسبات عندما كنت أستحث المسير بعد هبوط الليل، تزعّم

---

(١٠٣) طبقة التراب تحت التربة، وقد أقر مجمع اللغة العربية في مصر تعريبها منحوته كالآتي (تحتْرْبة)، عن الشهابي.

ما هدَّد بأن يكون نوعًا من التمرد أو العصيان، وبدا ميَّالاً للتمادي إلى أقصى حدٍّ، لضربي بفأسه القصيرة على ظهري، وعلى أية حال فقد جعلته تحت المراقبة الدائمة، وأجبرت القافلة على إعادة تحميل أغراضنا وشرعنا في المسير. وكان أحد الجَمَّالة الآخرين من الكويت، وقد أثبت أنه هدَّاف بالبندقية من الطراز الأول، فكان يرمي مستخدمًا بندقية الفتيل ذات القصبة الطويلة، ولم يكن يخطىء (الهدف) في كل مرة. وكان الصيد الوحيد الذي رأيته يستخدم بندقيته في اقتناصه هو الأرانب. وكانت عينه (عين الجمَّال القنَّاص) سريعة الحركة بشكل عجيب، بحيث كانت ترصد الأرانب في جحورها، ولقد كان يبدو عليه أنه يتوقع إصابة الهدف (أو يعتبر ذلك أمرًا عاديًا مفروغًا منه). لقد كانت الأرانب البرية صغيرة لكن مذاقها كان طيِّبًا. وفيما عدا ذلك لم نتمكن من رؤية شيء مثير من أي نوع حتى الآن.

وأظنُّ أن كل ما رأيناه هو ظبي وقليل من الحُبارى وقد وجدنا أيضًا قليلاً من بيض الحُبارى، وكانت الحيَّات كثيرات، إذ كان رجالنا يقتلون اثنتي عشرة حية أو أكثر، يوميًا، على طول الطريق. كما كانت السحالى أيضًا تظهر بشكل مستمر، وكذلك الخنافس، ويبدو أن لكليهما — السحالى والخنافس — أنواعًا غريبة.

٥٣. في اليوم الثامن والعشرين، وبعد أن بدأنا المسير من مقامنا في السهل الرابع، أنهينا اجتياز النصف الأخير منه، ثم صعدنا بعد ذلك، السلسلة الخامسة من التلال الرملية التي كانت أعلى كما كانت أكثر إيحاشًا من أي سلسلة مررنا بها من قبل. لقد بلغ مني التعب اليوم مبلغًا بحيث أنني لم أتفحص سلاسل الكثبان الرملية، بينما كنا نعبر المنطقة، ولكني أعتقد أن السهل الفاصل بين السلسلتين الخامسة والسادسة كان أعرضها جميعًا. وعلى العموم فقد كان هناك سبعة خطوط من التلال الرملية متوازية مع السهول التي تفصل فيما بينها، وهي جميعًا تُشكل عرض الدهناء في المنطقة التي قطعتها منها.[١٠٤]

---

(١٠٤) تتكون الدهناء على طول امتدادها من الجنوب إلى الشمال من عدة سلاسل من الكثبان الرملية المستطيلة المتوازية المرتفعة المعروفة محليا «بالحبال» أشهرها وأكبرها سبعة تمتد من =

وقد وقع الاختيار على هذه المنطقة بالذات لسهولتها النسبية، إذ كنا نستطيع ملاحظة أن المنطقة على الجانبين تبدو متداخلة يعتريها عدم اتساق. لقد عبرنا خطين صغيرين — سوى الخطوط السبعة الكبار التي سبق وصفها — واللذين كانا يمتدان ضمن تلك الخطوط، وبوجه عام، كانت الدهناء كما رأينا — تشبه سبعة أمواج هائلة طوال (يتخللها ما يشبه المنخفضات بين أمواج البحر) وعندما تقف على قمة آخر سلاسل التلال الرمليّة من الناحية الغربيّة والتي يبلغ عرضها حوالي ميلين فإنك تطل على سهل يمتد على مدى الأفق تغطيه الشجيرات القصيرة وتتخلله — هنا وهناك — الرمال التي تذروها الرياح. وأنك لتستطيع أن تتخيل نفسك واقفًا على جُرف رملي وكأنك مُطل على محيط من الماء، حيث تظهر — واضحةً تمامًا — نهاية قاعدة السلسلة الرملية وبداية السهل. لقد نَصبتُ خيمتنا على أعلى نقطة من السلسلة الرملية، لكي تكون علامة مميَّزة لدليلنا الصلبي — الذي كنا قد أرسلناه في مساء اليوم السابق إلى بعض الآبار التي تقع على بعد خمسة عشر ميلاً في داخل السهل — والذي نتوقع أن يعود هذا المساء بقربتين من الماء نحن في أشد الحاجة إليهما.

لقد قيل لنا إن الدهناء تنتهي من ناحية الجنوب بالقرب من «جبل يبرين» Jebul Yebreen في اليمامة. ولكنها قبل أن تنتهي هناك في الجنوب تفقد اسم الدهناء لتأخذ اسم النفوذ. أما من الناحية الشمالية فيقال إن الدهناء تنعطف حول الطرف الشمالي الشرقي لجبال طويق، ومن هناك تأخذ في اتجاه الغرب حول جبل شمَّر حتى تصل قريبًا من الجوف. (١٠٥)

= الشمال إلى الجنوب ويفصل بين كل حبل والذي يليه سهل ليس فيه رمل يسمى صريمة أو شقيقة أو خِبَّة. ولكل حَبْل أو صريمة منها اسم خاص به. وتجتاز الطرق المعروفة بين نجد وشرق الجزيرة هذه الحبال والصرائم معترضة من أماكن معينة. الأصفهاني، بلاد *العرب*، ص ص٣٠٩-٣١٢؛ ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج ١، ص ص٤٣٨-٤٣٩.

(١٠٥) الدهناء عبارة عن ذراع عظيمة من الرمل على شكل قوس يوازي مرتفعات اليمامة من الشرق. يبدأ هذا الذراع من رمال الربع الخالي إلى الشرق من الأفلاج في الجنوب، ثم يتجه شمالا بميل إلى الغرب حتى يتصل برمل عالج أو النفود الكبير، شمال جبل شَمَّر. ويتراوح

٥٤. في أول مارس، هبطنا آخر سلاسل تلال الدهناء الرملية، وبعد مسيرة ست ساعات عبر السهل دخلنا منطقة تعرف بالعرمة،(١٠٦) وعلى طرف هذه المنطقة وصلنا إلى بعض الآبار المعروفة باسم العرمية (الرمحية؟) (Ormayeh) أو العرمة الصغرى تمييزًا لها عن بعض الآبار الأخرى التي تقع في المنطقة نفسها، ولكنها أبعد منها إلى الجهة الشرقية والتي تعرف أصالة بآبار العرمة (رماح) Ormah proper.(١٠٧)

إن كلاً من مجموعتي الآبار تقعان على ضفة وادٍ جاف يجري سيله خلال الشتاء متجهًا من الناحية الجنوبية الغربية إلى ناحية الشرق بميل قليل إلى الشمال. وهذا

= عرض الدهناء ما بين العشرين والمائة كيلا. أما جنوب الدهناء، فلا يطلق عليه اسم النفود بعينه، بل إن مُسمى النفود يُطلق على كل مجتمع للكثبان الرملية، فيقال مثلا: نفود بَنبان، ونفود الثُويرات ونفود السر. وليس هناك جبل بالقرب من يبرين تُنسب إليه تِلْك الواحة، بل هي «جوبة يبرين» أي منخفض يبرين. وواحة يبرين ليست من اليمامة، لأن الدُهناء تفصل بينها وبين اليمامة. انظر: ابن خميس معجم *اليمامة*: الدهناء: الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*: يبرين.

(١٠٦) العَرَمَة (مفتوحة الثّلاثة) هضبة مستطيلة تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، تفصل ما بين الدهناء وجبل طويق الشمالي. يبلغ طولها حوالي ثلاثمائة كيل. وعرضها ثلاثين كيلا في المتوسط، وهي شبيهة بجبل طويق من حيث الانحدار التدريجي من الناحية الشرقية والهبوط المفاجىء من الناحية الغربية. وتنحدر من ظهر هذه الهضبة بعض الوديان في اتجاه الشرق حتى تفيض في السهول الواقعة بينها وبين الدهناء كما تتخللها بعض الثنايا التي تسلكها الطرق بين اليمامة وشرق الجزيرة. ابن خميس، معجم *اليمامة* العرمة.

(١٠٧) لا تذكر كتب الجغرافيين آبارًا باسم العَرَميّة أو العَرَمة. ويبدو من وصف بلي لهذه الآبار ووصفه لطريقه عند اجتيازه العرمة، أنه دخل إلى هذه الهضبة عند مصب وادي الطوقي، ثم قفز منه إلى وادي الثمامة، ثم تبع مجرى سيل وادي الثمامة صاعدا في العرمة حتى خرج منها عن طريق ثَنِيَّة الثمامة، وهو الطريق القديم بين اليمامة والبصرة. انظر وصف هذا الطريق في: الأصفهاني، بلاد *العرب*، ص٣٠١ وما بعدها؛ وابن خميس، معجم *اليمامة*، ص ص١٤٦ـ١٤٨. ومن أهم مناهل المياه في وادي الثمامة: مِصَدّه والثمامة والغَيْلانة. ويبدو أن الآبار التي وقف عليها بلي وسماها هنا بالعرمية هي آبار الرُمحية أو الغيلانة، لأنها =

الوادي يستمد سيله من مياه المطر الذي يسقط على سلسلة من المرتفعات تعرف بالثمامة Temamah والتي تشكل الطرف الداخلي (الغربي) للعرمة.(١٠٨)

وتتجه سيول هذا الوادي شرقًا حتى تضيع في رمال الدهناء. وعلى أرض معشوشة بالقرب من الآبار كانت هناك غيضة من شجيرات السنط المتقزمة. وكانت هذه أول أشجار أمكننا رؤيتها منذ أن نزلنا إلى البر في جزيرة العرب بالكويت. وبالمقارنة بهذه القفار الواسعة التي اجتزناها حتى الآن، فإنه يمكن اعتبار حتى أكثر المناطق الفارسيّة تصحرًا مناطق ذات أشجار، ومأهولة، لأننا لم نر شجرة ولا خيمة ولا طيرًا ونادرًا ما رأينا الماعز، منذ أن غادرنا الكويت.

٥٥. وبعد مغادرتنا الآبار، سرنا مُتَّبعين بطن المسيل لمسافة قصيرة حيث وجدناه محفوفًا ببعض الشجيرات القصيرة على الجانبين، وكنا كلّما تقدمنا أصبحت المنطقة أكثر تضرُّسًا وذكَّرتنا بالصمّان، غير أن المنطقة الأخيرة (الصمّان) كانت خالية تمامًا من الأشجار. لقد قابلنا عند الآبار عددًا قليلاً من الدواسر الذين وردوا لأخذ الماء لخيامهم التي كانت منصوبة على بُعد حوالي عشرين ميلاً في الدهناء. إن الماء الذي شربته جمالنا اليوم من آبار العرمية (الرمحية أو الغيلانة) كان يمثل الشربة الثانية فقط منذ أن غادرنا

= أقصى تلك المناهل شرقا عند الدخول إلى العرمة عن طريق وادي الطوقي أو الثمامة، وخاصة أنه ذكر الغيلانة كأحد مراحل طريقه إلى الرياض (ملحق رقم ٣)؛ أما ما أسماه بلي بآبار العرمة أصالة فيمكن أن تكون آبار رِماح التي تعتبر أبرز وأغزر المناهل الواقعة بين الدهناء والعرمة. ولا تبعد رماح والرُّمحية كثيرا عن الغيلانة في الجهة الشمالية الشرقية منها. وخاصة أنه ذكر الرماحية أو الرمحية (الواقعة في وادي الطوقي) (Ormahiyah) كأحد موارد هذه المرحلة (الملحق نفسه).

(١٠٨) ليس في كتب الجغرافيين فيما كتبوه عن العرمة، سلسلة من المرتفعات باسم التمامة (بالمثناه) وخاصة معجم *اليمامة* الذي يحوي أكثر التفصيلات عن معالم المنطقة. أما الثمامة (بالمثلثة) فهو اسم لثنيّة من ثنايا العرمة، يسلكها الطريق، (سلكها بلي) وهو أيضا اسم لواديين يبدآن من أعلى تلك الثنية ويتجه أحدهما شرقا والآخر غربا. فربما أطلق المؤلف اسم هذا الجزء من مرتفعات العرمة على سائرها. ابن خميس، معجم *اليمامة*، العرمة، الثمامة.

الكويت في السابع عشر من الشهر المنصرم. وحيث لاحظت أن جمالنا على ما يبدو كانت تعرف طريقها كما تعرف أصحابها خلال هذه البراري غير المطروقة، وحيث لاحظت أيضًا أن هذه الجمال عندما تُحمَّل وتطلق في الصباح، كانت دائمًا ترعى وهي تسير في الاتجاه الصحيح. سألت رفاقنا عن غريزة الإبل فيما يخصّ علاقتها بالمكان، فأكّدوا لي أن الإبل تستطيع دائمًا أن تجد طريقها في أي مكان سبق لها المرور به. وقد أشاروا — زيادة لي في الإيضاح — أنه عندما كانت كل جمالهم التي معنا تُطلق بعد حط الرحال، فإن ذلك الجمل الظفيري كان يُعقل عندما نتوقف، كما أنه كان آخر بعير يشد عليه عندما نبدأ المسير، وذلك لأنه من إبل قبيلة الظفير النازلة بقرب الفرات، فلو لم يُقيد لسار من حينه متجهًا إلى دياره.

اليوم الثاني من مارس: لقد خَيَّمنا في الليلة السابقة على ضفة مسيل وادٍ، بعد مسيرة حوالي ست ساعات من الآبار. وقد أخذنا طريقنا هذا الصباح متبعين الجانب الأيسر من ذلك الوادي، حتى إذا ما أقبل الظهر كنا قد اقتربنا من منابعه المنحدرة من حزامٍ من المرتفعات يشكل الجانب الغربي للعرمة. لقد كانت هذه المرتفعات تُشكل ما يشبه المدرج الواسع الممتد أمامنا إلى اليسار واليمين. وكانت هناك فجوة واضحة في منتصف ذلك القوس، حيث كان كل ذراع من تلك المرتفعات ينتهي فجأة بجرف شديد الانحدار.[١٠٩] إن هذه المرتفعات تُشكل خط تقسيم مياه العرمة. فالشعاب المتجهة شرقًا تصب في أودية متعرجة تفرغ في الدهناء، أما تلك التي تنحدر على الجروف الغربيّة فتسقط فجأة إلى سهل ضيق يمتد بين سفوح تلك الجروف وضلع

(١٠٩) هذه الفجوة التي تشق مرتفعات العرمة هي ثَنِيَّة الثُّمامة أو ريع الثُّمامة الذي يسلكه الطريق من الرياض إلى الكويت والبصرة. وهذا الريع هو خط تقسيم المياه بين وادي الثمامة المتجه شرقا ووادي الثمامة المتجه غربا، والثاني أقصر من الأول. أما الجُرفان الشديد الانحدار على جانبي الريع، فالجنوبي منهما يسمى «زور صالح»، بينما يسمى الشمالي «خشم الثمامة»: ابن خميس، معجم اليمامة، مج ١، ص ص٢٣٩ - ٢٤١.

طويل وعريض من كثبان الرمل.[١١٠] وبالنظر إلى اتجاهات المرتفعات والسهل الضيق والكثبان الرملية، نجد أنها تتبع الاتجاه نفسه، كما أن لها الطبيعة نفسها غير المتناسقة، إذ تبدو وكأنها نوع من التحصينات الطبيعيّة.

لقد كان طريقنا يمر منحدرًا عبر الفجوة أو الشِعب الذي كان أول موضع رائع المنظر نقابله، حيث كان ثمة نوع من الممرات الوعرة التي تتعرج بين جوانب شديدة الانحدار ذات غطاء نباتي متوسط، ويظهر عليها أثر اندفاع المياه. لقد كانت تلك الجروف تُظهر للعيان مقاطع رائعة من المرتفعات. وفي نهاية الشعب مباشرة، تُفضي الفجوة إلى السهل الضيق الذي أشرنا إليه توًا. لقد وجدنا أن ضلع الكثبان الرملية المجاور، أعلى وأشد صعوبة من كل الكثبان التي اجتزناها في الدهناء. فقد استغرق عبوره ساعة وربع ساعة. لقد حططنا الرِّحال للمبيت على طرفه الأقصى بالقرب من تلٍّ رملي رائع على شكل هرم. وكنَّا قد رأينا هذا الهرم من ذروة الفجوة ينتصب مرتفعًا فوق كل الكثبان الرملية في اتجاه الجنوب الغربي. وعندما نظرنا إلى الخلف من الموضع الذي توقَّفنا فيه، كنا نستطيع رؤية مرتفعات التهامة (العرمة) — التي مررنا للتو من خلال شِقَّيها — تتجه مبتعدة إلى الناحية الشمالية الغربية وتنتهي إلى حيث يصل النظر على هيئة جُرف شامخ. وبالطريقة نفسها تتجه تلك المرتفعات إلى الجنوب الشرقي، ولكن يبدو أن خطَّ الكثبان الرملية ينقطع في هذا الاتجاه. لقد قدَّرت ارتفاع مرتفعات التـهامة (العرمة) بأقل من ألف قدم فوق مستوى السهل المجاور. وعلى الجملة وكما ذكرت سابقًا، فإن منطقة العرمة ذكرتني كثيرًا بالصمَّان الواقع على الجانب الآخر من الدهناء، ولكن مع فرق واحد وهو أن بطون وديان العرمة كانت أكثر وضوحًا وأفضل نباتًا وتحمل آثار اندفاع مياه أعنف. وعلى كل حال لا يظهر على وجه التأكيد أن متوسط سقوط الأمطار في العرمة أكثر منه في الصمَّان. ولكن تحدر الوديان أشد، وقوة دفق الماء

(١١٠) هذا الضلع المستطيل من كثبان الرمل هو كثيب الغينة أو عُريق بنبان، وهو كثيب يمتد مسافة ثمانين كيلا من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة المرتفعات الغربية للعرمة. يبدأ بالقرب من روضة الخَفْسِ وينتهي بالقرب من شمال شرق الرياض. ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج١، ص ص٤٧٩-٤٨٠.

هنـا أكثر. كما أن الطقس تحسن كثيرًا منذ أن تجاوزنا الدهناء، فأصبح الجو ألطف وساعات الصباح سائغة البرودة، بالرغم من استمرار الحرارة في فترات ما بعد الظهر، واستمرار الشمس وسطح الأرض في التوهج. لقد مررنا اليوم بعدد قليل من بيوت الشَّعر التابعة لقبيلة قحطان فوق الفجوة بقليل. وقد رفضوا إعطاءنا حليبًا، كما رفضوا أن يبيعونا عنزًا، مدعين بأنه لم يكن لديهم إلا الإناث من الغنم وأنهم يحتاجونها جميعًا للحلب.(١١١)

٥٦. لقد غادرنا الضلع الرملي (عريق بنبان) في صباح اليوم الثالث من مارس، وسرنا لمسافة ثلاث ساعات عبر سهل، ثم بعد ذلك وصلنا إلى طرف منخفض من تلال العارض. تقع الرياض من هذا السهل في اتجاه الجنوب وكان ذلك هو اتجاهنا المباشر. ولكنني كنت راغبا في زيارة سدوس، ولذلك دخلت في مشاجرة للمرة الثالثة أو الرابعة مع رفاقي العرب بسبب هذه المسألة. لقد كان الشيخ السبيعي على وجه الخصوص عنيدًا جدًّا، وعندما وجد أنني مازلت مصرًا على رغبتي، ادعى أخيرًا بأنه كان قد ترك عباءة في إحدى القرى المجاورة عندما مر آخر مرة من هذه الطريق، وأنه سينحرف الآن لكي يأخذها إذا ما أذنت له ثم يلحق بي في المساء وكان القصد من كل هذا، بطبيعة الحال، أن يتمكن — إذا ما تركته يتخلف عني لبعض الوقت — من التوجه على جمله مسرعًا إلى الرياض مباشرة لينشر إشاعة طويلة لحين وصولي إلى هناك، فرفضت طلبه وسار معنا. ثم أن هذا المُحتال استأنف المحادثة معي بعد ذلك بأفضل ما يمكن من التودد، فسأل عمّا إذا كنت أرغب في المشاركة في حملة يعتزم ابن الأمير القيام بها في غضون أيام قليلة قادمة إلى جهة مرتفعات قحطان في الغرب. فسألته عمّا يمكن أن يكون سببًا لتلك الحملة فأخذ يشرح قائلاً: إن الأمير قد تعهد بحماية الحجاج العابرين ضمن الأراضي النجـدية حتى يخرجوا من حدوده الواقعة على مسيرة يومين فقط من

---

(١١١) هناك عدة إشارات في هذا التقرير تفيد امتناع بعض البدو عن تزويد بِلي ورفاقه بالحليب أو الأغنام. وربما يعود هذا للغلاء الذي اشتد في نجد خلال السنة التي قَدِم المقيم فيها المنطقة (١٢٨٢هـ-١٨٦٥م) واستمر حتى منتصفها. انظر: الفاخري، *الأخبار النَّجدية*، ص١٨٧.

مكة. وكان الحجاج قد هُوجموا ونُهبوا من قِبَل القبائل القاطنة في تلك المرتفعات على ذلك الجزء من الطريق الذي يمر بديار قحطان.[١١٢] ولهذا السبب فإن عبدالله (ابن الإمام فيصل) سيخرج بقوة عسكرية خلال موسم الحج القادم لتطهير الطريق من قطّاع الطرق. فأجبت بطبيعة الحال، بأنه سيسعدني أن أتعرف على عبدالله، وأن أكون شاهد عيان على شجاعته المعروفة في الحرب. عند ذلك اقترح السبيعي الماكر، متشجعًا بهذه المشاعر الودية، أن أفضل طريقة لترتيب الأمر هي أن أقبل منصبًا قياديًا وأستقر في نجد نهائيًا. وسوف يزوجني الأمير فتاة عربية جميلة ذات عيون فاتنة وشعر طويل، وبالإضافة إلى ذلك فإنه سيمنحني المئات من الإبل والآلاف من الغنم وبعض الخيل وكل شيء أريده. فأشرت بأنه يجب أن يكون لي الحق في أربع زوجات. فأجاب: سيكون ذلك لك، سيكون ذلك لك، فقط استوطن في نجد!! فأكدت له أن العرض يبدو في الحقيقة سارًا جدًا، ولكنه بسبب كوني موظفًا في الحكومة فإنني ممنوع عن القيام بكثير من الأشياء التي ربما تكون مقبولة جدًا لولا ذلك. وأخيرًا وحين رأوا أنني مصمم على المضي استسلموا ولكن، على كل حال، ليس بدون نظرات غيظ واكتئاب، لأن رعبهم من الأمير — وقد اقتربوا من الرياض — كاد أن يصل إلى درجة الحُمّى على ما يظهر.

كنا حينذاك قد بدأنا للتوّ في الصعود إلى الحواف المنخفضة لمرتفعات العارض، أو بعبارة أخرى، إلى المناطق المرتفعة من قلب نجد. إن السهل نفسه يسمى الشّعيب

---

(١١٢) قبيلة قحطان من أكبر وأقوى القبائل في الجزيرة العربية أيام الدولة السعودية الأولى والثانية. وكانت منازلها تمتد من سفوح جبال عسير الشرقية إلى حدود منازل قبيلة الدواسر في الشرق، كما تمتد شمالا لتشمل أغلب عالية نجد الجنوبية، ومن أشهر منازلها وادي تثليث ووادي الركاء ووادي الرّين والعِرْض. وقد أصبحت قحطان في أيام الإمام فيصل بن تركي أقوى قبيلة في نجد، وأصبح زعيمها محمد بن هادي بن قَرْملة يسيطر على أفضل المراعي النجدية. وقد لعبت قحطان ورئيسها محمد بن هادي دورا بارزا في الصراع بين أبناء الإمام فيصل انظر: ابن بليهد، *صحيح الأخبار*، مج٢، ص ص١٢٩-١٣١؛ *لمع الشهاب*، ص ص٦٤-٦٥.

Shaab في النقطة التي قطعناه منها.[١١٣] وهو يمتد في اتجاه الشمال على يميننا حتى نهاية مرتفعات العارض الحقيقية، وهي مسافة تُعادل مسيرة يوم طويل إلى ناحية اليمين. ويأخذ السهل هناك اسم الباطنة Batinah[١١٤] حتى إذا ما اقترب من جبل طويق، حيث تمتد الأرض المنبسطة محاذية مباشرة للسفوح، أخذ اسم (سدير) الذي يعتبر واحدًا من أكثر المناطق استيطانًا وسكانًا في نجد. إن جبال طويق على وجه التحديد هي تلك المرتفعات التي تمتدُّ من الزُّلفي الواقعة في الجهة الشمالية الشرقية وراء سدير، ثم تتجه جنوبًا خلف المنطقة الموسومة بالمِحْمَل (Recess) ـ على الخريطة ـ حتى تصل إلى رأس وادي حنيفة، الذي تُحاذيه تلك الجبال (طويق) من الجهة الغربية.[١١٥] أما مرتفعات العارض، فتبدأ على وجه التحديد من النقطة التي تُشكل المدخل الشرقي للمحمل، ثم تأخذ في الاتساع وتمتد لتشكل الجانب الأدنى أو الشرقي من وادي حنيفة.[١١٦] أما فيما يتعلق بسهول الشَّعيب والباطنة (البطين) وسدير، فإنها جميعًا تمثل

(١١٣) الشَّعيب: اسمٌ حديث لوادي قُرّان القديم، الذي ينحدر من على جبل طويق في الغرب حتى يفيض في روضة الخَفْس في حضن العَرَمة. وأصبح اسم الشُّعيب يطلق على هذا الوادي وقراه والشعبان الصغيرة المجاورة الواقعة إلى الشمال مباشرة من وادي حنيفة. من أهم بلدانه، حُرَيْمـلاء ومَلْهَم والقُـرَيْنة وسدوس وصلبوخ والبَرَّة. ابن خميس معجم *اليمامة*، مج٢، ص٥٦.

(١١٤) يسمى هذا السهل البَطِين وليس البَاطنة، والبَطِين أو بَطِينُ المُلْتهبة، أو بطن العَتَك هو سهل منخفض مستطيل يمتد بحذاء الجانب الغربي لمرتفعات العَرَمة، بينها وبين حواف جبل طويق الشرقية، شمال منطقة المِحْمل. تفيض إليه سيول العَتَك الأعلى النازلة من سفوح طويق الشرقية وسيول العتك الأسفل المُنحدرة من مُرْتفعات العرمة الغربية. انظر: ابن بليهد، *صحيح الأخبار*، مج٤، ص٨٦؛ ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج٢، ص ص١٣٨ـ١٤٠.

(١١٥) تقع منطقة المِحْمل بين منطقة الشُّعيب جنوبا وسدير شمالا، إلى الشرق من منحدرات جبل طُويق بينه وبين بَطِين الملتهبة. من أهم بلدانه، ثادق والبير، والصُّفرَّات وَرَغْبَة. ابن خميس معجم *اليمامة*، مج٢، ص٣٤٤.

(١١٦) أشْكـل على المؤلف هنـا (وأيضًا في الفقرات ٦٦ ـ ٦٨ أدناه) تحديد مفهومي (طُوَيْق) =

الهضبة نفسها الممتدة ما بين مرتفعات ومنطقة العرمة على جانبه الشمالي الشرقي وبين مرتفعات طويق والعارض على جانبه الجنوبي والغربي.

٥٧. وأخيرًا دخلنا سلسلة (مرتفعات) العارض عن طريق وادي يُسمَّى وتر (Wattar) الذي يقطع المرتفعات مستعرضًا من جانب إلى الجانب الآخر، أي من سهل الشعيب إلى سدوس، ثم يستمر هابطًا إلى المِحمل[١١٧] ووتر وادٍ عميق بعض الشيء وواضح المعالم وله مَسيل تجري عليه السيول. وفي بعض الأماكن تظهر الجروف طبقات أفقية من الحجر الرملي. وقد أمضينا سبع ساعات في اجتياز هذا الوادي. وبعد مسيرة حوالي ثلاث ساعات وصلنا إلى منطقة صغيرة برقاء فيها جدول صغير يجري حيث كان أول ماء يجري رأيناه في جزيرة العرب. كانت هناك بالقرب من الجدول رقعة صغيرة مزروعة، وبعض أشجار النخيل وحصن صغير. وكانت تلك أول أشجار نخيل، وأول مزروعات، وأول مبنى نشاهده منذ أن غادرنا الكويت. يظهر أن أعلى ذرى هذه السلسلة الجبلية تقع في نقطة على بعد حوالي خمس ساعات من الجانب الشرقي لهذا الوادي. ولكنني أشك في كون هذه الذُرى تتجاوز كثيرًا حتى الألف قدم، بالرغم من مظهرها الذي يلوح شامخًا وعاليًا. ويظهر أن دفق المياه ينقسم في هذه النقطة أيضًا، حيث يسيل معظمها متجهًا غربًا إلى ناحية سدوس. لقد تغيرت سمات الوادي أيضًا،

= و(العَارِض)، فاعتبر كلا مُنْهما جبلاً منفصلاً عن الآخر. والحقيقة أن طُوَيْق والعَارِض واليمامة كلها أسماء لِمُسمّىً واحد، وهي تلك السلسلة الجبلية التي تمتد في وسط نجد من الشمال إلى الجنوب على شكل قوس ظهره إلى الشرق، وتبدأ من نفود الثويرات شرق القصيم شمالا حتى تندفن في رمال الرُّبع الخالي في الجنوب. طول هذه السلسلة حوالي ألف كيل، وعرضها يتراوح ما بين الثلاثين والخمسة والعشرين كيلا. وفي القرون المتأخِّرة أصبح اسم العارض يُطْلق على جزء من تلك السلسلة، وهو الجزء الواقع منه بين منطقة الشعيب في الشمال ومنطقة الخرج في الجنوب. ويشغل أغلب هذا الجزء وادي حنيفة بروافده وبلدانه، ويعرف سكانه بأهل العارض. ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج١، ص ص١٧-١٨، ٣٢، ٣٤؛ انظر أيضا مادة (طُوَيق) (العَارض) من المعجم نفسه.

(١١٧) يُعرف وادي (وَتَر) (بفتح الواو والتاء) الآن باسم وادي صُلْبوخ. ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج٢، ص ص٤٣٦-٤٣٧.

فأصبحت جُنباته أقل انحدارًا، كما أظهرت تلك الجُنبات في هذا الموسم المعتدل غطاءً خفيفًا من الحشائش الخضراء على سطوحها المحدودبة.

٥٨. لقد توقّفنا هذا المساء في سدوس[١١٨] التي كانت عبارة عن مجموعة قُرى صغيرة وجميلة ولطيفة، اجتمع بعضها إلى البعض الآخر في الوادي حول حصن صغير. وقد زاد من بهجة المكان عدد من بساتين النخيل المتفرقة وبعض الأراضي المزروعة والمسوَّرة. ومن ضواحي هذا الحصن يمكنك أن تطل غربًا إلى المحمل ومن ثم تعبر بنظرك إلى سلسلة طويق الشامخة. وأنا أصفها بالشموخ هنا من الناحية النسبيَّة، فليس بين سلاسل جبال نجد ما هو شامخ على الإطلاق. كما أنه ليس هناك أي شيء لافت للنظر في مظهرها. فليست هي بالوعرة جدًّا، ولا بالقفر، ولا هي أيضًا بالمخضرة أو الغنية بالمياه ولكنها إلى حد ما معتدلة في تجردها من النبات، تشبه التلال الإنجليزية مقشورًا عنها الغطاء الأخضر.

٥٩. تقع بالقرب من حصن سدوس رابية مكونة من ركام وأنقاض ما قد كان مبانٍ عظيمة في زمن مضى، وينتصب على تلك الأنقاض عمودٌ رائعٌ من الحجر المنحوت. لقد كان رأسه مكسورًا ولكن أسطوانة العمود نفسه مازالت ترتفع إلى حوالي عشرين قدمًا. وكانت الكتل الحجرية مستديرة حيث كانت كلُّ كتلةٍ متناسقةً في الحجم مع حجم العمود الذي ربما كان يبلغ قطره حوالي ثلاثة أقدام. وكانت القاعدة والقوصرة — والأخيرة مربعة — مقطوعة أيضًا من الحجر وبحجم مناسب لارتفاع

---

(١١٨) سدوس من أقدم قرى اليمامة وكانت تسمى القُرَيَّة، قال الهمداني، قرية بني سدوس من ذُهل بن ثعلبة، وهي قرية جيدة وفيها قصر سليمان بن داود عليه السلام مبنيّ بصخر منحوت عجيب خراب، وبقيت القصبة؛ *صفة جزيرة العرب*، ص٢٨٥، وقد بقي من ذلك القصر إلى أول القرن الرابع عشر للهجرة بناء شاخص كالمنارة، فيه كتابات منحوته في الصخر، فلما رأى أهل القرية السّياح يقصدون المكان لمشاهدة ذلك الأثر هدموه، نفورًا من الأجانب، انظر: *الألوسي، تاريخ نجد*، ص٢٦؛ الجاسر، *مدينة الرياض*، ص ص١١-١٢.

العمـود وقـطره. لقـد كان سكـان القـرية يستخرجون الحجارة والتربة من الأطلال المجاورة، كما كانوا يأخذونها أيضًا من قاعدة العمود نفسه. وفي الوقت الحاضر، فإن أساس العمود مهدد بالانهيار نتيجة الحفر، لدرجة أن تحريك عدد قليل من الأحجار من القاعدة سينتج عنه سقوط العمود.

يبدو أن الناس لا يعرفون شيئًا عن تاريخ هذا العمود، كما أن الأمير الذي سألته فيما بعد لم يستطع أن يُعطيني أية معلومات فيما يتعلق بأصله. ولا يبدو أن هذا العمود قديم، كما كان الملاط في المواضع المثبتة إلى بعضها من الطين. ومع هذا بدا أنَّ الجميع متَّفقون على أن تأريخه يعود إلى فترة سابقة لعصر الرسول (ﷺ). ومن المؤكد أنه لا يوجد في الوقت الحاضر في نجد من يستطيع تخيل أو تنفيذ بناء رائع كهذا. لقد كان هناك صليبان محفوران على أسطوانة العمود. فهل يكون هذا بعض بقايا إحدى الطوائف النصرانيَّة التي دخلت إلى الجزيرة العربيَّة خلال القرون الأولى للمسيحية؟ ومهما كان أصل هذا البناء، فإن انتصاب رمز للنصرانيَّة في قلب البراري السعوديَّة (الوهابية) يبدو نسبيًّا الآن أقل غرابة من وجود هذا العمود المتناسق معماريًّا بين مباني نجد. وقد أرفقت رسمًا تخطيطيًّا للعمود، رسمه السيد ديوز بعد زيارتنا له بوقت قصير.

٦٠. لقد كانت المنازل وجدران الحدائق في سدوس أنيقة ومتصلة مما يدل على عدم وجود العدوان أو العنف. وقد نصبنا خيمتنا بالقرب من الحصن الرئيس، وليس بعيدًا عن حافة المسيل الجاف الذي يقسم الوادي. وهنا اجتمع الناس حولنا في حالة من الذهول التي يشوبها شيءٌ من حُب الاستطلاع والغباء. لقد كانوا مهذبين وهادئين ولكنهم بدوا فقراء جدًّا. كما كانت تُجلِّلهم تلك الهيئة القذرة المؤذية التي يتوقع الإنسان أن يجدها في قرية صناعية أكثر من وجودها في قرية زراعية أو رعوية. أحضر القرويُّون لنا بعضًا من البيض وزوجًا من الطيور كهدية. ولكنني لم أرد أن أحرم أولئك البؤساء من الأخيرة، لأن حظائر دواجنهم بدت لنا فقيرة. وكان ذلك العدد القليل من الأبقار الهزيلة التي كانت تتجول حول الأفنية تشكل كل المواشي التي تمتلكها القرية. ومع هذا فإن سدوس تعتبر في نجد مكانًا مرغوبًا جدًّا. وكنت قد سمعت حتى على ساحل البحر

عن جمال حدائق نخيلها التي تزهو بها أعطاف الوادي، وعن خضرة المزارع، وترقرق المياه العذبة طول أيام السنة. وفي الحقيقة، ظهر لنا أن الناس كانوا يستغلون الأخيرة إلى أبعد الحدود، حيث إننا كنا نسمع السَّواقي تعمل إلى ساعة متأخرة من الليل. وعلى العموم، فإنه يمكن وصف سدوس بأنها واحةٌ في وادٍ.

٦١. الرابع من مارس - بعد أن بدأنا السير مباشرة هذا الصباح، صعدنا مرتفعات العارض عن طريق ممر ضيق ولكنه لم يكن صعبًا، ومن ثم خرجنا إلى هضبة ترتفع حوالي ثلاثمائة قدم عن سدوس. لقد كانت هذه الهضبة منثورة بفتات من الحجر الرملي، كما أن طبقة خفيفة من الأعشاب الجبلية الصغيرة كانت قد بدأت في الظهور. وحين تساءلت — على أية حال — بأنه لم يكن ثمة قطيع يرعى في أي مكان، أفهمني العرب، بأن حشائش مرتفعات العارض يُحتفظ بها لفصل الصيف والخريف. ويظهر أن القبائل تبدأ في التنقل متجهة إلى المناطق المنخفضة في نهاية الخريف، وتقضي الشتاء وبداية الربيع في أكثر ديارها دفئًا، ومن ثم تبدأ رحلة العودة لكي تكون في نجد مرة أخرى قبل بداية فصل الصيف.

٦٢. وعندما نظرنا من فوق الهضبة إلى الخلف في اتجاه اليمين كُنَّا نستطيع رؤية وادي سدوس وهو ينحدر إلى سهل المِحمل، ثم يعبر المِحمل الذي يتراوح عرضه ما بين خمسة عشر إلى عشرين ميلاً إلى أصل جبال طُويق، التي يمكن تتبُّع معالمها بوضوح. تقع قرى منطقة المِحمل على الجانب الأقصى منه تحت جبل طُويق. وكان على يميننا جُرف واضح في سلسلة جبال طُويق الذي وصفه دليلنا بأنه المدخل الشمالي إلى وادي حنيفة. وكنا نستطيع تتبع أعلى سلاسل طُويق الحقيقي ممتدة من تلك النقطة في اتجاه الخرج. وكانت تقع أمامنا إلى جهة اليمين، فيما بيننا وبين تلك السلاسل، مرتفعات أكثر انخفاضًا بدت وكأنها تنخفض لتشكل الجروف اليمنى لوادي حنيفة بالنسبة للداخل إليه من طرفه الشمالي. أما أمامنا إلى الجهة اليُسرى فتقع مرتفعات العارض، وأشار الدليل إلى أن الرياض تقع بالنسبة للنقطة التي كُنا فيها في اتجاه الشرق مع ميل إلى الجنوب الشرقي. كما تقع السَّلميَّة Sulaimeeyah بعدها بقليل، إلى جهة

الجنوب، ومن ثمَّ سيح اليمامة والخرج، وأخيراً تقع الحوطة من هناك في اتجاه الجنوب[١١٩] وعلى كل حال فالسِّيحُ ليس اسمًا لبلدة، ولكنه تعبير يُطلق على ينابيع المياه العذبة التي يكثر وجودها في نواحي منطقة الخرج، والتي يُرسل إليها أكبر عدد من خيول الأمير الأصيلة للرعي. إن أقرب هذه الينابيع تقع على مسيرة يوم كامل تقريبًا من الرياض، أما حصن ومنطقة الحوطة فتقع على مسيرة ثلاثة أيام من المكان نفسه.

٦٣. لقد تخطَّينا أعلى نقطة في الهضبة بعد صعودها مباشرة تقريبًا. كانت إلى يسارنا جبالٌ طويلة من الأراضي المتموجة، وعلى مسافة بعيدة، كانت هناك هضاب مستديرة قد سدَّت الأفق، وهي تكوِّن — على ما يبدو — أقصى المرتفعات الشرقية لسلسلة العارض. وبعد ذلك هبط بنا الطريق عبر منحدرٍ تدريجيٍّ يُشكل رافدًا من روافد وادي حنيفة. وقد دخلنا إلى ذلك الوادي على وجه التحديد من المكان الذي تنتشر فيه (أطلال) بلدة العُيينة المتهدمة على طول بطن الوادي. وهذه البلدة التي تمتد، أطلالُها إلى مسافة طويلة كانت العاصمة لسلالة بني عامر Beni Amer (آل معمر)[١٢٠]

(١١٩) تقع السُّلِمِيَّة في منطقة الخرج، بالقرب من مفيض وادي حنيفة، وتبعد عن الرياض حوالي ثمانين كيلا إلى الجنوب. أما سيح اليمامة، فهو المعروف قديما بسيح (جَوْ)، وهو قاعدة منطقة الخرج الآن. أما الحوطة، فهي حوطة بني تميم التي تقع عند ملتقى وادي بريك بوادي نَعَام — في منطقة الفَرْع ـ وهما ينحدران من جبل طويق شرقا في اتجاه الخرج ـ وتبعد الحوطة عن الخرج حوالي سبعين كيلاً إلى الجنوب العربي. ابن خميس، معجم *اليمامة*، السلمية، السِّيح، الخرج، حوطة بني تميم.

(١٢٠) أنْشَأَ بلدة العُيينة في منتصف القرن التاسع للهجرة — كما تقول الروايات المحلية ـ حسن بن طوق، جَدّ آل معمر (وليس بنو عامر كما ورد في النص) الذين ينتسبون إلى العناقر من بني تميم. وقد تَوَسَّعت العُيينة فيما بعد حتى أصبحت أكبر بلدة في نجد في بداية القرن الثاني عشر للهجرة، وأصبح رئيسها، عبدالله بن مُعَمَّر أبرز شيوخ بلدان نجد. ابن بشر، *عنوان المجد*، مج٢، ص ص١٨٩، ٢٣٦؛ ابن عيسى، *تاريخ بعض الحوادث*، ص ص٣٥، ٦٩، ٩٨.

كما أنها تدعي أيضًا، بأنها المكان الذي وُلد فيه مؤسس الدعوة الإصلاحية السلفية (الدين الوهابي).[١٢١]

لقد كانت الأطلال تمتدُّ في مجموعات متفرقة وتغطِّي كلَّ بطن الوادي على كلا جانبي مَسِيلةِ الحَصوي. إن عرض الوادي — على أية حال — لا يتجاوز عدة مئات من الياردات. وبالرغم من أن البيوت مهجورةٌ، إلا أنها في الغالب لا تزال قائمةً[١٢٢] كما أن بعض أشجار الجو Jow[١٢٣] أو الأشجار الأخرى قد أضفت على المكان منظرًا خلابًا ومظهرًا حيًّا. فعندما تنظر إلى المكان لأول وهلةٍ من المرتفع، فإنه يُخيَّل إليك أنه مازال مسكونًا. إن مجهودًا عظيمًا كان قد بُذل في وقت من الأوقات للتحكم بمياه السيول التي تجري بعد هطول الأمطار الغزيرة عبر الوادي بعمق عدة أقدام، ومن ثم

(١٢١) ولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، رائد الدعوة الإصلاحية (الوهابية) في بلدة العيينة عام ١١١٥هـ/١٧٠٣م. وكان كلٌ من جده، الشيخ سليمان بن علي بن مشرف (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) وأبوه عبدالوهاب (ت ١١٥٣هـ/١٧٤٠هـ) قد شَغَلَ قضاء العُيَيْنة. ابن بشر *عنوان المجد*، مج٢، ص٢١٠، ٢٢٦. البسام، *علماء نجد*: ص٢٦-٢٧.

أما دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فلم تكن دينًا جديدًا، وإنما هي دعوة لتصحيح عقيدة المسلمين وسلوكهم والرجوع بهم إلى الأصول الأُولى التي كان عليها المسلمون في صدر الإسلام. وواضح أن المؤلف يُردد ما كان يسمعه من أعداء الدعوة الإصلاحية في منطقة الخليج في ذلك الوقت.

(١٢٢) بدأت العُيَيْنة في الضعف في الوقت نفسه الذي أخذت فيه بلدة الدرعية المجاورة في الازدهار كقاعدة لنجد في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة، حيث استقطبت الدرعية كثيرا من سكان العُيينة. وقد أسهم في إضعاف العيينة ثم خرابها، منافسة رؤسائها مثل عثمان بن معمر ومشاري بن معمر لرؤساء الدرعية الذين عاضدوا الدعوة الإصلاحية. ابن بشر، *عنوان المجد*، مج١، ص ص٣٤، ٣٦، ٣٩، ٥٢؛ ابن غنام، *تاريخ نجد*، ص٢ جـ١، ص٩٤، ٩٦، ٩٨، ١١٣ وكذلك غَوْر وجَفَاف مياه آبارها فيما بعد، فهجرها سكانها. ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج٢، ص ص٢٠٣-٢٠٤.

(١٢٣) لم تُشر معاجم النبات التي بين أيدينا إلى نوع من الشجر بهذا الاسم. ولعله خطأ في الطباعة أو النقل قد حدث هنا.

تخترق قلب البلدة من البداية للنهاية. وكانت هناك جدران حاجزة من الحجر الجيري المشذَّب، ولكن بدون ملاط، تتبع مجرى السيل، وهي في حالة لا بأس بها. وكانت تلك الجدران تعاود الظهور بين الحين والآخر لمسافة تقرب من الميلين. لقد كانت حوافُّ الجدران الحاجزة ممهَّدة بطريقة تُشبه رصيف الميناء، الذي بُنيت على طوله بيوت البلدة القديمة. ويقع الحصن أو القلعة القديمة الذي يقيم فيه الرئيس في واحد من الفُرج الشرقية للوادي، محصورًا بين مرتفعات العارض ومجرى السيل. وقد وجدنا فلاحين أو ثلاثة فقط بين الأطلال. وكان هؤلاء يسكنون في المنطقة السفلى من البلدة، حيث كانوا يزرعون واحدة أو اثنتين من المزارع القديمة بمحصول جيد من الذرة. وكانوا يسقون هذه المزارع بواسطة زوج من الدواليب الفارسية (السواني).

لقد كان الفلاحون مهذبين، فنزلنا في مزرعتهم، حيث استرحنا هناك لمدة ساعة أو ما يقاربها، وجدَّدنا نشاطنا بشرب حليب الإبل. سَألنا الفلاحون من أين أتينا وإلى أين نحن ذاهبون؟ فلما أخبرناهم بأننا إنجليز ذاهبون لمقابلة فيصل بدا عليهم عدم القدرة على فهم منطق تلك المقابلة.

٦٤. إن اتجاه وادي حنيفة من الجُرف الواقع عند مدخله إلى النقطة التي دخلنا إليه عندها، يستدير تقريبًا من الغرب إلى الشرق. وقد أخذنا طريقنا مُتبعين مجرى سيل الوادي طيلة ما تبقى من سيرنا ذلك اليوم. فالتوى بنا الطريق في اتجاه الجنوب الشرقي، ثم إلى الجنوب، ثم إلى الشرق مرة أخرى، بميل إلى الجنوب، ثم إلى الشرق، وبعدها إلى الجنوب، ثم إلى الشرق حتى إذا اقترب مغيب الشمس وصلنا إلى نقطة انشعب عندها الوادي فاستمرت الشعبة الرئيسة متجهة إلى الجنوب، بينما استدارت الشُّعبة الفرعية — التي تبيَّن أنها مجرد رافد — استدارة حادة إلى جهة الشرق. ولقد أضفى مسجد ومزرعة صغيرة وجدول ماء على الوادي الأصغر بعض الحياة، فتوقفنا في ذلك المكان لقضاء الليل.

ويبـدو أنَّ لوادي حنيفة في الأماكن التي تتبّعتُها منه سِماتًا مُطَّردة، فهو وادٍ لا يتجاوز عرضه عدة مئات من الياردات، تُحفُّ به من الجانبين جروف مستوية القمم

تتعـاقب مع بعض المنحدرات المنخفضة. ولم يتجاوز ارتفاع القمم المجاورة مباشرة للوادي، على أية حال، من المائة قدم إلى مائتين من الأقدام. وكان هناك العديد من الروافد تصبُّ في الوادي، وكان أعظم هذه الروافد هي تلك التي تنحدرُ من طويق أو الجهة الغربية، كما أن كلاً منها يحمل آثار انحدار المياه. وقد قيل إنه بعد هطول أمطار غزيرة على المرتفعات، يجري السيل منحدرًا بعمق يتراوح ما بين سبعة أقدام إلى ثمانية أقدام.

٦٥. لقـد مررنـا فيما بين العُيينة والمكان الذي توقّفنا فيه بعدَّة قُرى صغيرة، أخـذت مواقعها على نحو جميل بين مجموعات من الأشجار، وكانت تملأ كلَّ عرض الوادي. لقد كانت كل هذه القرى المتوسطة مأهولة. وكان مجرى السيل في كل منها قد أمكن التحكم به بطريقة بارعة ضمن جدران حاجزة تُشبه تلك الموجودة في العُيينة. وقد قابلنا أيضًا بعضًا من رجال الأمير متجهين إلى الشمال، بالإضافة إلى واحد من أهل سدير؛ كان عائدًا إلى بلده راكبًا بعيره ومصطحبًا زوجته. وكان جميعهم مُهذبين بدرجة كافية.

٦٦. يظهر أنَّ هناك بعض الاضطراب فيما يتعلق بجبال طويق[١٢٤] فيبدو أن جبال طويق الحقيقية هي تلك السلاسل العالية والبعيدة التي رأيناها هذا الصباح ممتدة من الخرج في اتجاه الجنوب، ثم تستدير مارَّة بالحوطة باتجاه الغرب. ومن هناك تتجه شمالاً إلى الزُّلفي، حيث يبلغ طولها مسيرة عشرة أيام — وهكذا يمكن تحديد جبال طويق بأنها تقتصر على السلاسل العليا الغربية، بينما تشكل مرتفعات العارض كل السلاسل المنخفضة والأنوف المواجهة لوادي حنيفة والرياض.

٦٧. ومن ناحية أخرى، وفي بعض الأحيان، يمكن أن يفهم جبل طويق على أنه كل الأرض المرتفعة إلى الغرب والجنوب من وادي حنيفة. وهكذا فإنه يشكل كل السلاسل العالية المذكورة آنفًا، وكذلك أيضًا السلاسل المنخفضة إلى الجروف التي

---

(١٢٤) انظر حاشية رقم (١١٦) فقرة رقم (٥٦) أعلاه.

تُطل مباشرة على وادي حنيفة. بهذا المفهوم، فإن الحدود الشرقية لجبل طويق ستكون وادي حنيفة على طول امتداده. وإلى الشمال من وادي حنيفة، يحدّه وادي المِحمَل الشبيه بالتجويف، وإلى الشمال من المِحمَل يمتد طويق على طول منطقة سدير حتى ينتهي إلى الزُّلفي.

٦٨. وأخيرًا وفي الختام، فإن كل المناطق المرتفعة من نجد، ومن الحوطة مرورًا بالخرج والرياض والشِّعيب وشمالاً من هناك إلى الزُّلفي والقصيم والوشم، تعرف بطويق. (١٢٥) ومن هذا المفهوم فإن العارض يُمثل فقط قسمًا من طويق بينما طويق يمثّل تعبيرًا مُرادفًا لنجد أو مرتفعات وسط جزيرة العرب. (١٢٦)

٦٩. في صباح اليوم الخامس من مارس، غادرنا مكان مخيمنا في وادي حنيفة، ثم بعد ذلك مباشرة تقريبًا سرنا صاعدين في هضبة العارض، حيث ارتفعنا ما بين المائتي قدم والثلاثمائة قدم. ومن ثَمَّ، بعد أن اتجهنا جنوبًا، سِرنا عبر تلالٍ جرداء متموجة في اتجاه الرياض.

٧٠. لقد امتدت المنخفضات إلى مسافة بعيدة عن يسارنا أو في اتجاه الشرق كما امتدت في كل ما يواجهنا في الجنوب الغربي والغرب، بينما تلاشى الأفق في مرتفعات

(١٢٥) لا تُعتبر القصيم ولا الوشم أجزاء من طويق. فالقصيم هو المنطقة المنبسطة التي تشكل حوض وادي الرُّمَة والواقعة إلى الشمال الغربي من طرف طُويق الشمالي. أما الوشم فيقع إلى الغرب من طويق الشمالي، يفصل بينه وبين طويق رملُ الرَّغام أو عُريق البلدان.

(١٢٦) إن ما يدل عليه «تعبير نجد» أوسع بكثير مما يدل عليه «تعبير طُويق» فمسمى نجد يشمل (عالية نجد) وهي المنطقة المرتفعة والمستوية الواقعة بين سفوح جبال الحجاز في الغرب وجبل طويق في الشرق. كما يشمل أيضًا (سافلة نجد) وهي جبل طويق أو اليمامة وما يحف به من أودية وسهول ورمال من الجهتين الشرقية والغربية. أما جبل طُويق فهو اسم يُطلق فقط على تلك السلسلة الجبلية الطويلة التي تمثل أعظم وأطول مرتفعات سافلة نجد. ابن خميس، *معجم اليمامة*؛ مج١، ص ص١٧-٢٤؛ *وانظر أيضًا: ابن جنيدل، عالية نجد*، مج١، ص ص٣-١٦.

العارض وجبال طويق. ويبدو أن الانحدار التدريجي للمنطقة يميل قليلاً إلى ناحية الجنوب. لقد تجاوزنا وادي حنيفة حالاً إلى يميننا على مسافة تتراوح بين الميل والميلين، فبدا وكأنه شِعْبٌ صغيرٌ أكثر من كونه واديًا، وكنّا نستطيع رؤية جروف ذلك الشعب وروافده وكأنها صدوعٌ سوداء في الهضبة. وبعد أن خرجنا من رافد الوادي الذي كنّا فيه بقليل مررنـا بقـرية صغيرة إلى اليمين. وبعد حوالي ساعة وصلنا إلى تحصينات الدَّرعية — العاصمة القديمة — وأطلالها.(١٢٧) لقد كان طريقنا يمر عبر التحصينات المهملة. وكانت البلدة تقع إلى يميننا وقد اتخذت موقعًا رائعًا في تجويف يؤدي إلى أسفل وادي حنيفة. وكان الموقع يبدو خاليا تماما، وكانت أطلاله التي تمتد إلى مسافة غير قصيرة تشتمل على كثير من المنازل ذات الطوابق. ويظهر أن الحكومة السعودية (الوهابية) عندما استولت على الرياض من قبيلة بني دواس وأقامت عاصمتها هناك هدمت بلدان وادي حنيفة القديمة ومنها الدرعية. لإجبار السكان على الهجرة إلى العاصمة الجديدة. وعندما هُوجم السعوديون (الوهابيّون) فيما بعد من قِبَل الأتراك. تركوا الرياض مؤقتاً إلى الدرعية، لأن موقع الدرعية وتحصيناتها كانا أكثر ملاءمة للدفاع.(١٢٨)

٧١. وقبل وصولنا للرياض بحوالي ساعة واحدة. مررنا بمنزل ريفي ومزرعة للأمير وأعقب ذلك مباشرة بعد أن سرنا منحدرين، رؤيتنا البلدة — الرياض — أمامنا وعلى اليمين منا. لقد بنيت على مرتفع من الأرض لا يبعد كثيرا عن وادي حنيفة، وقد

---

(١٢٧) بلدة الدرعية هي الموطن الأصلي لآل سعود، وبعد أن عاضد آل سعود دعوة الشيخ محمد بن عبدالـوهاب الإصلاحية، وأسسوا الدولة السعودية الأولى على أساس تلك الدعوة، أصبحت الدرعية عاصمة لتلك الدولة، وأكبر مدينة في نجد حتى سقوط الدولة السعودية الأولى وعاصمتها الدرعية وخرابها على يد القوات المصرية العثمانية عام ١٢٣٣/١٨١٨م.

(١٢٨) استولت الدولة السعودية الأولى على الرياض من دِهام بن دَوّاس عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣، لكنها لم تتخذ منها عاصمة ولم تهدم بقية بلدان وادي حنيفة، بل بقيت الدرعية هي العاصمة حتى سقوطها وهدمها على يد إبراهيم باشا عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م. وأول من اتخذ من الـرياض عاصمـة له هو الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية في عام ١٢٤٠/١٨٢٤م لكنه أيضا لم يهدم أيًا من بلدان وادي حنيفة ولم يُجْبر سكان تلك البلدان على الهجرة إلى الرياض.

بدت البلدة فسيحة ولطيفة دون زخرف أو تجمل. فقد كانت بناياتها باللبن، أما ضواحي البلدة فقد أنعشتها حدائق النخيل القليلة والبهيجة. إن كلمة رياض تعني — بصيغة الجمع — الحدائق أو الأراضي المزروعة. وكان ثمة أراضٍ مزروعة في المناطق المجاورة للرياض حيث كانت تسقى زروعها من آبار يبلغ غور مياهها ٤٧ قدمًا. وعلى العموم فإن البلدة وضواحيها تبدوان في حالة جيدة، كما يبدو أن هناك من يرعاها.

٧٢. لقد قابلني خارج البلدة مبعوث من قبل الأمير، وأبدى ترحيبًا مقتضبًا وإن كان كافيًا، ومن ثم ذهب بي إلى بيت معزول تحفه مزرعة، كان مخصصًا للترك وغيرهم من الكفار. وبعد قليل جاء سكرتير الأمير (محبوب)[١٢٩] الذي كان موضع ثقته، وأخبرني أنهم رأوا من الأفضل إبقاءنا بعيدًا عن البلدة لأننا ندخن (المُخْزى)[١٣٠] مما قد يعرضنا لاعتداء أحد علينا. وقدمت رفاقي إلى السكرتير. وبعد أن غادر مباشرة، سأل عما إذا كان الشخص الذي كان يضع القبعة البحرية على رأسه من أولئك القواد البحريين الذين تعودوا على حصار السفن في الخليج الفارسي؟ وبعد ذلك عبر السكرتير عن المرارة الشديدة التي تشعر بها حكومته تجاه من سبقني في منصبي بالمقيميَّة. وقال إنهم عزموا على الثأر منه لو أنه بقى في الخليج، انتقاما للإصابات التي سببها ضباطنا البحريون. وفي المساء، عاد السكرتير مرة أخرى، وأعاد الموضوع نفسه في حضور رفاقي. وفي أثناء ذلك اختفت القبعة البغيضة. وكان السكرتير قد تحدث مع الأمير (بشأننا) وقد وضحت للسكرتير أن الضابط الشاب الذي يرافقني لم يكن من الضباط البحريين الذين استولوا على السفينة وقبضوا على العبيد، ولكنه مجرد ضابط عُيِّنَ لمرافقتي، وأنه من الضروري وجود ملاَّح متمرس عند عبور محيطات الرمال مثلما هو ضروري عند عبور محيطات الماء.

(١٢٩) انظر عنه فقرة ٥٠ أعلاه وفقرة ١١١ أدناه.

(١٣٠) يقصد التبغ.

٧٣. أطلع السكرتير بعدئذ على الهدايا التي اقترحت تقديمها للأمير وابنه كما اطلع على هدية أو اثنتين — أقل قيمة ـ كنت قد اقترحتها لشخصة، لكنه — مثل غيره ـ كان يسيطر عليه رعب شديد من الأمير، وقد خاف أن يأخذ نصيبه، بل لقد خاف من مجرد رؤيته للهدايا. فقد نهض فجأةً وغادر مسرعا، ذاكرًا أن ثمة جواسيس يراقبونه. وعندما سألته متى سيكون الوقت مناسبًا بالنسبة للأمير حتى أزوره، لم يكن قادراً على الإجابة، ولكنه قال إن الإمام رجلٌ متدين جدًّا وأنه اعتاد صيام يومين آخرين بعد انتهاء شهر رمضان ولما كان الغد هو أحد هذين اليومين، فمن المحتمل أن تؤجل الزيارة.

٧٤. في صباح اليوم السادس انتظرت بطبيعة الحال رسولاً من سموه، لكن أحدًا لم يصل. وظهر أن أتباع الأمير — حول المنزل — متحفظون ومتيقظون، وعلى كل حال فقد بدا وكأن الاستقبال سيكون فاتراً. وبعد الظهر بقليل أرسل الإمام من يقول إنه سوف يكون مسرورا بمقابلتي في المكان الذي يصلي به في قصره.[١٣١] وبدون أدنى تأخير ذهبت إليه مصطحبا موظفي معي. لم يكن القصر بعيدًا إذ كان يقع في وسط البلدة. وأمام القصر كان ثمة ميدان واسع، وبعد بوابة القصر الخارجيَّة مباشرة كان ثمة عددٌ قليلٌ من المدافع القديمة تعوق المرور. لم يكن أي جزء من المبنى متسمًا بالتعقيد. وكان مكان الاستقبال عبارة عن قاعة سفلية طويلة ذات أعمدة خشبية كانت قد قطعِّت بطريقة بدائية. وكان الدخول للقاعة عن طريق سلم معتم. لقد وجدت الإمام جالِسًا في صدر القاعة على سجادة صغيرة جميلة، ساندًا ظهره إلى وسادة وثيرة. وكان ابنه الأصغر جالسا بالقرب منه[١٣٢] وكان سكرتيره محبوب موضع ثقته يجلس على

(١٣١) لقد وصف بلجريف القصر والساحة التي أمامه وصفًا مفصّلاً وهو غير قصر المَصْمَك الذي بناه الأمير عبدالله بن الإمام فيصل قريبا من تلك الفترة، ويظهر من وصف بلجريف أن قصر الإمام فيصل كان يشغل المكان نفسه الذي يشغله قصر الحكم الآن Palgrave, *Narrative*, I, pp. 392-93. ويفهم من كلام الشيخ حمد الجاسر أنه هو قصر دهام بن دواس (*مدينة الرياض*، ص١٠٨).

(١٣٢) كان أصغر أبناء الإمام فيصل، الأمير عبدالرحمن (والد الملك عبدالعزيز) الذي كان في حوالي الرابعة عشرة من عمره في ذلك الوقت، وكان بلجريف الذي زار الرياض عام =

مسافة منه في مكان منخفض عن ذلك المكان الذي يجلس فيه الأمير. وعندما اقتربت من الإمام نهض بصعوبة، وصافحني وتحسس كل يدي ببطء، ثم طلب مني الجلوس بالقرب منه على السجادة، لقد كان كفيف البصر تمامًا، لكن ملامح وجهه كانت عادية، تمثل الهدوء والصرامة ورباطة الجأش والطمأنينة. لقد كان الإمام يبدو متجاوزا السبعين من العمر. وكان يرتدي ملابس فاخرة تنم عن ذوق. إذ كان يلبس فوق الكوفية العربية عصابة (عمامة) مطوية من الكشمير الأخضر. لقد كان صوته ينساب انسيابًا حسناً، كما كانت عباراته هادئة وموزونة. لقد كان جليلاً إلى درجة قريبة من الوداعة، ومع هذا تشعر أنه يمكن أن يكون قاسيا عديم الرحمة. وبعد تبادل التحيّات، قدمت له مساعدي، كما عبَّرتُ له عن سروري لمقابلته والتعرف عليه. فأجاب مشيرا إليَّ — ولكن بعبارات أقل صراحة من عبارات سكرتيره في الليلة السابقة — بأنني أعلم أن الرياض مكان غريب بالنسبة لزائر أوروبي، فلم يسبق أن سمح لأوروبي بدخولها، (١٣٣) ولكن الأمور ستتيسَّر بسبب ثقته بي. ولقد أكدت له بأنه سبق لي أن قمت بعدد من الزيارات المماثلة لحكام وسط آسيا، وإنني أحتفظ بذكريات طيبة عن كل زيارة من هذه الزيارات. وأنني لا أشك في أن مقابلتي مع سموه سوف تحقق قدرًا مساويًا من النجاح لما حققته زياراتي لحكام وسط آسيا، وأنه سوف يزول أقل قدر من عدم الارتياح، يكون قد خامر ذهن الأمير، بسبب أحداث سابقة. إن الحكومة الإنجليزية (البريطانية) في الحقيقة لم تكن لها أية رغبة — فيما يتعلق بقبائل الجزيرة العربية - سوى رؤيتها وهي تعيش في سلام ورفاهية في مناطقها تحت رعاية حكامها. وقد أجاب الأمير أن علاقاته قليلة مع الدول الأجنبية بالرغم من أن له وكلاء في كل

= ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، قد قدر عمر الأمير عبدالرحمن بين ١٠-١٢سنة. Palgrave, *Narrative*, II, 75 ويظهر أنه هو الذي وجده المؤلف جالسا بقرب الإمام.

(١٣٣) لقد سبق وليم بلجريف (William G. Palgrave) الكولونيل بلي إلى زيارة الرياض بحوالى ثلاث سنوات، وبالتحديد في أواخر عام ١٢٧٩هـ(١٨٦٢م). لكن ذلك الرحالة الإنجليزي كان متخفيا في زي تاجر مسلم من بلاد الشام له معرفة بالطب، وليس رجلاً أوروبيًا. انظر: بيرين، *اكتشاف جزيرة العرب*، ص ص٢٩٨-٣٠٣. winder, *Saudi Arabia*, pp. 221-22.

بلد يطلعونه على كل ما يحدث من أمور. وكان الإمام — دائما — يتكلم عن نفسه بصيغة الجمع جاعلا كل الجزيرة العربية تقريبا مملكة له، إذ قال مرة: «هذه الجزيرة العربية من الكويت إلى القطيف إلى رأس الخيمة، إلى عمان إلى رأس الحد، وما وراءه — هي التي أعطانا الله إياها.» لقد أشار إلى أن الأتراك قد استولوا على بعض المناطق التابعة له في وقت سابق ولكنه لم يكن يخاف منهم. وفي إحدى المناسبات سألني عما إذا كنّا نميل إلى مساعدته في محاربة الأتراك أو أي قبيلة أخرى. ولقد شرحت له أن السياسة الإنجليزية في الشرق سياسة متحفظة وأنه في الوقت الذي يسعدنا دائما أن نرى جيراننا كأصدقاء وتجار في المناطق التابعة لنا، إلا أنه ينبغي ألا نسمح لأنفسنا بالمساعدة على العدوان. وقال الأمير إنّه كان قد سمع بعض الشيء عن الحكومة الإنجليزية من صديق قديم ـ وهو أحد باشوات مصر[١٣٤] — إنها — أي الحكومة الإنجليزية، تبدو من الناحية السياسية منظمة وجيدة، وأنّها أقل مخادعة من الحكومة الفرنسية. ومع هذا فقد رفع صوته مؤكدا «نحن نرفض دينكم» ثم أخذ بعد ذلك يهمس بدعوات مؤداها أن يبصر الله هؤلاء الكفار بسوء طريقتهم وفسادها. ثم أضاف «أن هناك دائما فرقا بين الحرب الدينية، والحرب السياسية. فعندما تكون المسألة دينية فإننا نقتل الجميع، ولكن عندما تكون المسألة سياسية فإن هناك استثناءات.» وبعد ذلك عاد الإمام إلى موضوع الفرنسيين، فقال إن سفينة حربية تابعة لفرنسا ذهبت إلى مسقط وعرضت خدمات عسكرية على السلطان لمساعدته في حربه ضد السعوديين (الوهابيين). وقد أكدت للإمام أنني لا أعلم من هذا الأمر شيئا، وأنني أعتقد شخصيًّا أنه قد أعطى معلومات خاطئة. عندها اندفع الإمام يتحدث بازدراء مر ضد سلطان مسقط واصفا إياه بأنه رجل ضعيف يحيط به رجال ضعاف، وغريق يحاول التشبث بالقش. ثم أردف «مسقط تابعة لنا. لقد أخذناها بقوة السلاح. إن الإمام السابق، السيد سعيد كان يفهم الأمور، وكان يسير وفق الاتفاقات، ولكن السيد ثويني[١٣٥]،

(١٣٤) ربما كان هذا الباشا هو حفيد محمد علي باشا، عباس باشا، الذي يُنْسَب إليه أمر تسهيل هروب الإمام فيصل ورفاقه من مصر عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م. Winder, *Saudi Arabia*, p. 142.

(١٣٥) السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي، سلطان عمان (١٢٢١-١٢٧٢هـ/١٨٠٦-١٨٥٦م)

أصبح وضعه مختلفاً ولذلك يجب أن يخضع بالقوة. وبعد ذلك رجع الإمام إلى موضوع الفرنسيين مرة أخرى، وقال إنه منذ سنوات كان قد تسلم رسالة من سفينة فرنسية تعرض عليه مساعدة بحرية أو برية إذا ما احتاج لها، ولكنه لم يجب على هذه الرسالة. ومنذ حوالي سنتين خليتا وردت رسالة حول الموضوع نفسه مع طلب بأن يرسل الإمام جوابه إلى القنصل في دمشق فأجاب على المراسلة شاكرا وموضحا أنه لم يكن يحتاج في ذلك الوقت أية مساعدة.

٧٥. سأل الأمير عما إذا كان لدي أي موضوع أحب أن أبحثه معه على انفراد. فأجبته بالنفي، وأن هدفي الرئيس من زيارته هو الرغبة في توثيق التعارف الشخصي مع حاكم مشهور، ولأن كلاً منا يرمي إلى هدف مشترك فيما يتعلق بحفظ السلام في منطقة الخليج الفارسي، فإنه يجب علينا أن نحتفظ بعلاقة صداقة مشتركة. إن المعرفة الشخصية بين أولي الفضل تكون مصدرا للثقة، وتحول دون قيام طرف ثالث بعمل مزعج وأنه لا يساورني الشك في أن زيارة المودة هذه ستحسن من علاقاتنا وسيكون لها أثر طيب على حضارة كل الشعوب الخاضعة لحكم كلٍّ منَّا. لقد ظهر أن الإمام كان مرتاحا لكل ما قيل، ثم أنه أنهى المقابلة قائلا إن هذه الزيارة كانت مجرد مقابلة رسمية وأنه يأمل أن أعود مرة أخرى بمفردي لإجراء محادثة خاصة.

٧٦. وفي صباح اليوم التالي بَكَّرت بزيارة الإمام بعد تحديد موعد معه، واصطحبت مترجمي فقط. وعندما وصلت لم يكن الإمام قد أكمل ارتداء ملابسه،

= والسيد ثويني ابنه ونائبه في مسقط، ثم خليفته (١٢٧٢-١٢٨٣هـ/١٨٥٦-١٨٦٦م). أرسل الإمام فيصل فرقة عسكرية بقيادة سعد بن مطلق في عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م إلى عُمان هدفها إعادة النفوذ السعودي هناك. وقد استطاع سعد ابن مطلق إجبار كل من سعيد بن سلطان وحمود بن عزان حاكم صحار على دفع الزكاة للدولة السعودية، وفي عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م، أرسل الإمام فيصل إبنه عبدالله إلى البريمي لتثبيت النفوذ السعودي في عمان، وقد نجح عبدالله في ذلك، وأجبر كلّا من حاكم مسقط وحاكم صحار على دفع الزكاة مرة أخرى. ابن عيسى، *عقد الدرر*، ص ص١٤-١٥، أبو علية، *الدولة السعودية الثانية*، ص ص١٣٣-١٣٤، ١٤٤-١٤٥.

فاستقبلني السكرتير في البداية، وقد كانت تغلب على سلوكه — في غياب سيده — الرعونة والفضول الزائدان عن الحد، لكن عندما دخل سيده لزم صمتا زائفًا ولم يتلفظ إلا بترديد العبارات الدينية التي يرددها الإمام، مع أنه — أي السكرتير — كان قد دخَّن سيجار الشيروت في غرفتي الخاصة كما طلب البراندي من المترجم، أما في حضرة الإمام، فقد كان يتحاشى كل شيء ما عدا النفاق، ويؤكد أنه من المستحيل أن تستمر الحكومة السلفية (الوهابية) مادام الناس يدخنون. وبعد قليل، فُتح بابٌ بالقرب من السجادة وظهر الإمام معتمدا على جاريتين، وعندما تخطى العتبة تسلمه عبدان، ولزم كل منهما أحد جنبيه، وقاداه إلى مكان جلوسه. لقد كان استقباله لنا اليوم وديًّا جدًّا، ولأمر ما قد حدث لا يسعني إلا الافتراض بأنه كان متفهما، حر التفكير[١٣٦] لقد تحدثنا في موضوعات شتى، فمن بين موضوعات أخرى، تحدثنا عن مشروعنا البرقي الجديد.[١٣٧] لقد قال إنه يخشى أن نواجه مشاكل كثيرة مع العربان. وأضاف أنه منذ سنوات مضت حاول عباس باشا في مصر أن ينشيء اتصالات بريدية مع نجد، لكنه عندما وجد أن مضايقات القبائل الرحل وأضرارهم لا تنتهي أجبر على التخلي عن محاولته تلك، رغم أنه في البداية كان قد أوقع بالعربان المعتدين أشد العقوبات. بعد ذلك تحدث الإمام عن حكمنا للهند خلال الفترة الأخيرة ومقارنته بحكم المسلمين. وقلت له إننا في الحقيقة لم نمكث في الهند إلا حوالي ٣٠٠ سنة فقط ولكننا ولله الحمد قد أصبحنا في رخاء عظيم هناك. ثم سأل مرة أخرى عما إذا كنا سنساعده في حربه مع أعدائه، ونستولي معا على بعض البلاد، أو عما إذا كنا مثلا نميل إلى تحالف ضد تركيا، أو نميل إلى غزو بعض البلاد في الشرق، مشيراً على ما أعتقد إلى فارس. فضحكت

(١٣٦) نص عبارة المؤلف: And from something which occurred, I could not but presume that he Was freemason.

(١٣٧) أوفدت حكومة الهند بعثة لمسح الساحل العربي للخليج لغرض مد خط برقي يصل بين الهند ولندن. وقد توصلت البعثة إلى عقد اتفاقيات مع شيوخ المنطقة في مايو عام ١٨٦٢م/١٢٧٩هـ، بشأن حفظ وحماية الخطوط البرقية. انظر: إبراهيم، *علاقة ساحل عمان*، ص ص٢٦٤-٢٦٥. ويبدو أن بلي كان يحاول ضم الإمام فيصل إلى تلك الاتفاقيات.

وكررت أنه سيسعدنا أن نرى رعيته يتاجرون في المناطق التابعة لنا ولكننا لا نستطيع الاعتداء. ثم تحدث الإمام بإدراك عظيم عن الأحوال الطبيعية والسياسية لشبه الجزيرة العربية موضحا حاجتها الشديدة للأمطار، فلو هطلت الأمطار بكثرة لأصبحت الزراعة ممكنة، وعندها قد تتحول القبائل (الرُحل) إلى حياة الاستقرار. وفيما بعد، أمر بإجراء اتصالات معي عن طريق سكرتيره، مفادها أنه سيكون مسرورا إذا أمكن جلب بعض الآلات إلى ضواحي العاصمة لرفع الماء، بحيث تكون من نوعية أفضل من آلة الدولاب الفارسي الشائعة[١٣٨] وأقوى منها. وقد أكدت له أنني سأكون سعيدا في أن أساهم في عمل حكيم كهذا. وقد تم الاتفاق في النهاية على أن أقيس عمق الماء في الآبار وأن أحصل له على زوج من المضخات المطورة أو أية آلات أخرى من انجلترا. وبناء على هذا قمت ببعض التحريات عندما وصلت إلى انجلترا. وبناءً على الموافقة الكريمة للسيد ليبارد Mr. Layard فُوِّضْتُ من قبل وزارة خارجيّة جلالتها لرصد مبلغ ١٥٠ جنيها لشراء مضخات، لتقديمها للإمام، لقد بينت الأحداث اللاحقة أنه لم يكن من المستحسن أن أقوم بإهداء المضخات في ذلك الوقت. لكن قد تبقى حقيقة الفوائد العظيمة ممثلة في إدخال الطاقة المائية المطورة إلى نجد، وفي الطريق إلى بوشهر الآن مضخة مطورة تعمل بطاقة الحيوان وقادرة على استخراج مائتي جالون من الماء في الدقيقة من عمق حوالي خمسين قدما.

٧٧. إن نجدًا نفسها تحتوي بين تلالها على بقايا قنوات ري كثيفة وقديمة،[١٣٩] وكانت تراود الإمام، الرغبة في إصلاح بعض هذه القنوات وخاصة تلك التي تتجه من المناطق المرتفعة إلى سدير. لكن العلماء اعترضوا على ذلك العمل المفيد، قائلين إن

(١٣٨) تُعرف الآلة الشائعة لرفع الماء من الآبار في نجد «بالمَحالة» وهي البَكَرةُ التي تُبنى فوق فُم البئر ليجري عليها (الرِّشَا) أو الحَبْل لإخراج الماء. كما تسمى هذه الآلة أيضا بالسواني نسبة للدواب التي تجرُّ ذلك الحَبْل على المَحالة جيئةً وذهابًا. انظر تفصيلات عن تركيب وعمل هذه الآلة في: السويداء، نجد *في الأمس القريب*، ص ص٣٤ـ٤٦.

(١٣٩) هناك قنوات ري قديمة بُنيت للاستفادة من العيون والسيوح التي تنبجس من أحضان جبل طويق على طول امتداده، وخاصة في مناطق الأفلاج والخرج ووادي حنيفة. وقد ذكر =

تنفيذه سوف يعرضه للإصابة من عيون الحساد، وبالتالي فإن الضرر — يقينًا — سيلحق به شخصيًا.(١٤٠)

٧٨. وأعود مرة أخرى إلى حديثي مع الإمام، لقد اختتم الإمام كلامه قائلاً: على كل حال، فإن شبه الجزيرة العربية مهما كان بها من عيوب، هي بلادنا، ويمكن القول إنكم تستغربون كيف نعيش هنا هكذا، منقطعين عن بقية العالم، ومع ذلك فنحن راضون. نحن أمراء على قدر حالنا. «إننا نشعر بأننا ملك بكل ما تحمل الكلمة من معنى.» ثم قال إنه يستطيع أن يسوس أمور أتباعه من العرب، وأن خطته تقوم على الضغط الشديد على رؤساء القبائل الموالين له عندما يقوم أتباعهم بالنهب أو يقترفون جرائم أخرى، وإذا أردت زيارة السجن فستجد أن فيه الآن أكثر من سبعين شيخ قبيلة. ثم أردف قائلاً «نعم إننا نتسم بالشدة والصرامة، ولكننا نعدل» ثم سألته أن يسمح لي برؤية سلالة خيله، فأجاب أن كل الخيول تقريبا ترعى في السيح بالخرج في ذلك الوقت، فإذا ما أحببت أن أقوم برحلة إلى هناك فما علي إلا أن أختار أي زوج من الخيل أراه وأعتبره كهدية. وإذا رغبت بعد ذلك أن أشترى أي عدد آخر، فهذا ممكن أيضا، لقد وضحت أنني لم أكن ألمح بطلب هدية عندما طلبت أن أرى خيوله، ولكنه إعجاب بأفضل سلالات الخيل العربية. لقد كنت راغبا — بطبيعة الحال - في أن أستفيد من الفرصة المواتية لمشاهدة أفضل سلالات خيل الإنجاب في العالم. ثم أضفت أنه من الآداب المعروفة بيننا — نحن الإنجليز — أنه عندما يطلب رجل إنجليزي رؤية إسطبل خيل رجل آخر، أن يتجنب التعليق. وبعد ذلك قلت له إن السير هنري رولنسون Henry Rowlinson عندما أخذ حصانا كميتا نجديًا إلى انجلترا

= بعضها، قدماء الجغرافيين مثل الأصفهاني في بلاد *العرب*، ص٢٢٥، والهمداني في *صفة جزيرة العرب*، ص ص٢٨٣، ٣٠٤، ٣٠٤-٣٠٦. وأفضل من تحدث عما بقي من آثارها، عبدالله بن خميس في معجم *اليمامة*، الأفلاج، السيح، عيون اليمامة.

(١٤٠) من الصعب التسليم بنسبة هذا الاعتراض للعلماء السلفيين في نجد مع ما هو معروف عن سكان هذه المنطقة من حب للزراعة وما هو معروف عن علمائها من التفكير العملي والبُعد عن الخرافات.

وأثيرت الشكوك حول سلالته بسبب لونه، وأنه ليسرني أن أعرف رأيه في مسألة اللون وعلاقته بالسلالة فقال: في الحقيقة إن أفضل سلالات الخيل النجدية يمكن أن تحمل أي لون، ولكن اللون الغالب بين أرقى السلالات هو اللون الرمادي بدرجاته المختلفة. ثم أضاف، وكقاعدة فإن الفِلْوَ يكتسب لونه من أبيه. وبوجه عام، فإن أهمية اللون قليلة. كما أن ارتفاع الخيل لا أهمية له فالعبرة بسلامة الدم التي هي كل شيء.

٧٩. لقد بدا من الواضح أن الإمام كان يتوقع مني أن أشير إلى النزاع مع مسقط، وإلى اقتراح السلطان أن أقوم بالتحكيم في هذا النزاع. لكنني — على أية حال — اعتبرت نفسي غير ملم إلماما تاما بتفاصيل المسألة مما يجعلني غير مؤهل للمغامرة بإبداء أية ملاحظة[١٤١] وأن ما يقال في هذا الشأن يجب أن يكون تحت إشراف الحكومة البريطانية وموافقتها. وفي نهاية المقابلة علق الأمير موجها حديثه إلى قومه قائلا إنه يظهر أنني رجل فاضل وأنه يأسف لكوني كافرا.

٨٠. ثم وجه الأمير حديثه إليَّ قائلاً إنني أستطيع الذهاب إلى أي مكان في بلاده، وأنه يرجو أن نفتح من الآن صفحة جديدة ملؤها علاقات الصداقة، وأنه سيكتب دائما إليّ ويُطلعني على الأمور المتعلقة برعاياه المتاخمين للخليج الفارسي. وعند مغادرتي عبَّر الإمامُ عن رضاه الكبير عن هذه الزيارة، وقد أرسلت إليه بندقية وساعة ذهبيَّة وبعض الأقمشة من الجوخ الأحمر ومسدسًا مذهَّبًا وسيفًا مصنوعا حسب الطريقة العربية. ويبدو أن السيف قد حاز الإعجاب أكثر من أي شيء آخر.

(١٤١) سبب هذا النزاع، هو الثورة التي قام بها عزان بن قيس بن عزان حاكم الرستاق ضد السلطان ثويني بن سعيد. فلما توجه ثويني بحملة ضد عزان استنجد الأخير بتركي السديري النائب السعودي في عمان، مما أجبر ثويني على العودة إلى مسقط. استغل الإمام فيصل هذه الحادثة لزيادة الأموال التي كان حاكم مسقط يدفعها له. ولكن ثويني رفض ذلك وطلب من المقيم البريطاني (بلي) التوسط بين الطرفين. Winder, *Saudi Arabia*, pp. 230-31.

٨١. عندما عدت إلى المنزل، زارني سكرتير الإمام فتحدثت معه عن زيارتي المقترحة إلى المنطقة الغنية بالمراعي والمياه بالخرج والمعروفة باسم السيح . وعلى أية حال، فقد حدث في هذا اليوم شيءٌ ما، لم أحط به تماما، ربما حتى هذه اللحظة، فقد تسبب هذا الشيء في انقلاب مكانتي في الرياض إلى الأسوأ. لقد بدأ السكرتير يضع المعوقات في طريق رحلتي إلى الخرج، وعندما زارني مرة ثانية في المساء، اقترح عليّ في نهاية زيارته أن أبقى في الرياض حتى تحضر بعض الخيول فأنظر إليها، فأجبت على الفور بأن هذا التأخير غير مقبول إطلاقا، إذ إنه بإمكاني أن أدخل بعض التعديل على خطة سيري لساعات قليلة، لمشاهدة خيول الإمام لكنني لا أستطيع التريث عدة أيام لإشباع رغباتي الخاصة، ذلك لأن باخرة تنتظرني هناك على الساحل. وبالإضافة لما ذكرته له فقد كنت قد حذرت بشدة في الكويت بأنه لا ينبغي لي أن أمكث في الرياض — إذا ماكنت مُصرًا على زيارتها — أكثر من يومين — كحد أقصى — وذلك لتفادي الحوادث، ولأن العرب — كما أعيد على مسمعي — غدَّارون للغاية، كما أن آراءهم عرضة للتقلب. لقد كان كثيرٌ مما رأيته وسمعته أثناء ذلك اليوم ينذر بأن هناك تغييرًا يجري الآن. وعموما فقد وصلت إلى استنتاج محصلته أنه بينما كان الإمام نفسه، رجلا واعيا وذا خبرة، إلا أنه كان يحيط به في الوقت ذاته عدد من أشد ما يمكن أن يقابل المرء من البشر تهيجا وتجردا من المبادىء الخلقية، وخطرا وتعصبا(١٤٢) وزاد من موقفي ضعفا أن الإمام نفسه كان كفيفا تماما، لذا فقد كان يعتمد على سكرتيره في كل ما يتعلق بتسيير الأمور من حوله، ومن المحتمل جدًّا أن يصور هذا الهجين والطائش والحقود الأمور لتسير في اتجاه تعقيدات خطيرة. ولهذا قررت ألا أستمر في التزلج على جليد بالغ الرقة كهذا، واضعا في اعتباري مسؤولياتي تجاه الحكومة وتجاه رفاقي، بالإضافة إلى بطء وسائل النقل.

(١٤٢) لا تبرر المعاملة التي عومل بها بلي من قبل الإمام فيصل ورجاله وصفه لرجال الإمام بكل هذه الأوصاف الشنيعة. ويبدو أن المقيم قد نسي أنه كان في الرياض وليس في لندن. كما نسي الحواجز اللغوية والحضارية الفاصلة فيما بينه وبين مضيفيه، والتي ربما نشأ عنها كثير من سوء الفهم. ويظهر أن بعض أبناء الإمام ورجاله قد اعتبروا سياحة المقيم في منطقة الخرج أمرًا غير مرغوب فيه لأسباب أمنية. فحبذوا جلب الخيل إليه في الرياض.

لكل هذا، أخبرت السكرتير بحزم أنني يجب أن أغادر الرياض في اليوم التالي وأنني طلبت إحضار جمالي في الصباح فأجاب أنه سيخبر الإمام وأنه من الضروري قبل الرحيل أن أودع الإمام. وبعد ذلك ذهب السكرتير إلى الإمام ولكنه تردد علينا مرتين خلال المساء. لقد تغير سلوكه كليًّا الآن فأمسى فظا ويكاد يكون عدواني السلوك. فقد أعاد الحديث في موضوع تصرفات المقيم البريطاني السابق، فيما يتعلق بمصادرة السفن التابعة للسعوديين (الوهابيين) ثم أنه بدأ يهاجم مرة أخرى أعمالنا ضد تجارة الرقيق. لقد وصفنا بأننا قراصنة ناجحون، وأخذ يهزأ بفكرة الإنسانية لدينا. وعلى أية حال فقد كان هذا الموضوع من الموضوعات التي يسعدني التهرب منها، ليس فقط لأننا في مكان مثل الرياض، حيث يمكن أن يكون الموضوع محرجا جدًّا في أية لحظة، وإنما أيضا لأن الاطلاع العملي على أعمالنا ضد تجارة الرقيق — كما تدرك الحكومة — التي تمتد من قنال موزمبيق إلى رأس الخليج الفارسي، أقنعني بتعديل رأيي السابق المتعلق بسياسة قمعنا لتجارة الرقيق، ذلك أنه من المتوقع أن يأتي اليوم الذي سيكون فيه للتحول المهم في الرأي العام - حتى في إنجلترا - أهمية في هذا الموضوع. لقد كان السكرتير شديد الرغبة في أن أوقع معاهدة ما يستثنى بمقتضاها عرب عمان وصور والخليج الفارسي مما ندعيه لأنفسنا من حق مصادرة شحنات الرقيق، كما كان شديد الرغبة في أن يحصل منا على التعويضات نفسها التي قدمناها لسلطان زنجبار، عندما عقدنا اتفاقا مع سموه (سلطان زنجبار) مما فهم منه اعترافنا بتجارة الرقيق وأضاف السكرتير أن الإمام قد فوضه لعقد معاهدة في مقابل ذلك. [١٤٣] تلزمه بمنع عرب عمان والخليج من النهب أو إلحاق الضرر بمنشآتنا البرقية. لقد تخطى السكرتير في سلوكه حدود اللياقة بعض الشيء إذ صرح بأنني مادمت موجودا في عاصمتهم فإن الوقت سيكون ملائما لإنجاز مشروع الاتفاقية، فعنفته على طريقته ورفضت طلبه رفضا باتا ثم أعطيته الإذن بالانصراف، ومع هذا فقد كان بإمكاني أن أرى ما في عقل هذا الوغد الممتلىء نزوعا للأذى. وعند مغادرته لنا لم يعين أي ساعة لزيارتي التوديعية.

---

(١٤٣) أي مقابل الحصول على التعويضات المقترحة، والمشار إليها في السطور السابقة.

٨٢. لقد انقضى صباح اليوم الثامن من دون أن تظهر أية علامة لمجيء السكرتير أو جمالي. وفي الوقت نفسه أمرت بإحضار عدد آخر من قرب الماء ذلك أن جزءا من طريقنا طوله خمسة أيام سيكون بلا ماء، كما كانت القِرَب القليلة التي لدينا، ترشح بشكل سيىء، وقبل الظهر بقليل، حضر السكرتير، وسأل عما إذا كنت راغبا حقيقة في الرحيل واقترح علي مرة أخرى أن أتريث، فأخبرته بشكل قاطع أنني عزمت على بدء الرحلة في هذه الليلة، وطلبت منه مرة أخرى تحديد موعد لزيارتي للإمام. وغادر السكرتير، ولم تأت جمالي بعد، عندئذ أرسلت في طلب رئيس الجمّالين الذي اعتذر مدعيا المرض، ولذلك ذهبت إليه وأوضحت له أنه إذا ما شارك في إيقاعي في ورطة بأنه سيدفع حياته ثمنا لذلك، فدافع عن براءته بطريقة لا يستطيعها إلا العربي الغادر، وحده. وكنت قد علمت في الوقت نفسه ـ على أية حال ـ من ولد صغير يعمل في القافلة، أن الجمال في الحقيقة لم تكن بعيدة وإنما متحفظ عليها وفقا لأوامر السلطات في الرياض وعندئذ عدت إلى رئيس الجمالين وأخبرته أنني قد علمت بغدره. وعلى أية حال، لم تأت الساعة الرابعة بعد الظهر إلا وقد بلغت الأمور درجة من السوء لدرجة أنني قررت بالرغم من كل الاعتراضات أن أقابل الأمير في قصره، وأطلب منه جمالي والإذن بالرحيل. وقبل مغادرة المنزل رأيت أنه من الحكمة أن أقوم ببعض الترتيبات للحيلولة دون حدوث أية تعقيدات نحن في غني عنها، كاحتمال تعرض أمتعتنا للتفتيش أو وقوع أي حادث لي، ومن ضمن الاحتياطات الأخرى التي اتخذتها أنني قمت بإحراق صورة للأمير portrait ومخطط لبلدة الرياض كان قد تفضل بهما على السيد ديوز Mr. Dawes في موقد المطبخ. ولم يكن هناك أكثر سذاجة تدعو للضحك من ذهول طباخي البرتغالي عند دخولي غير المتوقع للمطبخ، بينما كان الرجل يفرم اللحم باطمئنان كما لو كان في المقيمية في بوشهر. وبعد اتخاذ الاحتياطات خرجت مصطحبا مترجمي إلى القصر. لقد حاول أحد هؤلا الحراس أو الجواسيس الموكلون بالبوابة أن يعيقني لكني لم أكن في حالة تجعلني أقبل الإهانة. وعلى كل حال فإنني لم أكد أبلغ منتصف الطريق إلى القصر حتى أُعلمت أن جمالنا قد أُحضرت. لذلك رجعت أدراجي، وأمرت بإدخالها إلى فنائنا، وأوكلت أمرها إلى تابعي من جنود المراسلة، وأقفلت البوابة وبعد ذلك استأنفت سيري إلى قصر الإمام. لقد كان الإمام ودودا وأعتقد أنه صادق في

ادعاءاته من حيث رغبته في العمل بانسجام معي في سبيل السلام العام، ولكن عقلية السعـوديين (الوهابيين) — وعقلية العرب بشكل عام في حقيقة الأمر — من الغدر والقابلية للتغير وسرعة التأثر والحقد والتعصب بحيث تجعل المرء لا يطمئن إلى ظواهر الأمور لمدة ساعة واحدة.(١٤٤) لقد اقترح الإمام مدّ فترة زيارتي، لكنني أجبت بهدوء وحزم بأن ترتيباتي قد اكتملت، وأنني يجب أن أرحل تلك الليلة. وبعد ذلك أسهب الإمام في الحديث عما جلبته زيارتي له من سرور ثم أردف أنه رغم معيشته الحالية في الصحراء حيث أجده، إلا أنه مع ذلك قد شاهد الحياة المتحضرة، فعندما كان أسيراً في مصر كان يرى ممثلي أوروبا الأجانب، عندما يزورون الباشا، ويعجب لسلوكهم المهذب،(١٤٥) وأبدى الأمير رغبة فيما يتعلق بالقطيف والعقير، مؤداها أن أطلعه إذا ما حدثت قرصنـة أو تحطيم للسفن حتى يعاقب المعتدين أشد العقوبة، كما رجاني في المقـابل أن أحمي مصالحه البحرية على الساحل الفارسي. وردد رغبته في أن أثق به كصديق مخلص، ثم ختم حديثه بإبداء الرغبة في أن أكتب إليه، فأشرت إلى أنني كنت قد فعلت ذلك لكن إجاباته لم تكن مشجعة كثيرا، فقال: إن إجاباته المقتضبة كانت بسبب علاقاته السابقة مع المقيمية، لكنه الآن سيبدأ صفحة جديدة، وأنه قد أصدر تعليماته بهذا الخصوص إلى أمرائه على الساحل، وبعد ذلك التمس مني أن أقبل اثنين من الخيول العربية النجدية، كان يريد إهداءهما لباشا بغداد، وهما موجودان الآن في القطيف في انتظار الشحن، وأخيراً قال الإمام إنه وضع تحت تصرفي خادما موثوقا به لمرافقتي للساحل. وعندما غادرت إلى القصر أشار السكرتير إلى الخادم، ليدلني عليه، فرافقني الرجل إلى المنزل ثم استأذن للعودة لأن لديه ذلولا سريعة ويستطيع بسهولة أن

---

(١٤٤) لقد أكثر المؤلف من التعميمات القاسية وإطلاق الصفات السيئة على العرب وأهل المنطقة التي يزورها. وواضح أن هذه التعميمات شخصية ولا تقوم على أساس علمي.

(١٤٥) مكث الإمام فيصل بن تركي أسيرا في مصر حوالي أربع سنوات، بعد أن استسلم للقائد المصري خورشيد باشـا، الذي أرسله إلى مصر في شهر شوال عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٩م. وكان مع الإمام ابناه، عبدالله ومحمد وأخوه جلوي وابن عمه عبدالله بن إبراهيم. وقد تمكن الإمـام ورفـاقه من العودة إلى نجد في أوائل سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م. ابن بشر، *عنوان المجد*، مج٢، ص ص١٠٧، ١٢٩.

يلحق بي قبل أن أصل إلى الأحساء، لقد كان ذلك تخلصا مناسبا، ولذلك تركته يذهب. وفي الحال أمرت أن تسرج جمالي. لكن الجمالين أصروا على العناد. وبدا من غير المؤكد ما إذا كنت سأبدأ الرحلة أم لا. وأخيرا لجأت إلى حيلة إذ أخبرت خدم الإمام الذين كانوا بمثابة جواسيس حول منزلي، إنني مصمم على الرحيل وأنهم إذا ما استطاعوا تجهيز الجمال للمسير في تمام الساعة التاسعة، فستكون لهم مني هدية، وفيما عدا ذلك فلن يأخذوا شيئا، وهكذا كنا على ظهور جمالنا في تمام الساعة التاسعة. وفي الوقت الذي بدأت التحرك فيه، قدم رجل ومعه ساعة الإمام الذهبية من نوع (fry-ing-pan class) وقال إن الساعة تعطلت وإن الإمام سيكون مُمْتنًّا إذا ما تمكنت من إصلاحها له، فوافقت على ذلك وقد تم إصلاح الساعة في انجلترا وأعيدت للرياض.

٨٣. وبعد أن تجاوزنا سور البلدة بقليل أصر رئيس الجمالين مرة أخرى على التوقف الفوري، فأفهمته أنني الآن قد بدأت السفر، وأنه إذا ما أثار المشكلات فإنني سأجبره على السير أربعا وعشرين ساعة متواصلة. لقد استمر في غطرسته حتى عرف أنه من المحتمل أن يفقد مكانته في قيادة القافلة ويقيد ولما أدرك ذلك خاف العاقبة.

٨٤. لقد كانت الليلة الأولى بعد وصولنا للرياض ليلة غائمة، وبعد هذه الليلة حالت المراقبة المستمرة المفروضة علينا دون التمكن من رصد النجوم. وقد استطعنا في صباح أحد الأيام تحديد خط الطول عن طريق خمس ملاحظات شمسية من فوق سطح منزلنا، لكننا قوطعنا قبل الظهر، فبقي خط العرض دون تعيين. ولذلك كان علينا أن نحدد خط العرض في الليلة التي غادرنا فيها الرياض وذلك في أقرب فرصة ممكنة، فتوقفنا لهذا الغرض بعد أن اجتزنا ضواحي (الرياض) بقليل.[١٤٦] وكان سيرنا نحو الشمال تقريبا، فنصبنا خيمتنا في ذلك الاتجاه.

٨٥. لقد استأنفنا سيرنا في الصباح الباكر من اليوم التاسع، وعندما قطعنا العارض قابلنا سلسلة المرتفعات نفسها (الممتدة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي)

---

(١٤٦) تقع الرياض عند خط عرض ٣٨ ٢٤، وخط طول ٤٣ ٤٦.

والتي كنا قد اجتزناها في طريقنا للرياض والمساة بالتهامة[١٤٧] وتسمى في المكان الذي نجتازه الآن منها بالعون Al-Aun ، وتشكل كما هو الحال في جهة الشمال الحدود الغربية للعرمة، [١٤٨] وهي منطقة يمكن وصفها بأنها هضبة مستوية يبلغ عرضها حوالي مسيرة يوم ونصف اليوم، تتخللها بعض التلال المنخفضة المخروطية والتجاويف المنبسطة المعترضة. وكان لكل وادٍ مسيل جاف يتوسطه من بدايته — أي الوادي — إلى نهايته، ويقال إن العرمة تمتد من ناحية الشمال إلى مسافة تستغرق أربع ساعات أو خمسا وراء الزلفي؛ أما من الناحية الجنوبية فإنها تغور في التخوم الشرقية لليمامة. ونحن نذكر أنه كانت هناك تشكيلات من التلال الرملية في المنطقة التي خرجنا منها من العرمة في طريقنا إلى الرياض، ولا تمتد تلك السلسلة من التلال الرملية على كل حال، من جهة الجنوب إلى النقطة التي وصلناها من العرمة اليوم.

٨٦. لقد بدأ الجَمّالون مسيرهم هذا الصباح متكاسلين، كما أبدوا عنادا، لذا قررت أن أحملهم على مواصلة السير حتى يؤكدوا لي موعد وصولنا إلى الماء عند مدخل الدهناء. وعلى هذا فقد واصلنا السير حتى حل الليل، إلا أنه عندما حططنا رحالنا، جاءني رئيس الجَمّالين (ليقول) إن رجاله هددوا بالتخلي عنا وتركنا.

٨٧. لم يظهر خادم الإمام حتى الآن، وكان رئيس الجَمّالين لم يتمكن من إحضار الدليل المتفق عليه، لكي يوفر دولارًا أو دولارين، وهكذا أصبحنا في رحلة طولها

(١٤٧) راجع فقرة رقم ٥٤.

(١٤٨) هذه السلسلة من المرتفعات التي يتحدث المؤلف عنها هنا ليست جزءًا مما كان قد سماه (التّهامة) أو الحدود الغربية للعرمة، وإنما هو جبل خنزير المعروف اليوم باسم (الجبيل) وهي سلسلة من المرتفعات تمتد من الشمال إلى الجنوب، تبدأ بالقرب من روضة الجنادرية حتى تصل قريبا من الخرج بطول ثمانين كيلاً. وهذه السلسلة توازي سلسلة مرتفعات العرمة إلى الغرب منها بينها وبين الرياض. ويبدو أن ما سماه المؤلف (العون) هو ما يعرف اليوم (بالعان) أو خشم العان وهو أنف من أنوف سلسلة مرتفعات الجبيل. ابن خميس، معجم *اليمامة*، العان، الجبيل.

٢٥٠ ميلا عبر هذه القفار غير المطروقة دون أن يكون في معيتنا رجل واحد سبق له المرور من هنا، ما عدا عجوزنا الصلبي، وهو رجل في السبعين، إذ قال إنه مر ذات مرة على هذا الطريق قبل أن يبلغ السن التي تؤهله لارتداء الثوب المصنوع من جلد الوعل. إذ يبدو أن ارتداء سترة جلد الوعل لأول مرة، تعد دليلا على وصول الصلبي إلى سن البلوغ. إن أشد ما يضحك في الأمر أن الماء كما قيل لنا يمكن أن يكون موجودا في موقع واحد فقط أثناء رحلة الأيام السبعة التالية، وأن أقرب تقدير لبعد ذلك الموقع عنا، كما يظنه الصلبى، يبعد عن مكان توقفنا هذا مسيرة يومين، عند المدخل إلى النفود، وعلى أية حال لم يكن هناك ما يمكن عمله سوى النظر لهذا الموضوع بتفاؤل ولذا فقد أمرت بإعداد قهوة تكفي لكل رفاق الرحلة، ووعدتهم بخروف عندما نتمكن من الحصول عليه.

٨٨. في صباح اليوم العاشر، بدأنا السير من مكان توقفنا في العرمة. لقد كان الجمّال أكثر حيوية من ذي قبل، وكانت طبيعة الأرض كما سبق وصفها إلا أنها أقل اتساقا. لقد أمضينا ست ساعات ونحن نسير في طريق متعرج على طول حافة شعب واضح المعالم، ثم صعدنا فجأة ٧٠ أو ٨٠ قدما لنصل إلى هضبة ثانية تسمى أثيلان Vit-ailan، (١٤٩) واستطعنا من هذه الهضبة رؤية قمم تلال النفود البعيدة، أمامنا إلى ناحية اليسار، لقد كانت الأرض مكشوفة فأخذ طريقنا يتلوى على طول سلسلة من المنخفضات الضحلة حتى المساء عندما خرجنا من رأس آخر تلك المنخفضات، فظهرت لنا الكثبان الرملية واضحة أمامنا. لقد تأكد لنا أن الماء لم يعد بعيدا، وكما أكد العرب (المرافقون له) كانت هناك بعض بيوت الشَّعر على مرأىً منا. لقد قدرت أن بإمكاننا الحصول على أُدلاء بسهولة ليدلوننا على الماء في الصباح، لذا فقد وافقت على حط الرِّحال وبعد أن توقفنا تفحصنا بيوت الشّعر المزعومة بواسطة التلسكوب، فلم

(١٤٩) أثيلان: وادٍ من أودية العرمة ينحدر من ظهرها مُشرّقًا حتى يفيض في حُضن الدهناء، يوازي وادي المسعودي من الشمال. فربما كان أعلى وادي أثيلان هو الهضبة المقصودة هنا. ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج١، ص٦٠. وواضح أن هذه الهضبة الثانية التي صعدها رَكْب بلِي عند أثيلان هي العرمة الحقيقية.

تكن سوى حواف صخور داكنة ناتئة . لذلك خيم علينا قلق شديد بسبب الماء، حيث لم يبق الآن من الكمية التي كانت تملأ سبع قرب في الليلة الماضية سوى أقل من أربع قِرَب ، وذلك نتيجة الاختلاس والرشح . لقد كان مظهر النفود من بعيد مختلفًا عن ذلك الذي بدت به الدهناء عندما اجتزناها في طريقنا للرياض، ففي الحالة الأخيرة كانت الكثبان الرملية طويلة، وفي خطوط أو حبال غير منقطعة، أما هنا فقد تقطعت (الكثبان والتلال الرملية) إلى مخروطات وقباب شامخات مختلفات الأشكال ومتفرقات، ولذا فهي تسمى في تلك المنطقة بالدهناء بينما تسمى هنا بالنفود. لقد بدت أرض المنطقة التي مررنا عليها اليوم مكونة أساسا من الأحجار الرملية المتناثرة. لقد رأينا قليلا من الظباء، كما مررنا أيضا بقليل من الأشجار القصيرات على طوال حواف الشعاب. كما مررنا أيضا ببعض بيض الحبارى. لقد كان العش مجرد حفرة مستديرة في الأرض العارية. وقد لاحظت اليوم، أيضا، بعض الطيور التي يبدو أنها من فصيلة العصافير أو الزّقَيْقِيّة، (١٥٠) كما لاحظت أيضا مجموعة متنوعة من الخنافس وسحلية أو سحليتين من النوع الكبير جدًّا.

٨٩. لقد كان طريقنا هذا الصباح عبر منحدر تدريجي إلى الأرض المنخفضة التي تمتد على طول قاعدة النفود مباشرة. وكان هناك مسيل جاف يتبع ذلك المنحدر ويصب في المنطقة المنخفضة، لقد بدت المنطقة مخضرة ونديّة على البعد، وفي هذه المنطقة وصلنا إلى الآبار التي كانت عميقة وقديمة وضيقة الفوهات ومطوية بالحجر الجيري، (١٥١) ولقد كان واضحا أن رفيقنا الصلبي كان يعرف الآبار معرفة تامة لأنه

---

(١٥٠) Linnet (Linota Cannabina) تعني زُقَيْقِيَّة أو تُفَّاحي، وهو طير يشبه الدُّورى، يميل لونه إلى الاحمرار، معجم *الشهابي*.

(١٥١) هذه الآبار هي منهل (رملان) المشهور الذي يقع في حضن الدهناء بينها وبين العرمة، تلقاء مَفِيض وادي أثيلان. ويتكون هذا المنهل من حوالي عشرين بئرًا. وهو المنهل الذي يرده من أراد سلوك طريق مخِيط إلى الاحساء. (ابن خميس، معجم *اليمامة*، أثيلان، رملان، الدّهناء) وقد نص بلي على أنه سلك طريق مخيط من الرياض إلى الأحساء، كما نص على آبار الرميلان (رملان) كأحد محطاته (ملحق رقم ٤).

هرول ببعيره في اتجاهها مباشرة دون أدنى تردد. وبعد وصولنا مباشرة نزل أحد العرب إلى قاع البئر التي احتملنا وجود الماء فيها أكثر من غيرها بينما دلَّى الآخرون له القِرَب من أعلى البئر فلما ملأها رفعوها مرة أخرى إلى خارج البئر، وبهذه الطريقة تمكنا من تأمين حوالي ١٥ قربة مُلِئت من بئرين أو ثلاث. وقد جفت الآبار بعد أن ملأنا قِرَبنا، وأصبح الحصول على مقدار أكبر من الماء يستلزم تصفية ووقتا. والآبار هنا — كما في الدهناء — مشهور عنها أنها قديمة جدًّا، وفوهاتها محددة بخطوط عميقة من أثر احتكاك الحبال بها. وبعد أن شربت جمالنا بدأنا السير من جديد ودخلنا النفود بعد ذلك بحوالي ساعة. وكان أبرز المعالم هنا، قبة رائعة وعالية من الرمال. وبمجرد أن وطئت أقدامنا الرمال، اختفى كل أثر للطريق تماما، وقد كان لون الرمال ضاربا إلى الحمرة الشديدة أو اللون البرتقالي، كما كانت ناعمة كالثلج المنثور، متراكمة متخذة كل الأشكال التي يمكن تخيلها وكان ارتفاع الكثبات متفاوتا يتراوح ما بين المائة قدم والمائتين، فوق مستوى السهل الذي توجد فيه الآبار. لقد وقع رفاقنا مرتين أو ثلاث في الخطأ، وظهر أنهم كانوا يستعيدون طريقهم بانطلاقهم متفرقين للبحث عن آثار الإبل التي سبق أن مرت من هنا. لقد كان اجتياز منطقة شاسعة بمثل هذا الوصف الذي قدمت، بدون أن نضل الطريق، يمثل معجزة لي حتى هذه اللحظة. لقد كان مدى الرؤية في حدود مائة ياردة في كل الاتجاهات. ويبدو أن الصلبي كان يسترشد كلية (في مسيره) بالشمس. لقد أصبح من اليسير على أن أصدق القصص التي تروى لنا عن الحوادث المهلكة التي تحدث عادة في مثل هذه القفار غير المطروقة، إنه من شبه المؤكد أن تُجبر عاصفةٌ رملية أو اغبرارٌ ضبابي كثيف القافلة على فقدان طريقها أو التوقف عن المسير. وكلاهما — فقدان الطريق أو التوقف — يعنيان تقريبا الموت من العطش. إن وهج الرمال أيضا مرهق جدًّا، وربما كان خاطفا للبصر في الفصل الحار. لقد بت مقتنعا مما رأيته في هذه المناطق أنه من المستحيل على جماعة من الأوروبيين اجتيازها خلال الفصل الحار دون التعرض لعواقب مهلكة ولقد كان أحد الأسباب الرئيسة لرفضي الحاسم أن أتأخر في العاصمة (الرياض) هو الخوف من احتمال احتجازنا لذريعة أو أخرى حتى تشتد الحرارة، ولو حدث هذا لكان المسير صعبا جدًّا. لقد أخبرني البدو أنهم حينما يفقدون طريقهم أو يضطرون إلى التخفي في الصحاري ويستنفدون آخر قطرة من

الماء، فإن أفضل ما يمكن عمله في هذه الحالة هو ذبح بعير وشرب قليل من دمه، أو ترشيح الماء المخزون في أمعاء الحيوان ورشه على اللسان. كما يقال إن واحدا من أشد الأضرار الناتجة عن غزوات النهب هو ما يلحق بالخيل والحيوانات الأخرى من أذى، بسبب إجبار الغزاة تلك الحيوانات على السير الطويل في مسالك صحراوية غير مطروقة وخالية من موارد المياه. فمثلا، تغزو قبيلة قبيلة أخرى وتغنم منها فرسا أصيلة، وحالاً يمتطي تلك الفرس بدوي جسور، يعدو مسرعا بها إلى داخل الصحراء في اتجاه دياره. وهو يتفادى موارد المياه خوفا من أن يستدل على الفرس. وبهذه الطريقة فإنه يعرض المخلوق الضعيف لأشد المشقات أو ربما يلحق به تلفا يلازمه مدى الحياة.

أعود لما سبق. عندما بدأنا الدخول إلى النفود أصبحت جمالنا تسير بثقل شديد. ولأن الرمال ناعمة والمرتقى متصعد من جهة، والانحدار من الجهة الأخرى في بعض الأحيان يكاد يكون عموديًّا، لذلك كانت الجمال تحاول المحافظة على توازنها على ذروة الكثيب، ثم تنزلق إلى أسفل ككتلة واحدة. وعلى كل حال، أصبحت الرمال تدريجيًّا أكثر تماسكا وانتشرت عليها بعض الشجيرات وبعد أربع ساعات من هذا الجهد توقفنا، إذ أجهدت الجمال تماما وحينها فتحنا قرب الماء التي اشتريتها من الرياض، وجدنا أن الماء لا يمكن شربه. وهذا بالرغم من أنني حرصت حرصا شديدا على أن تغسل القرب غسلا جيدا قبل بداية الرحلة. وأنني لا أستطيع الجزم عما إذا كان أهل الرياض قد قاموا بخداعنا أم أن السبب يعود إلى الصناعة الرديئة للقرب. [١٥٢] وفي كلتا الحالتين، فقد وجدنا أنفسنا أمام مسيرة أربعة أو خمسة أيام على طريق غير ذي ماء، ولم يبق معنا سوى أربع قرب من الماء الذي يمكن شربه. عندها أمرت بختم هذه القرب، وجعلت واحدًا من رجالي مسؤولا عن كل قربة. ثم أحضرت الصلبي ووضحت له أنني إذا ما وجدت القافلة بدون ماء قبل أن نصل إلى آبار الماء التالية فإنني سأرميه بالرصاص. وقد قلت ذلك بهدوء أثناء الليل. فصرح الرجل العجوز عندئذ أنه يعرف

(١٥٢) إن القِرَبَ الجديدة المدبوغة، عادة ما تحتاج إلى ملئها بالماء عدة مرات، ثم يُنْثر الماء في كل مرة، حتى تتخلص القِرَب من رائحة وطعم المادة المستخدمة في الدباغة، ولا يكفي مجرد الغسل.

كل المنطقة عن ظهر قلب وأنني إذا ما اقتصرت على استخدام قربة واحدة في اليوم فإنه سيوصلنا إلى الماء خلال أربعة أيام، ولكنه مجبر على إخفاء معرفته بالصحراء، لأن العرب إذا عرفوا ذلك سيرهقونه دائما بالعمل. لقد كان الصلبي قبل الآن دائما يستخدم أساليب التأكيد عند المسلمين، ولكن في حالة رعبة هذه الليلة، فإنه أقسم بالشعرى اليمانية Dog Star وعندما سألناه عن سبب هذا التغيير في القسم، اعترف بأن قبيلته مسلمة فقط في الظاهر، ولكنها تعبد النجوم حسب تقاليدها الدينية القديمة.

٩٠. بعد أن نصبنا الخيام، لاحظت جماعة من الجمالة قادمة من جهة الأرض المرتفعة. وتبين أنهم خادم الإمام مع رفاقه. وظهر أن (الخادم) بعد أن حصل على الإذن بالتخلف وراءنا، رجع إلى منزله دون أن يسأل عن الطريق الذي سنسلكه، ولذلك فإنه عندما بدأ المسير، أخذ طريقا جنوبيا أقصر، لكن دليلنا الصلبي تفادى ذلك الطريق لأنه وعر جدًّا بالنسبة للإبل المحملة. وعندما وجد خادم الإمام نفسه على غير الطريق الصحيحة (التي سلكناها) عبر المنطقة معترضا بزاوية مناسبة حتى وجد أثرنا(١٥٣) لقد كان قد استبدل حينئذٍ زيه الذي كان يرتديه في الرياض، بزي ذي ألوان زاهية، وظهر الآن كرجل له وزن. لقد حط رحاله على مسافة قصيرة منا، ولكنه جاء إلينا في المساء ليشرب القهوة ويتحدث. ومن بين أمور أخرى، أخبرني أن الشيخ السبيعي الذي سبق أن عاملته بأدب ودفعت له مبلغا جيدا، ما أن وصل إلى الرياض حتى أخذ في إيقاع الأذى، زاعما كثيرا من الأمور ضدنا والتي ربما تعرض كل جماعتنا للخطر الشديد بسببها.

---

(١٥٣) يظهر أن خادم الأمير سلك طريق (مزاليج) وهو طريق يربط بين العارض والأحساء، ويوازي طريق (مُحَيِّط) — الذي سلكه بلي - من ناحية الجنوب مباشرة، حيث يمر هذا الطريق بمنهل أبي جِفان غربي العَرَمة، ثم يخترق كثبان مزعلات الوعرة الاجتياز في الدهناء، حتى يصل منطقة الأحساء. ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج ١، ص٤٣٧؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٦٩٢.

٩١. إن المنطقة التي نعبرها الآن، يجب أن تكون مرتفعة، لأن الطقس هنا أبرد وأكثر إنعاشًا من أي مكان تمتعنا به على الطريق في الداخل. وهذا على الرغم من أننا الآن أكثر ميلا إلى ناحية الجنوب وأن فصل الربيع أخذ في التقدم. وخلال فترة ما بعد الظهر صادفنا بعضا من قبيلة الدواسر الذين كانوا نازلين بين الكثبان الرملية وقد أقبل نحونا شخص يعدو على فرس كُمَيت مندفعة، لكنه على كل حال، لم يظهر أنه يميل إلى بيعها.

٩٢. لقد كان سيرنا اليوم خلال سلسلة متصلة من التلال والكثبان الرملية وأحيانا وعلى مسافات متباعدة تبرز هنا وهناك بعض البقع من الأرض التي نُثرت عليها أحجار صغيرة داكنة اللون. وفي أحيان أخرى، تضطرب الكثبان الرملية بين الارتفاع والانخفاض وفي آخر النهار اتخذت تلك الكثبان شكل موجات مستطيلة. وأخيرا أخذت هيئة درجات. وعندما أقبل المساء، انفسح الأفق من الناحية الأمامية اليسرى. وأظهر امتدادًا واسعًا لسهل رملي. لم تكن الأرض جرداء جدًّا في أي مكان، بل أن كل المواضع كانت مرقشة بالنباتات السائدة في هذه المنطقة. كما أنه لم يكن هناك أي طريق، وعلى قدر ما استطعت ملاحظته، لم تكن هناك إمكانية لوجود علامة بارزة، ومع هذا، واصل دليلنا سيره في اتجاه مباشر دون أدنى تردد. لقد كنت أختبر اتجاهه بين وقت وآخر، فوجدته مطابقا لهدفه بصورة ثابتة. وغالبا ما نكون في تجاويف حيث تحتجب الرؤية في كل اتجاه، ومع هذا، لم ألاحظه مطلقا، ينظر خلفه أو إلى يمينه أو يساره، كما لو كان يريد الاسترشاد. وحتى لو كان لديه بوصلة في حنو سرجه، لما أمكنه السير باتجاه أصح مما فعل.

لقد مررنا بجماعة من البدو خلال النهار، وحصلنا منهم على شيء من اللبن الرائب. وقد طلبت من جمَّالتنا أن يشتروا زوجا من الأغنام، ولكن البدو رفضوا أن يبيعوا، وقالوا، إن رجال الإمام سوف لا يسمحون لهم بتقاضي الثمن. لقد استمر الطقس مقبولا، والهواء لطيفا بشكل متميز. وكنا نادرا ما نرى خادم الإمام، ومع ذلك، كنا مسرورين بالبعد عنه هو ورفاقه، لقد كان موقفنا هذه الليلة في نقطة قريبة من الحدود الشرقية للنفود.

٩٣ . وفي اليوم الثالث عشر (من مارس) قطعنا ما تبقى من النفود، ثم وصلنا إلى شريط سهلي يشكل — كما يبدو — حزاما أو واديا واضح المعالم بين النفود وأجراف الصمّان، التي ترتفع أمامك في خط متقطع من المنحدرات الشديدة التي يتراوح ارتفاعها. ما بين الخمسين إلى المائة قدم، والتي تمتد من جهة الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي. ويبدو أن هذا الشريط السهلي الفاصل يشكل نوعًا من مجاري الرياح، حيث كان سطحه خاليا من الرمال بفعل الرياح السائدة التي تهب من ناحية الشمال الغربي أو الجنوب الشرقي. وعندما تصعد أجراف الصمان، التي تتكون من مادة هشة متقطعة على شكل كتل، تصل إلى هضبة متخددة تغطيها طبقة رقيقة من الحجارة. وبعد مسافة قصيرة تشق طريقك متعرجا مرة أخرى، خلال رُبىً رملية متعاقبة ترتفع وكأنها كثبان رملية صغيرة، وربما يكون هذا العرض من الرمل هو الركام الشرقي من الرمال، الذي تذروه الرياح جيئة وذهابا على طول قمع الرياح الذي سبق أن وصفناه.(١٥٤) وعند الخروج من هذه الرُّبى، تتغير سمة الهضبة تغيرا تاما، فتنفسح إلى تلال جرداء متصلة على مدى الأفق مكسوة بالحصباء والحجارة الصغيرة المتكسرة. إن هذا هو الصمان الحقيقي، وقد توقفنا فيه عند الغروب، لم يكن موجودا في المنطقة المحيطة علف لإبلنا ولا حطب للوقود، وقد كانت درجة الحرارة هذا الصباح تكاد تكون أكثر انخفاضا من أي وقت مر بنا حتى الآن. وبفضل طريقة ختم قِرَب الماء، بقي معنا ماء بكمية كافية. لقد وجدت بالتجربة أنه من المحتم أن يكون البَخْر من القربة المختومة أقل بكثير من القربة غير المختومة. لقد كان رفاقي متلهفين جدًّا ليسمح لهم بالشرب أثناء النهار. وخلال فترة ما بعد الظهر مررنا عن بعد، بقافلة حجاج من بلاد فارس، ذاهبة إلى مكة، لقد كانوا قد نزلوا إلى البر في القطيف، وهم الآن في طريقهم إلى الرياض.(١٥٥)

---

(١٥٤) wind cone أو wind funnel بمعنى قمع الريح أو كم الريح، أداة بسيطة لمعرفة اتجاه الريح.

(١٥٥) كان حجاج الساحل الفارسي للخليج العربي يعبرون إلى القطيف، ومن هناك يصحبون قوافل حجاج الأحساء والقطيف عبر وسط نجد إلى الحجاز. وقد حَرصَت الدولة السعودية الأولى، بعد أن سيطرت على نجد والأحساء ومنعت الأعراب من أخذ الخاوات من الحجاج، على مرور تلك القوافل بالدرعية، بل كانت في بعض الأحيان تلزمهم بذلك، =

٩٤. لقد أكملنا قطع الصمّان هذا الصّباح، وبعد ذلك دخلنا مرة أخرى إلى منطقة تغطيها التلال المستوية القمم، والروابي الصغيرة، التي كانت أقل ارتفاعا من تلك الموجودة في النفود. لقد كان العرب يسمونها النفود الصغرى. وخلال الساعات الأربع الأولى، استمرت السهول عارية تماما من النباتات. وبعد ذلك بدأت الشجيرات الضئيلة العادية في الظهور، ولكنها كانت جافة وذابلة، وأثناء النهار، مررنا بأكبر قافلة من الإبل سبق لنا مشاهدتها حتى الآن. لقد كانت تابعة لفريق من قبيلة الدواسر الذين كانوا يتجهون في هذا الوقت غربا عند قدوم الفصل الحار، وقد أراني أحد أفراد القبيلة فرسا نجيبة رفض أن يبيعها ولكنه قال، إنه سيعطيني إياها على شرط أن أهديه في المقابل مبلغ أربعمائة دولار، لقد أحسسنا اليوم بأن الطقس أصبح أكثر دفئًا، وأن الهواء أصبح أشبه بهواء البحر. وقد توقفنا عند حلول الليل على مسافة ميلين من سلسلة تلال سوداء، قيل إن آبار الماء التالية تقع بجانبها.

لقد تحدثت خلال فترة ما بعد الظهر مع واحد من رجال الإمام وكان من قبيلة آل مرة، التي تقع ديارها إلى ناحية الجنوب من المنطقة التي نعبرها الآن.[١٥٦] لقد سمى الصحراء العظيمة الواقعة في الجنوب (تمامة) Temamah، كما تحدث عن «جبول» (جبل؟) يبرين Jebul Yebreen الواقعة في تلك الجهة، كمنطقة كانت في يوم من الأيام خصبة ومتوافرة المياه، والتي قامت فيها في الزمن الماضي مدينة واسعة جدًّا.[١٥٧] لقد

= وتستضيفهم عدة أيام (لمع الشهاب، ص ص٥٢-٥٣). ويبدو أن الغرض من ذلك هو إتاحة الفرصة أمامهم ليتعرفوا على مبادىء الدعوة الإصلاحية السلفية ومشاهدة أحوال أهل الدعوة بأنفسهم. وقد حرص كذلك الإمام فيصل بن تركي على الاستمرار على تلك العادة وكان يوقع أشد العقوبات بمن يعتدي على الحجاج من رؤساء القبائل الرحل. ابن بشر، *عنوان المجد*، مج٢، ص ص١٤٠، ١٤٥-١٤٨.

(١٥٦) تمتد ديار آل مرة على شكل قوس عظيم، يبدأ بالقرب من نجران في الجنوب الغربي لصحراء الربع الخالي ليشمل المناطق الغربية والشمالية من تلك الصحراء العظيمة حتى يقترب من واحة الأحساء في الشمال. والجزء الشمالي من ديار آل مرة يمتد من صحراء الجافورة إلى صحراء الدهناء في الغرب ويضم واحة يبرين. Cole, *Nomads* pp. 28-30.

(١٥٧) تسمى الصحراء العظمية الواقعة إلى الجنوب من الأحساء بصحراء الربع الخالي. وهذا اسم =

تهدمت المدينة الآن، وسدت الرمال مجاري المياه، وأصبحت المنطقة مقفرة تقريبًا، ولكنّه قال، على أية حال إنه في فصل معين من السنة تذهب قبيلته إلى هناك لجمع التمر ولرعي حيواناتها. إن قبيلته تملك سلالة مشهورة من الخيل تعرف بآل مرة Al-e-morrah وقال لي هذا الرجل إنه يملك ثلاث عينات جيدات منها ترعى الآن بين الكويت والبحرين، والتي يسعده أن يتخلى عنها. كما أخبرني الرجل علاوة على ذلك بأنه كان قد سافر إلى نجران وحضرموت، وأثنى على تلك المناطق ثناءً كثيرًا.

لقد بدا الإرهاق واضحًا على جمالنا في هذا اليوم، إذ أثرت عليها الحرارة وعدم توافر العلف خلال اليومين الماضيين، تأثيرًا شديدًا، وبدأت أشك فيما إذا كانت تستطيع أن تقوم بأكثر من حملنا إلى ساحل البحر. وهذا بطبيعة الحال، إنجاز طيب منها، لأنها بهذا تكون قد سارت حوالي تسعمائة ميل خلال ثلاثين يوما، بما في ذلك المدة التي أمضيناها في الرياض. وأثناء تلك المدة كانت الجمال أيضا تسير مسافة إضافية للانتقال بين مراعيها والعاصمة.

= حديث لهذه الرمال الواسعة التي تسمى كل ناحية منها باسم قديم خاص بها ليس (تمامة) من بينها. والجزء الواقع إلى جنوب الأحساء مباشرة من الربع الخالي يعرف بِرَمْل يبرين، وهو واقع ما بين صحراء الجافورة في الشرق والجزء الجنوبي من الدهناء (وبار) في الغرب. أما (جبول يبرين) فهي (جوبة يبرين)، وهي أكبر الواحات الموجودة في داخل ذلك الرّمل. والجوبة بمعنى الوهدة أو المنخفض بين آكام وتلال من الرمال. وتبعد يبرين حوالي ثمانين كيلاً إلى الجنوب من حرض. وتُصور كتب الجغرافيين القدماء يبرين كواحة عامرة آهلة بالسكان خلال القرون الأولى من الفترة الإسلامية، لكنها خربت زمن القرامطة ولم تعمر بعد ذلك.

وفي العصور الحديثة بقيت الواحة محتفظة بقدر من المياه وأشجار النخيل المهملة التي يذهب بعض آل مرة لجمع تمورها في فصل الصيف. وقد حاول بعض شيوخ آل مرة إنشاء هجرة في الواحة أيام الملك عبدالعزيز لكن حُمَّى الواحة حالت دون ذلك. الجاسر، *معجم المنطقة الشرقية*، ص ص ١٨٦٩ ـ ١٨٧٧، لوريمر، *دليل الخليج*، *القسم الجغرافي*، مج٣، ص ص ٣٨١ ـ ٣٨٢.

٩٥. لقـد كان محط رحالنا في الليلة السابقة على أقصى سلسلة من الكثبان الرملية من الناحية الشرقية التي تنحدر الأرض بعدها فجأة فيما يشبه سلمًا من السدود الرملية. ثم بعد ذلك تميل ميلا تدريجيًا حتى تصل إلى أصل سلسلة سوداء من التلال. وهنا وجدنا كثيرًا من الماء الذي يمكن شربه على عمق حوالي سبعة أقدام أو نحوها، تحت سطح الأرض. وعنـدما غادرنا الآبار، أخذنا في الصعود مرة أخرى واستقبلنا التلال أو السهول المتموجة التي تشكل بداية مناطق الأحساء(١٥٨) وهذه (المناطق) عادة ما تكون مغطاة بالرمل، وفي أماكن أخرى تكون هشة مع نوع من القشرة الأرضية المتحللة. وفي أغلب الأحيان تكون هذه الأماكن مغطاة بالحجارة المتناثرة، وتشبه في سماتها العامة سهول الصمّان المفتوحة. لقد كان هبوطنا اليوم أكثر وضوحا وأشد من أي هبوط كنا قد قمنا به حتى الآن. لقد أصبحت حرارة الجو مرتفعة ورطبة نسبيًا مذكرة إيانا بطقس الخليج الفارسي. لقد كانت جمالنا في كرب شديد، ولم يستطع واحد أو إثنان منها المقاومة فَبَرَكَا. لقد سرنا حتى الآن اثنتي عشرة ساعة دون توقف، وكنت عازما على مواصلة السير لمدة ساعة أو ما يقاربها بعد هبوط الليل، لكي أتأكد من أننا سنصل إلى الأحساء في الليلة التالية. لكن الجمال لم تكن على قدر المهمة، فاضطررنا إلى التوقف فجأة، تاركين الفرصة للحيوانات لتتمكن من اللحاق بقدر ما تستطيع وعلى وجه العموم، كانت طريق عودتنا إلى الشرق من الدهناء مجدبة جدًا، إذا ما قورن بالـطريق التي سرنـا عليها ونحن ذاهبون إلى الداخل. ولم أجد في الصمّان المواجهة للخليج على طريقنا إلى الأحساء، ما يشبه تلك السهول الجميلة الواقعة بين الكويت والصمّان، والتي أتاحت لجمالنا رعيًا وافرًا.

(١٥٨) يذكر المؤلف (الجُود) كأول منهل يرده بعد منهل رميلان (رملان)وكأول محطة يتوقف فيها بعد خروجه من الصمّان (انظر ملحق رقم ٤) ويبدو أن هذه الآبار التي وردها هنا هي منهل (جودة) المعروف والواقع إلى الغرب من وادي المياه ومرتفعات الطُّف، كما يبدو أن ركب المؤلف قد ترك طريق مخَيِّط — الذي يمر بمنهل العُثمانية — واتجه شمالا ليرد منهل جودة الذي يمر به طريق (الجودي). وهذا واضح من الخريطة التي أرفقها المؤلف. أما التلال التي تقع آبـار جودة بالقـرب منها والتي صعدها الرّكب بعد مغادرته الآبار فهي مرتفعات الطُّف. (انظر: الجاسر، *معجم المنطقة الشرقية*، جودة، الطّف).

لم نر أي عربي اليوم. ولكننا على كل حال، اجتمعنا برجال الإمام عند الآبار. وكالعادة كان المشروب قهوة سحقت في الحال في هاون من المعدن الثقيل. ومن اللافت للنظر أنه بينما لا يكلف العربي نفسه عناء حمل غيار واحد من الملابس، فهو يثقل بعيره في الوقت ذاته بحمل إناء القهوة (دلة) والهاون وأدوات أخرى،(١٥٩) وقد أضاف أصدقاؤنا اليوم إلى هذا مبخرة صغيرة، أمرُّوها على الحاضرين بعد القهوة. فيسد كل شخص، على التوالي، منخريه ويضع المبخرة تحت فمه، قريبا منه، لكي يستنشق البخور. وبعد ذلك يمرر المبخرة جيئة وذهابا أمام صدره ليكسب ملابسه من الرائحة. لقد وُضع في قهوتنا مقدارٌ كبيرٌ من الزعفران. وفي بعض الأحيان، توضع في الدلَّة قطعة من العنبر لتكسب المشروب نكهة طيبة.

---

(١٥٩) لا تقتصر مُتعة تناول القهوة عند العرب على احتساء ذلك الشراب المنبه فقط، بل تتعدى ذلك إلى الاجتماع عليها وطريقة تحضيرها التي اكتسبت مع الوقت نوعًا من الطقوس الاجتماعية، تتضمن الدقة في عملها وما يصاحب إيقاد النار لها وحَمسها وسحقها من روائح وأصوات وأحاديث وأخبار وأشعار. ولذلك فهم يحرصون على حمل كل آنيتها معهم في الأسفار، رغم ثقل تلك الآنية، ويقومون بكل خطوات التحضير في كل مرة، قال شاعرهم:

ليا ضاق صدري جبت نِجْر ومِحْماس
وادلال بيض غَالي مُشْتراها
قم سو فنجال عَلى خمسةَ أجْناس
احذر تجي حَرْقة وْنَالك نِيَاهَا
خَلّك لها عن كل عُذْروب حَسّاس
قَيِّس لها الطَّبْخة على قَدْماها
حتى يجي فِنْجالها يَجْلي الأعْماس
عُقب الصَّلف والسهر ماكْبَر غلاها
خَصّصْ مِشَاكيلٍ على النّار جِلاّس
حبوس الرجال اللِّي بِعيدٍ مِداها

أنظر: السويداء، نجد في *الأمس القريب*، ص٢٩٦.

٩٦. لقد ذبحنا اليوم خروفا هدية لجمّالتنا، فأراد طباخي الاحتفاظ بالكُليتين لنـا. لكن ذلك أغضب العرب كثيرا، فرفضوا الخروف. لقد تجاهلتهم، وبعد فترة قصيرة بدأوا العمل وقاموا بإعداد وجبة شهية، وفي اليوم السادس عشر، واصلنا طريقنا متجهين إلى بلدة الأحساء، وعبرنا بعد الظهر سلسلتين من التلال.(١٦٠) لقد كان من المتعذر على كل حال الوصول إلى البلدة، ولذلك توقفنا عند الغروب، قبل أن نصعد السلسلة الأخيرة التي تطل على سهل الأحساء.

٩٧. في صباح اليوم السابع عشر (من مارس) تقدمت مع رجال الإمام والمترجم لكي نصل إلى البلدة قبل بقية القافلة، وللتأكد من كيفية سير الأمور هناك. لقد كان الطريق ينحدر عبر ممر ملتو إلى سهل الأحساء. وكنا نستطيع تمييز رؤوس النخيل في الحقول البعيدة. وبعد أن دخلنا إلى السهل، انطلقنا شرقا متجهين إلى تل منعزل تقع تحته مباشرة بلدة الهفوف.(١٦١) وتقع خلف حقول النخيل تلالٌ بعيدة تمتد إلى ناحية الشمال والشمال الشرقي. وإلى الشرق من ذلك، توجد كتلة من التلال تسمى (قارة) Gharra أو جبل الكهف، حيث يلجأ سكان بلدة الأحساء بحثا عن الظل والبرودة خلال الفصل الحار.(١٦٢)

---

(١٦٠) يبدو أن هاتين السلسلتين من التلال هما المُرتفعات التي تحف بوادي (الفروق) من الشرق والغرب والتي تجتازها الطرق المؤدية إلى الأحساء من نجد. ويبعد الفروق عن الأحساء حوالي خمسين كيلاً إلى الغرب. الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١٣٠٦-١٣٠٧) وقد أثبت المؤلف هذا الاسم Ferooy في الملحق رقم (٤) كأحد مراحل طريقه إلى الأحساء.

(١٦١) تقع بلدة الهفوف في الناحية الجنوبية الغربية من واحة الأحساء، ويعود بناء أقدم معالمها، مثل قصر الكوت ومسجد الدبس إلى العثمانيين، عندما استولوا على الأحساء عام ٩٦٠هـ/١٥٥٣م، وذلك بُعْدا بحاميتهم وموظفيهم عن حُمّى (ملاريا) وسط الواحة. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الهفوف القاعدة الإدارية للمنطقة، حيث انتقل كثير من أهل الأحساء والمهاجرين للسكنى بالقرب من الكوت. انظر: الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص١٨٥٠ وما بعدها. الأحسائي، *تحفة المستفيد*، ص٣١٠ وما بعدها.

(١٦٢) القارة، أو جبل القارة، هو عبارة عن تل واحد يقع إلى الشمال الشرقي من بلدة الهفوف، على بعد عشرين كيلاً منها. ويبلغ طول التل حوالي كيلين وعرضه كيلاً واحدًا. ويتخلل =

٩٨ . عندما اقتربنا من طرف الهفوف التي تختفي مع قراها المجاورة بين حقول النخيل والحدائق، تركنا بلدة المبرَّز المتهدمة وقصرها fort على يسارنا مباشرة، وأقمنا مخيمنا في بستان يقع على الجانب الجنوبي للهفوف مباشرة، بعد أن طفنا حول حافة الأراضي المزروعة.(١٦٣) لقد بدت البلدة أكبر من الرياض. والأحساء مع ميناءيها؛ القطيف والعُقير، تشكل إلى حد بعيد، أكبر المراكز التجارية في بلاد السعوديين (الوهّابيين)، ففي هذا المكان، تصنع العباءات Dabbas وبعض أسلحتهم. أما بقية الأسلحة، فتأتي من دمشق ونجران أو البصرة. ويوجد هناك — على ما أعتقد — سبع قلاع (قصور) في منطقة الأحساء، تحتوي كل منها على حامية صغيرة من seedees أو من الجند السعوديين (الوهابيين) الآخرين.(١٦٤) إن منطقة الأحساء غنية بالمياه، حيث تغذيها العيون الجارية التي تتدفق بغزارة من باطن الأرض، ثم تسيح على شكل جداول في كل الاتجاهات بين البساتين وأحواض الحشائش والحقول، والمنطقة المروية بهذه

= هذا التل بعض الكهوف والغيران العميقة التي تكون باردة في الصيف ودافئة في الشتاء بسبب انعزالها بالصخور عن درجة الحرارة الخارجية، ولذا يلجأ إليها سكان المناطق المجاورة من قسوة الطقس. الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، القارة.

(١٦٣) تقع بلدة المُبرَّز على مسافة ثلاثة أكيال إلى الشمال من الهفوف، وكان موقع هذه البلدة مكانا تبرز إليه أو تجتمع فيه قافلة حجاج الأحساء قبل مسيرها إلى الحجاز — وقد أصبحت المبرز من أهم بلدان الأحساء أيام الدولة السعودية الأولى، حيث كان سكانها من الموالين لتلك الدولة، التي أقامت فيها حامية في (قصر صاهود) إلى جانب حامية (قصر الكوت) في بلدة الهفوف المجاورة (الأحسائي، *تحفة المستفيد*، ص ص١٣٣-١٣٧). أما الدولة السعودية الثانية فلا يبدو أنها كانت تقيم حامية في المبرز، بل اكتفت بحامية الهفوف، مقر الإمارة. كما أن بلدة المبرَّز لم تتهدم تمامًا كما يبدو من كلام بلي، ولم يذكر ذلك صاحب *تحفة المستفيد*، الذي تنتمي أسرته إليها. بل إنه يذكر أن أهل المبرَّز قد صالحوا الأمير سعود بن فيصل، الثائر على أخيه، عبدالله، بعد وقعة الوجّاج ومحاصرته للهفوف عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م (ص ص١٦٨، ١٦٩).

(١٦٤) من أهم القصور (القلاع) الموجودة في منطقة الأحساء أيام الدولة السعودية الثانية، قصر الكوت، قصر صاهود وقصر ماجد، قصر إبراهيم، وقصر خزام. ابن بشر، *عنوان المجد*، مج٢، ص ص١٠٩، ١٢٤؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١٤٢٩-١٤٣٣.

الطريقة تتخذ شكلا بيضاويًّا غير منتظم، وتمتد حوالي خمسين ميلا طولا وخمسة عشر ميلا عرضا على الأكثر. لقد قابلنا كثيرًا من الفلاحين الذين كانوا يجلبون المحصولات إلى البلدان، على حمير جيدة، سريعة الخبب، محملة بنوع من السلال الأسبانية. وعلى العموم، لقد كان هناك مظهر من البهجة والحركة في المكان لم يسبق لنا رؤيته في أي مكان آخر في المناطق السعودية (الوهابية).

٩٩. لقد كان أمير الهفوف مهذبًا، فأرسل مؤنا، ولكن لم يقم أحد بزيارتنا كما كان الحال حقيقة في الرياض.[١٦٥] وكان التفسير لذلك، هو الحذر الشديد من قبل الحكومة السعودية (الوهابية).

١٠٠. لكون الأحساء منطقة حديثة الفتح، ولم تكن بأية حال، ميَّالة إلى طريقة السلفيين (الوهابيين) المحافظة، فإن الحكومة ترتاب أكثر مما ينبغي في كل حركاتها وعند كل بادرة — وليس هناك أي شك على ما أعتقد — أن مناطق الأحساء والقطيف ستعمد إلى التخلص من الحكم السعودي (الوهابي)، عندما تجد الفرصة لذلك.[١٦٦]

(١٦٥) كان أمير الأحساء، الذي يقيم في الهفوف، في أواخر أيام الإمام فيصل بن تركي، هو محمد بن أحمد السديري، وقد خلف محمد السديري أباه في إمارة الأحساء عام ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م. ومكث فيها حتى عزله الإمام عبدالله بن فيصل عام ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م (في عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م، عينه الإمام فيصل أميرًا في القصيم مقره في بلدة بريدة، إلا أن أهل الأحساء وفدوا على الإمام في السنة التالية، وطلبوا منه إعادة أميرهم محمد السديري إليهم، فأجابهم لذلك، وكان محمد السديري من أبرز الأمراء الذين خدموا الدولة السعودية الثانية في الأحساء، وقد قتل عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م في موقعة (طلال) التي هُزم فيها الأمير سعود بن فيصل من قِبَل الرّوقة من عتيبة ابن عيسى، عقد *الدّرر*، ص ص٤١، ٤٤، ٥٣، ٧٦؛ الأحسائي، *تحفة المستفيد*، ص ص١٦٣، ١٦٥، ١٦٧.

(١٦٦) بعد أن تمكن الإمام تركي بن عبدالله وابنه فيصل من كسر شوكة بني خالد — الذين عادوا لحكم الإحساء بعد سقوط الدولة السعودية الأولى — وإخراج بقية رؤسائهم بعد انتصاره الحاسم عليهم في وقعة السَّبْيَة عام ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م، دانت الأحساء والقطيف لقادة =

إن النـاس هنـا يبـدون مرحين بطبيعتهم ومكرسين أنفسهم للتجارة والزراعة. فهم يلبسون الحرير، كما يباع التبغ علنا في الأسواق. ولو أنني سمعت أخيرا أن مبعوثين وشيوخا قد أرسلوا من العاصمة إلى الأحساء للإنكار على الناس حياتهم المُنْحَلَّة ولتطبيق المحافظة السلفية (الوهابية) المتعصبة. ويظهر أيضا أن هؤلاء المبعوثين قد صرفوا فجأة عن مهـامهم بإشـارة من الأمـير بدعوى أننا (الإنجليز) سنهاجم سواحله، وأنه من الأفضل تأجيل تنفيذ الإصلاح الديني حتى تتم تسوية المشكلات السياسية.

١٠١. وأخيرا فإن إقامتي في الأحساء كانت من القِصَر لدرجة أنني لا أستطيع إعطاء أي تقرير مفصل عن القرى المجاورة.

١٠٢. لقد أمضينا اليوم السابع عشر وصباح اليوم الثامن عشر في اجتياز المنطقة الرملية المقفرة الواقعة بين الأحساء وميناء العُقير. إن الأحساء، في الواقع واحة، فبعد أن تترك آخـر بساتين النخيل مباشرة تدخل إلى قفر من الكثبان الرملية، حتى أنك لتستطيع أن تطل من فوق آخر سلسلة من تلك الكثبان مباشرة على قلعة (قصر) العقير وخليجه(١٦٧) وهنا كما كان مرتبا من قبل، وجدنا الباخرة راسية في عرض البحر وقاربا

= الـدولـة السعودية الثانية، حتى استيلاء العثمانيين على المنطقة عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م. وبالرغم من عدم استقرار الأمور في نجد خلال هذه الفترة، بسبب تدخل الحكومة المصرية العسكري ولأسباب أخرى. إلا أن المنطقة ـ الأحساء والقطيف بقيت على ولائها للدولة السعودية، ولم تقم بأية محاولة ذات بال للانفصال أو الاستقلال عنها، إلا ما كان يبدر من أطماع آل خليفة، حكام البحرين في المناطق الساحلية وتحريضهم لأهل القطيف، أو ما كان يبدر من بعض القبائل الرحل من إخلال بالأمن، وخاصة قبيلة العجمان التي كانت تطمع في وراثة مكانة بني خالد في المنطقة. والحقيقة أن منطقة الأحساء والقطيف كانت أكثر ولاء للدولة السعودية الثانية من بعض المناطق النجدية ذاتها. ابن بشر، *عنوان المجد*، مج٢، ص ص٤٩، ٦١، ٩٠، ١٠٩، ١١١، ١١٥، ١٢٥، ١٤٠، ١٤٢، ١٧٧؛ الأحسائي، *تحفة المستفيد*، ص ص١٤٨، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٥.

(١٦٧) العُقير، ميناء على ساحل الخليج العربي فيه قصر (قلعة) وقيصرية (خان) وهو ميناء واحة الأحسـاء ومـا إلى غربها من مناطق جنوب نجد، ترد عَبْره تجارة الهند وغيرها، وتخرج منه =

ينتظرنا بالقرب من الشاطىء. ويظهر أن بحارة القارب قد نزلوا إلى الساحل حسب التعليمات، ونصبوا خيمة صغيرة مزودة بالمؤن لاستقبالانا، ولكن الحاكم (حاكم العقير) الذي تلقى تقريرًا خاطئًا يفيد بأنني لم أستقبل استقبالاً حسنا في العاصمة، أمر بأن تطوى الخيمة، ويعود الرجال إلى القارب. فلما عرف خطأه، أصبح بعدها يتكلف اللطف، فأرسلت لإحضار بحار إنجليزي واقترحت على الحاكم أن يعتذر له عن تصرفه، ففعل.

١٠٣. وبعد أن صعدنا إلى ظهر الباخرة، أبحرنا على طول قناة تمر بين جزيرة البحرين وساحل الجزيرة العربية. ومن هناك توقفنا خارج بلدة المنامة الواقعة على أكبر جزر البحرين حيث قمنا ببعض الترتيبات الضرورية مع الشيخ (شيخ البحرين[١٦٨] ومن ثم عبرنا الخليج مرة أخرى إلى بوشهر.

١٠٤. لقد جازفت ببعض الملاحظات في مذكرتي السابقة فيما يتعلق بخط تقسيم المياه في وسط وشرق الجزيرة العربية. وإن كل الملاحظات التي أمكنني القيام بها منذ ذلك الوقت، لا تدعوني إلى أي تغيير جذري للآراء التي قدمتها في ذلك الحين. إننا نعرف الحقائق العامة القائلة بأن الانحدار العام للبلاد من مرتفعات نجد يتجه إلى الناحية الشرقية والجنوبية. ثانيا: إن المناطق المرتفعة تحمل آثارًا واضحة لعدة سيول سريعة الاندفاع. إن سقوط الأمطار قليل بدون شك، ولكن بالرغم من ذلك، فإن هناك تجمعًا لا بأس به للمياه. ثالثا: توجد هناك مصادر للمياه العذبة التي تنبع على مدار السنة في مناطق الخرج واليمامة وفي جهات سدير حول الحواف الشرقية والجنوبية

= القوافل التجارية إلى الأحساء ونجد. يبعد العُقير عن الأحساء حوالي ٨٠ كيلاً وقد فقد أهميته التجارية بعد سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م بعد اكتشاف النفط وظهور الموانىء الحديثة، مثل الدمام ورأس تنورة، الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١١٧٨-١١٨٢؛ لوريمر، *دليل الخليج*، *القسم الجغرافي*، مج٥، ص٢٥٨٦

(١٦٨) شيخ البحرين خلال هذه الفترة هو محمد بن خليفة (١٢٥٨-١٢٨٤هـ/ ١٨٤١-١٨٦٧م).

للجبال.(١٦٩) رابعا: نجد أن السيول الرئيسة لتلك السيول التي تنحدر مع وادي حنيفة ومنطقة العرمة من مرتفعات اليمامة، مثلا، تغذي آبارا بماء على عمق قريب، ثم تفقد أغلب مياهها في رمال الدهناء واليمامة. خامسا: نجد على السهول المستوية المنخفضة القريبة من ساحل البحر، سلسلة ثانية أكثر وفرة بالينابيع العذبة في مناطق يبْرين والأحساء والقطيف. سادسا: نجد المياه العذبة تفور من الأرض مرة أخرى في المناطق الأكثر انخفاضا من جزر البحرين. سابعا: نجد أنه بالقرب من البحرين وإلى الشمال من رأس تنورة، ينابيع عذبة على عمق يتراوح ما بين الثلاث والست فاثومات في عرض الخليج الفارسي. ويبدو أن جميع هذه الحقائق تشير إلى أن المياه تتجمع من مرتفعات نجد كمصدر عام، ومن ثم تتخلل (باطن الأرض) في اتجاه شرقي وجنوبي، وتزداد كميتها في مجموعات الينابيع مع انخفاض المنطقة، بفعل الأمطار القليلة التي تسقط على البراري الفاصلة (ما بين مرتفعات نجد والساحل) وفي النهاية تندفع المياه بنفسها من خلال صخور الخليج الفارسي المرجانية.

١٠٥. ليس هناك — بناء على مشاهداتي، أو ما نما إليه علمي — أي نهر دائم أو جدول جدير بالاهتمام يجري على ظهر الأرض ليصل إلى الشاطىء فيما بين الكويت، الواقعة على رأس ا لخليج الفارسي حتى رأس مسندم الواقع على مدخله الجنوبي.

إن سقوط الأمطار، بدون شك، أكثر غزارة على طول ساحل عمان فيما بين دبًّا ورأس الحَدّ. إن المنطقة الجبلية (هنا) أكثر ارتفاعًا وأقرب إلى الشاطىء، كما أن تربة السهل الفاصل (بين الساحل والجبل) أقل مسامية. وفي الحقيقة، يمكن وصف المنطقة العمانية الواقعة بين دبًّا ومسقط كسهل ضيق يتراوح متوسط عرضه ما بين عشرين إلى ثلاثين ميلا، ويستند إلى سلاسل من الجبال يبلغ ارتفاعها ما بين ثلاثة إلى ستة آلاف قدم، والتي تنحدر بدورها إلى الداخل إلى هضبة مرتفعة تختفي في النهاية تحت رمال صحراء الجزيرة العربية العظيمة(١٧٠) وعند المقارنة بغرب الهند، فإن السهل الساحلي

(١٦٩) يقصد جبل طويق.

(١٧٠) يُعْرف السهل الساحلي الضيق الممتد من دَبًّا إلى رأس الحد، بسهل الباطنة، بينما تعرف سلاسـل الجبال المشرفة على ذلك السهل من الغرب، بجبال الحَجَر الشرقي في الجنوب =

يقابل أو يشبه الكونكان Concan والمنطقة الجبلية تقابل الجاتس Ghats ، والهضبة الداخلية تقابل الدّكن Deccan ، لكنه حتى في هذه المنطقة الغنية بالمياه من عمان ، لا يوجد هناك — حسب ما رأيت أو سمعت — أي نهر أو جدول كبير دائم الجريان يصل إلى الساحل. إن مجاري السيول، بدون شك، عريضة وفي بعض الأحيان لا يمكن اجتيازها ، فمثلا ، يقع خلف السيب على الطريق المتجهة إلى الجبل الأخضر، وادٍ تصل سيوله إلى مسافات طويلة في أوقات متفاوته خلال جزء كبير من السنة ، ولكن حتى هنا لا يصل إلى البحر نهر دائم. فبعد هطول أمطار غزيرة يتكون على السهل ما يشبه البحيرة الواسعة من المياه التي ربما لا يتمكن أحد من اجتيازها في الصباح ، وعندما يأتي المساء لا يتبقى من ذلك سوى سهل موحل وبرك من الماء على طول مسيل الوادي .

١٠٦ . إلى الجنوب من مسقط ، في اتجاه رأس الحد ، تنحدر المنطقة الجبلية عموديًّا إلى البحر، وحوالي منتصف الطريق إلى صور على هذا الخط الساحلي ترسل بعض أعلى القمم أنوفها حتى تكاد تعانق الشاطىء ، وفي الوقت نفسه ، تنافس نباتها وطقسها أرض الفاكهة المشهورة في الجبل الأخضر.

لقد أنشىء - إذا كان لي أن أذكر عرضا — بالقرب من سفح هذه السلسلة العالية ، أقدم قلاع البرتغاليين ، ولكنه لا يوجد أي نهر في أي مكان هنا .

١٠٧ . فيما يتعلق بالأحوال السياسية لحكومة السعوديين (الوهّابيين) التي هي عبارة ـ كما ذكرت سابقا ـ عن تحالف من عدة قبائل تكتلت أساسا عن طريق الإخضاع ، والتي تتماسك مع بعضها تقريبا بواسطة فكرة دينية . ليس من شك في أن التحالف السعودي (الوهابي) خطر على جيرانه ، ولكن هذا لا يصونه تماما من كونه يحتوي في داخله على بذور

= الشرقي ، وجبال الحَجَر الغربي ، في الشمال الغربي . ويتوسط تلك السلاسل الجبلية الجبل الأخضر الأكثر ارتفاعًا . أما الهضبة الداخلية الواقعة خلف تلك السلاسل الجبلية إلى الغرب منها فتعرف بإقليم الظاهرة ، حيث تنحدر تلك الهضبة تدريجيًّا إلى رمال الربع الخالي .

انحلاله. إن التحالف السعودي (الوهابي) يسيطر على الساحل الغربي للخليج الفارسي وساحل عمان، ويتلقى الزكاة، سواء كانت عينية أو نقدية، من شيوخ البحرين وأبو ظبي ودبي وأم القوين وعجمان والشارقة ورأس الخيمة. وهو يقيم مركزًا عسكريًا متقدما في البريمي التي تفصل بين هؤلاء الشيوخ وسلطنة مسقط التي تدفع له الزكاة أيضا — وفي الشمال يحتفظ (التحالف السعودي) مع المناطق الشمرية بعلاقات صداقة غير محددة المعالم، حيث يتلقى بعض الهدايا عندما يكون قويا بدرجة كافية، أما فيما عدا ذلك، فإنه يحتفظ بوضعه.(١٧١) وهو غالبا ما يكون على علاقات غير ودِّية مع قبيلة عنزة (Oneyzeh) الكبيرة التي تتجول عبر الصحاري الشمالية. أما العلاقات مع الحجاز والأماكن المقدسة، فإنها مرتبطة أساسا بتنقل الحجاج. ويحتفظ (التحالف السعودي) مع نجران على حدود اليمن باتصالات ضئيلة، وهي اتصالات ذات طابع تجاري فقط. أما العلاقات مع قبيلة الظفير، تجاه الفرات، فيبدو أنها علاقات مهادنة متبادلة تخرقها بعض المصادمات العارضة. وهناك قبائل أخرى ترعى على حدود المناطق النجدية تحت ظروف مختلفة. فمثلا يمكن أن تمنح قبيلة معينة امتياز الرعي دون مطالبة الحكومة المركزية بالحماية. لقد كانت القبائل الممعنة في البداوة والتنقل، التي يشملها التحالف، تحكم كما سبقت الإشارة إليه في هذا التقرير، لكن يجب ألا يفترض أن هناك منطقة معينة حضرية وأخرى رعوية، كأن تكون قبيلة معينة بدوية مترحلة والأخرى مستقرة. على العكس، يمكن أن تجد قبيلة واحدة بعينها تتمثل فيها كل مراحل التطور. فربما يكون قسمٌ منها يرعى قطعانه ورعاياه من نجد إلى نواحي الكويت والبصرة، وربما يكون قسم ثان مستقرًا في البلدان ويعمل فيها بنشاط، في الوقت الذي ربما يكون شيخ القبيلة العام يقيم في العاصمة، أو قريبًا منها مع أتباعه، مستعدًّا لتولي مسؤولية قبيلته أو لتقديم الحصة المطلوبة منه من المساعدات العسكرية للأمير.(١٧٢)

---

(١٧١) يقصد بالمناطق الشمرية، جبل شمر وأمراء آل رشيد.

(١٧٢) بالرغم من أن هناك أمثلة في نجد لقبائل بعضها مستقر والبعض الآخر مترحل، إلا أن العلاقة بين القسمين في الغالب ليست وثيقة. فليس هناك شيخ عام للجميع. بل أن لكل من الحضر والبدو المنتسبين إلى قبيلة واحدة رؤساؤهم الخاصون بهم وعلاقتهم الخاصة والمنفصلة بالحكومة أيضًا.

والحقيقة أنك ترى هنا مجتمعا في سبيل التطور. إن الوصف الذي نقرأه في جوب Job يُصوِّر تصويرًا حَيًّا ما يمكن أن يرى حادثًا في الوقت الحاضر في الجزيرة العربية. وطالما بقيت هذه المناطق محرومة بسبب خصائصها الطبيعية الحاضرة، فإنه من المُرَجَّح أنَّ العرب سيبقون كما هم الآن، وكما كانوا منذ فجر التاريخ.

١٠٨. إن هناك مناطق أخرى ضُمَّت بالفتح، وهي تختلف عن مناطق السعوديين (الوهابيين) الحقيقية، من حيث العادات والتقاليد، مما جعلها لا تساير. حكم السعوديين (الوهابيين) حقيقة، كمناطق الأحساء، والقطيف على سبيل المثال(١٧٣) وأيضا — وبدون شك — كالمشيخات الساحلية وسلطنة مسقط فيما لو أن هذه المناطق كانت قد أُجْبرت على الاندماج في التنظيمات السعودية (الوهابية). هذا نسبيًّا، لأن هذه المستوطنات قريبة من البحر وعلى اتصال مع الحضارة الخارجيَّة، في مثل هذا التناسب، فإنه سينظر إلى هذه الأنماط الثابتة والمحافظة والتعصب الذي يلتزم به حكم ديني يتقيد تقيدا حرفيًّا بتعاليم ظهرت في القرن السابع (للميلاد) على أنها مُضْجرة ورجعية لا تطاق(١٧٤) وأن الأمل الوحيد للتخلص، في ظل احتمال امتداد السلطة الوهابية مرة أخرى، ربما يكمن في حقيقة أنه لكون هؤلاء الناس الذين يعيشون على الساحل، أكثر ذكاء وثروة من الوهابيين في المناطق الوسطى فإنهم وبدون وعي منهم سيتفاعلون ويؤثّرون على حكامهم أكثر من تأثير هؤلاء الحكام عليهم.

(١٧٣) سبق أن أشرنا إلى الحقيقة التاريخية الثابتة التي مؤداها أن مناطق شرق الجزيرة كانت من أشد المناطق ولاء للدولة السعودية الثانية انظر حاشية رقم (١٦٦)، فقرة رقم (١٠٠) أعلاه.

(١٧٤) هذا تجن شديد من المؤلف على الإسلام وسكان الجزيرة العربية واتباع الدعوة الإصلاحية السلفية، فالتعاليم التي جاء بها الإسلام في القرن السابع للميلاد، لاتزال في القرن التاسع عشر، هي التي يؤمن بها سكان المناطق الساحلية وسلطنة مسقط. ولم يكن هؤلاء يعتبرونها «مضجرة ورجعية لا تطاق» كما أن بعض سكان تلك المناطق الساحلية كان من أشد الناس ولاءً، للدولة السعودية الأولى والثانية ودعوتها الإصلاحية، وواضح أن المؤلف متأثر بخلفيته الدينية والحضارية وعقلية المستعمرين الأوروبيين في القرن التاسع عشر. فهو هنا يقيس سكان المناطق الساحلية على نفسه وَيُلبسهم منطقه وفكره. هذا بالإضافة إلى أن وصف المؤلف لأهل الساحل بأنهم أكثر ذكاء من غيرهم، بعيد عن التفكير الموضوعي.

١٠٩ . يمكن ملاحظة أنني لقبت الحاكم السعودي (الوهابي) مرة بالإمام ومرة بالأمير دون تفريق . وفي الحقيقة أن اللقب الأصلي للسلطة الزمنية ، هو الشيخ ، وحتى الآن ، فإنه ليس من غير المألوف أن تسمع البدو يُسَموّن الأمير فيصلاً ، بابن سعود أو الشيخ بالدرجة الأولى . ومع ازدياد السلطة الزمنية للحاكم السعودي (الوهَّابي) فقد أصبح يُلقَّب بالأمير، وهو اللقب الذي مازال يُعرف به في الغالب بين الأجانب . ولكن اللقب السائد بين أتباعه القريبين في العاصمة هو لقب الإمام ، وهو لقب يدل ضمنا على زعامة روحية . وهو (الحاكم) ـ بهذا يتمتع في القرن التاسع عشر، بامتيازات تلك الأيام الأولى الزاهرة، عندما كان يمثل السلطة الروحية والسياسية شخص واحد له القول المطلق في الأمور الدنيوية والأخروية .

١١٠ . لقد شغلتني واجباتي الوظيفية منذ عودتي من الرياض ، في أمور تتعلق بوسط الجزيرة العربية وشرقها . وربما لا يكون من الممل تقديم تاريخ شخصي للرؤساء الذين أشير إليهم في هذا التقرير حتى اليوم .

١١١ . لقد هبط الأمير فيصل ، الذي كان قد ضَعُف جسميًا وكَفَّ بصره حينما قابلتُهُ ، إلى حالة من الشلل بعد ذلك حتى حوالي شهر يونية الماضي . ويظهر أنه قد تخلى عن تدبير الأمور لابنه عبدالله . لم أقابل عبدالله شخصيًا في الرياض ، بالرغم من أن كلانا ، على ما أعتقد يرغب في الاجتماع بالآخر، وإن كان يبدو أن عبدالله خاف من أنني إذا ما قابلته وتعرفت على هناته وسلوكه ، فإنه يمكنني في المستقبل أن أمارس تأثيرًا غير مناسب على تصرّفاته . لقد نُقل خبر وفاة الأمير خطأ عن طريق مصر إلى لندن في شهر أغسطس . ولكنه مات أخيرًا بالكوليرا في ١٣ رجب[١٧٥] ١٢٨٢هـ ، الموافق للثاني من ديسمبر ١٨٦٥م ، وخلفه عبدالله .

(١٧٥) يذكر ابن عيسى ، أن وفاة الإمام فيصل بن تركي كانت لتسع بقين من رجب سنة ١٢٨٢هـ ، وتولى بعده ابنه عبدالله . ابن عيسى ، *تاريخ بعض الحوادث* ، ص١٧٧ . وانظر أيضًا : *عقد الدرر*، ص٤٩ .

لقـد أحدث تسلم عبدالله لمقاليد الأمور تغييرًا خطيرًا في وضع سكرتير الأمير المتوفَّى وموضع ثقته، محبوب، الذي صُودرت بعض ممتلكاته الشخصية بعد ذلك مباشرة تقريبًا. والحقيقة أن محبوبًا لم يكن أبدا على وفاق مع عبدالله. وقد علمتُ أنه الآن ينتظر في العـاصمة فرصة مواتية للهرب. لقد قلت له في الربيع الماضي أن المسلك الذي ينتهجه، ربما يسوقه إلى المقيمية في بوشهر ويظهر أنه الآن، سيقبلُ مسرورًا هذا المصير، أو أنه سينتهي إلى مَكّة.(١٧٦)

١١٢. وفي الوقت نفسه، فإن وضع عبدالله نفسه — على أية حال — ليس آمنا تماما. فالمناطق الساحلية كالقطيف والأحساء، كما ذُكِر سابقًا غير موالية في الباطن، وهي فقط، تنتظر الفرصة الملائمة كما أن أخاه سعودًا يُكن له عداوة شخصية منذ عدة سنوات. وإذا ما توجهت الأحداث في صالحه فإنه سيطمح إلى السلطة.

إن مزاج سعود أكثر اعتدالاً من مزاج عبدالله، وهو مفضل من قبل السكان الحضر. إن قوة عبدالله تكمن في شخصيته كمقاتل، وذلك يُثير إعجاب البدو،(١٧٧)

(١٧٦) يؤيد كلام المؤلف هنا، عن عدم الوفاق بين الأمير عبدالله بن فيصل ومحبوب بن جوهر، أن الأخير انضم إلى الأمير سعود بن فيصل، الذي خرج على أخيه بعد أن خلف عبدالله أباه كإمام للدولة. وليس من المعروف تماما، متى التحق محبوب بسعود، إلا أن الأول كان مع سعود في الأحساء في ربيع عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، بعد استيلاء سعود على تلك المنطقة. وبعد أن استولى سعود على الرياض في السنة نفسها، أرسل محبوبًا على رأس حامية صغيرة إلى البريمي. وقد مكث محبوب هناك ممثلا لآل سعود بالرغم من استيلاء العثمانيين على الأحساء، حتى عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م، التي تضعضع فيها موقف الأمير سعود بعد وقعة طلال، فسلم محبوب زمام الأمور في البريمي لبعض رؤساء المنطقة وغادرها. أبو علية، *الدولة السعودية الثانية*، ص٢١٠؛ winder, *Saudi Arabia*, pp. 251, 258

(١٧٧) إن مقدرة الأمير عبدالله القتالية مشهورة، لكن أغلب وقائعه العسكرية وانتصاراته، كانت ضد البدو، وخاصة قبيلة العُجمان، مما أكسبه عداواتهم، وبالتالي انضموا إلى جانب أخيه سعود عندما ثار ضده. الأحسائي، *تحفة المستفيد*، ص ص١٦٧ـ١٧٠؛ العثيمين، *تاريخ المملكة*، مج١، ص٢٨٠.

إن لعبدالله قريبين آخرين أيضًا يُسميَّان على التوالي، محمد بن ثنيان وثنيان بن ثنيان، وهما على استعداد للتعاون في سبيل الوصول إلى الإمامة، إذا ما ظهرت لهما فُرصة للنجاح،(١٧٨) ويقال إن بعض القبائل في وسط نجد تميل إلى الثورة. وقد علمت من مصادر جيدة، أنه لو حدث أننا دفعنا الأمور أثناء الأزمة الأخيرة بين مسقط والسعوديين (الوهابيين)، فإنه من المحتمل أن يكون قد نتج عن ذلك تمزق التحالف السعودي (الوهابي)، أو يكون على الأقل، قد تحول إلى المسالمة لفترة طويلة في المستقبل.

١١٣. وحسب سير الأمور الآن، فإن الحكومة السعودية (الوهابية) ربما تبقى هادئة لبعض الوقت. ولكنها ستستأنف سياستها العدوانية مرة أخرى. وإذا ما تمكن عبدالله من تعزيز سلطته في الداخل، وتأكد من عدم تدخلنا في الخارج، فإن النتيجة المحتملة هي أن التحالف السعودي (الوهابي) سيسيطر سيطرة مباشرة على شيوخ ساحل القراصنة، وإن كل شرق الجزيرة العربية من الكويت حتى رأس الحد سيسقط في النهاية طائعًا أو مُكرها تحت النفوذ السعودي (الوهابي).

١١٤. نعود إلى النزاع بين السعوديين (الوهابيين) ومسقط. كما ذكر سابقًا، لم أكد أعود من الرياض إلى بوشهر بعلاقات أفضل من ذي قبل، حتى قررت الحكومة، أنه يجب عليَّ أن أؤجل الأمور التي كلفت نفسي بها، إلى ما بعد تلك المتعلقة بالمصلحة العامة، وأن أحاول إصلاح الأمور بين حليفنا المهاجم والمدافع سلطان مسقط، والأمير السعودي (الوهابي). وبناء على ذلك، سافرتُ إلى مسقط، فأقترح السلطان أن أتوسط لإنهاء الحرب على أي شروط أعتقد أنها عادلة. وقد سلمني سموه تعهدًا مكتوبًا لهذه

---

(١٧٨) محمد بن ثنيان وثنيان بن ثنيان هما ابنا الإمام عبدالله بن ثنيان الذى حكم بين عامي ١٢٥٧ و١٢٥٩هـ (١٨٤١ -١٨٤٣) أثناء أسر الإمام فيصل بن تركي في مصر وقد قدم محمد بن عبدالله بن ثنيان على الأمير سعود بن فيصل وهو في البحرين عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م وانضم إليه. وقد قتل محمد بن ثنيان في قطر في تلك السنة أثناء وقعة حدثت بين قوات الأمير سعود وسرية للإمام عبدالله بن فيصل. انظر: ابن عيسى، *عقد الدرر*، ص ص ٦٤، ٦٥؛ الأحسائي، *تحفة المستفيد*، ص١٦٨.

الغاية. وقد أرسل هذا الاقتراح إلى الحكومة السعودية (الوهابية)، ولكن لم يعد أي رد على ذلك. وفي غضون ذلك، كنت قد سافرت إلى إنجلترا، بينما واصل السعوديون (الوهّابيون) غزوهم لمناطق مسقط. ومن ضمن قطاعات أخرى، قاموا بكل استهتار، بنهب وقتل بعض الرعايا البريطانيين من الهنود الذين كانوا يُقيمون بسلام في ميناء صُور في المناطق التابعة لمسقط(١٧٩) وعندما عُدت إلى الهند رأت الحكومة، أن الخطر الذي يتهدد حليفنا كان عظيمًا، وأن الوقت قد حان للمساعدة في الحد من الاعتداءات السعودية (الوهابية). وعلى هذا الأساس أرسلت مرَّة أخرى إلى مسقط. وفي النهاية استسلم الأمير السعودي (الوهابي)، وأرسل مبعوثين قدَّموا عروضا للسلام، وقدم بيانًا مكتوبًا منسجمًا مع رغبات حكومة الهند.(١٨٠)

١١٥. وفي غضون ذلك، على أية حال، وفي الوقت نفسه الذي كُنَّا فيه على وشك القيام بهجوم حاسم، اغتيل سلطان مسقط أثناء نومه، من قبل إبنه،(١٨١) الذي أعلن نفسه بعد ذلك حاكمًا، وسجَن عمه، السيد تركي، وحبس خادم أبيه المؤتمن ضمن جُدْران، وهدد أمه بسبب اعتراضاتها، وعزم على بيع إخوانه من أبيه كرقيق بحجة كونهم من أبناء الجواري، وفوق ذلك، أعلن بعض القوانين السخيفة والتعصبية التي تؤثر على الرعايا البريطانيين، الذين يقيمون في المناطق التابعة له، وألقى كل البلاد في حالة من الفوضى. وعندما ذهبت إلى مسقط أثناء تأزم الأحوال، تمكنت من نقل رعايانا المسيحيين والأشياء الثمينة إلى ظهر السفينة. كما استطعت إبعاد رعايانا من البريطانيين الهنود في قوارب، والإبقاء على حياة كلٍّ من أخي السلطان المتوفى ووزيره. وهكذا استطعنا احتواء قاتل أبيه. ولأنه كان يعيش في حالة من الخوف من أن يُغْتال هو نفسه، أُرسل مبعوثين إلى الحكومة البريطانية في الهند يلتمس تأييدها. ولكن

---

(١٧٩) انظر تفاصيل الحادث في أبو علية، *الدولة السعودية الثانية*، ص١٩٩ ـ ٢٠١، و:
Winder; *Saudi Arabia*, pp. 230-33.

(١٨٠) أبرز هؤلاء المبعوثين، الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع الذي كتب البيان المذكور نيابة عن الإمام عبدالله بن فيصل (انظر محتوى البيان في) أبو علية، *الدولة السعودية الثانية*، ص ص٢٠٢، ٢٠٣، و Winder, *Saudi Arabia, pp. 234-45.*

(١٨١) هوالسيد سالم بن ثويني بن سعيد.

الحكومة ترددت في أن تطمئن إلى رجل قتل أباه الذي جاء إلى العرش بواسطة تحكيم بريطاني. إن دولة مسقط تنتظر الآن آخر تطورات المؤامرة.

١١٦. لقد أصبح من المحتم عليَّ، بينما كنت أساعد السلطان المتوفَّى، أن أُعاقب بلدة صُور الساحلية، حيث نَهَب أتباع السعوديين (الوهابيين) - أو ألحقوا الضرر - برعايانا فيها. لقد كان هذا الميناء لسنوات المركز الرئيس، الذي تبحر منه مراكب dhows قرصنة الرقيق إلى الساحل الشرقي لأفريقيا. إنني واثق أن وكر القراصنة هذا، قد تلقى الآن دَرْسًا سَيُقنع العرب، بأنه ليس في استطاعتهم الاضرار برعايانا، دون أن يُعَرِّضوا أنفسهم للعقاب.[١٨٢] إن هؤلاء الصّوريين (أهل صور) أنفسهم، الذين يُعْتبرون أشجع وأشرس البحارة العرب كانوا هم المحرِّضون الرئيسيون على مؤامرة استهدفت قتلي في ممتلكات (السلطان) الزنجبارية، كما أبلغت عن ذلك في رسالتي رقم ١١٣، المؤرخة في الأول من فبراير ١٨٦٢.

١١٧. يسرني في ختام هذه الرسالة، أن أُعَبر عن شكري للملازم، وَرْنر Warner للعناية والدقة التي نفذ بها تعليماتي عندما ذهبت إلى الرياض.

إن باخرة جلالتها، برنيس Berenice، على ما أعتقد، هي أول باخرة من الوزن الثقيل، تتمكن من المرور على طول القنوات غير الممسوحة بين جزيرة البحرين وسواحل الجزيرة العربية. إنني حريص على التوصية بمكافأة الحكومة للسيد ديوز (Dawes) للمساعدات القيِّمة التي قدمها بقيامه بملاحظات فلكية على الطريق. وقد قام مترجمي السيد جيو لوكاس Geo-Lucas بمساعدات ضرورية لي، في هذه الرحلة وفي رحلات أخرى حول شواطيء الخليج الفارسي.

الكولونيل لويس بلي
المقيم السياسي - الخليج الفارسي

---

(١٨٢) لم يقتصر العقاب الذي أوقعه المقيم البريطاني في الخليج (بلي) على ميناء صور، بل تعدّى ذلك إلى موانىء تخضع للحكم السعودي المباشر، مثل، الدمام والقطيف. انظر: أبو علية، *الدولة السعودية الثانية*، ص ص٢٠١-٢٠٢.

الملحق رقم (١)

قائمة بالعَيِّنات الجيولوجيّة، والتي جَرى تَحليلها في مدرسة الجيولوجيا التطبيقية في شارع جرمين Jermyn St. في لندن، بعد الإذْن من السِّير د. مارشيزون[١٨٣] R. Murchison.

١ - Friable white olitic Limestone

حجر كَلْسي (جيري) أوليتيّة (جوراسية) بيضاء. هشّ (سهل التفتيت).

٢ - Fragments of siliceous Limestone associated with pebble of Quartz.

قطع من الأحجار الكلسيّة (الجيرية) سليكونية متّحدة بحصى من الكوارتز.[١٨٤]

٣ - Fragments of Flint, the angles slightly rounded, and the surfaces polished by attrition.

قطع من الصّوان، الزّوايا مستديرة استدارة خفيفة، وسطوحها متآكلة.[١٨٥]

---

(١٨٣) أثرنا إثبات النص الإنجليزي مقابل الترجمة العربية، نظرا لعدم اتفاق الجهات العلمية على المقابل العربي في معظم مجالات العلوم البحثية والتطبيقية، وقد اعتمدنا في انتقاء المصطلح العربي المقابل على: *معجم المصطلحات العلمية والفنية* لأحمد الخطيب، والمعجم الذي جمعه يوسف خياط. وكلاهما قد اعتمد على تعريبات مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد، ومصادر أخرى.

(١٨٤) في مادة (ص و ن) بمعجم خياط أن فيه صلابة ويتطاير منه الشرر عند قدحه استعمله الناس في عصر ما قبل التاريخ في صناعة أدوات بسيطة عرفت بالظّران.

(١٨٥) ورد في *معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية* الذي جمعه يوسف خياط في مادة (مرا) ما يلي: المَرْو Quartz معدن عديم اللون إذا ما كان نقيًّا. تركيبه الكيميائي أكسيد السليكون، يتبلَّر في النظام السُّداسي، ودرجة صلابته ٧، وكثيرًا ما يحمل شوائب تعطيه ألوانًا مختلفة، وعندها يسمى بأسماء أخرى، تعتبر ضروبًا من معدن المرو. ويشير أيضا إلى الديوريت المروي quartz diorite بأنه ضَرْب من الديوريت يكثر فيه معدن المَرْو (الكوارتز). كما يشير إلى المرويت (الكوارتزيت) quartzite بأنه صخر =

٤ - Compact Siliceous light reddish brown Limestone.

حجر كَلْسِي (جيري) مدمج بالسِّليكون، بني (حُمْرته خَفيفة).

٥ - Rolled fragments of Quartz and Limestone.

قطع ملفوفة من الكُوارتز والحَجر الكَلْسي (الجيري).

٦ - Yelowish-brwon Sand, composed of fine grains of transparent slightly ferruginous Quartz.

رِمَال ذات لون بَيْنَ الأصفر والبني مُكوّنة من حُبيبات دِقَاق من الكُوارتز، الشفاف والصَّدِئيّ اللون بشكل خفيف (مُسْمر بِحُمْرة).

٧ - Fine-grained whitish Crystalline Limestone.

حجر كَلْسي (جيري) مُتبلِّر، أبيض قليلاً، مُكوّن من حُبيبات صَغيرة (ناعمة).

٨ - Coarse-grained whitish Crystalline Limestone.

حَجر كَلسي (جيري) مُتبلّر يميل للبياض قليلاً مكوّن من حبيبات خَشنة.

٩ - Highly Siliceous Limestone, Composed of grains of Quartz cemented by Carbonate of Lime.

حجر كَلْسي ذو نسبة سليكونية مرتفعة مكوّن من حبيبات الكوارتز، مُلْتصق به كربونات الكالسيوم.

١٠ - Rolled fragments of hard brown Ironstone, probably highly Siliceous.

قطع مَلْفـوفة من حَجر الحَديد (خام حديدي فَحْمي) القَاسِية البُنِّيَّة وربما كانت ذات نسبة سليكونية مرتفعة.

١٢، ١٣ - حجر كلسي مدمج (١٨٦) Compact Limestone

= رملي يتكون من بللورات من معدن المَرْو ينتج عن التحول أو التشبع بمحاليل السليكا، ويذكر أن المرو quartz يسمى أيضا بللور الصخر، وهو أنواع من الصوان يوجد في الأرض على أشكال شتى أهمها الرماد.

(١٨٦) سقط في التسلسل رقم (١١) ولا ندري إن كان هذا خطأ مطبعيًّا أم إسْقاطًا مقصودًا.

الملحق رقم (٢)

قائمـة ببعض نباتات وزهور وسط الجزيرة العربية كما جمعناها، ثمّ قُمنا بتصنيفها وفقًا لفَصائلها (أسراتها) الطبيعية[١٨٧]

صَلِيْبِيَّات[١٨٨] (الفَصِيلة الكُرُنْبِيَّة)	**Cruciferae**

١ ـ متيولا[١٨٩] شبه جزيرة العرب (مَنْثور) — *Matthiola* Arabica Borss

وجدناها مُتناثرة في كُلّ الأودية من الكويت للرّياض.

٢ ـ فارستيا[١٩٠] — *Farsetia* an F. Lacers, Dene

وجدناها في المواضع الحجريّة في أوّل مارس.

---

(١٨٧) اعتمدنا في ترجمة المصطلحات النباتية والزهور في هذا الملحق على: معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الـزراعية، ومعجم *المصـطلحـات العلمية والفنية لخياط* (مدخله بالعربية) ومعجم *أسماء النبات* لأحمد عيسى وكتاب *الأزهار البرية للمنطقة الوسطى في المملكة العربية السعودية* تأليف بيتي فينسيت.

(١٨٨) وتسمى أيضـا Crueiferaco ، والفصيلة الصليبية من ذوات الفلقتـين عديدة التـويجات، سفليات الأسدية، وقد أسمتها بيتي فينسيت بفصيلة الخردل أوالكرنب.

(١٨٩) نبات عشبي، ويقال له: منثور، شقارة، عَمْغَم.

(١٩٠) وهي باللهجة المحلية، هدارة، وثريرة، وغفيرة، ذات لون أبيض وبنفسجي، ويسميها أهل البادية المحليون (شجر الكلب).

٣ ـ مَلْكُولْيا(١٩١) *Malcolmia*, aff M. Aegyptiaca

عثرنا عليها في التلال الرملية في ١١ مارس.

٤ ـ زِيلامِيَاجْروُيد(١٩٢) *Zilla* Myagroides. Forst.

شجيرة يبلغ طولها ثلاثة أقدام، ويبلغ حِجْرها (حِتَارُها أو مُحيطها أو امتدادها الدّائري الجانبي) حوالي ستة أقدام، ووجدناها — لكن ليس بكثرة — في ١ و٢ مارس.

٥ ـ سافيجنيا إيجبتكا *Savignya* Aegyptiaca. D.C.

وُجدت مُتناثرة أثناء مسيرنا في ١٨ و١٩ و٢٠ من شهر فبراير.

كَبَرِيّات Capparideae (١٩٣)

٦ ـ الكليوم العربية *Cleome*, aff. Cl. oxypetadae. Borss cf. C. glaucus D.C.

توجد بين الجبال، في التَجْويفات، وجدناها بالقرب من الرياض(١٩٤)

البُلَيْحَاوِيَّات(١٩٥) Resedaceae

٧ ـ البُلَيْحاء العربية(١٩٦) *Reseda* Arabica. Borss

وجدناها أثناء مسيرنا في ١٨ و١٩ و٢٠ فبراير، بالقرب من الكويت.

---

(١٩١) نوع من المنثور، عن معجم الشهابي.

(١٩٢) أشارت بيتي فينسيت إلى نَبْتة باسم Zilla spinola وقالت إن اسمها المحلي هو سلة وشبرَم، وقالت إنها نبات معمر ترعاه الإبل وقالت إنها تبدأ في الإزهار في يناير وسرعان ما تغرق كلها في أزهار بنفسجية باهتة.

(١٩٣) الفصيلة الكَبَرية من ذوات الفلْقتين.

(١٩٤) ذكرت فينسيت أن ترجمة اسمها من اللاتينية هو الكليوم العربية، وترتفع إلى ٣٠ سنتيمترًا. وهي مغطاة تماما بشعيرات صغيرة جدًا. ولا تأكلها الجمال أو الماعز أو الغنم. ويسميها أهل البلاد: زفرة أو شجرة الوحش أو أم زميل وتزهر من ديسمبر حتى مايو.

(١٩٥) فصيلة نباتية من ذوات الفلْقتين.

(١٩٦) الاسم العلمي يعني الشّافية أو المُسَكِّنة، وهو جنس زَهر من فصيلة البُلَيْحاوِيَّات. عن الشّهابي.

٨ - بُلَيحاء مصغّرة أو إسليخ[١٩٧] *Reseda* alba. L.

وجدناها أثناء سيرنا في ١٨ و ١٩ و ٢٠ فبراير، بالقرب من الكويت

٩ - أوركادينوس باكاتوس[١٩٨] *Ochradenus* baccatus. Delile

وجدناها في الأرض التي توقفنا فيها في أول مارس وإلى جوار الرياض، نادرة

اللاّذنيّات[١٩٩] Cistineae

١٠- زهرة الشمس[٢٠٠] *Helianthemum Lippil. Pers.*

وجدناها متناثرة في ٢٤ و ٢٥ فبراير.

١١- الهيليَنثمون سسيليفلوريم(؟) *Helianthemum* sessiliflorum

وجدناها في الأماكن الحجرية في ١ و ٢ مارس.

كاريوفيلانيا أو فصيلة القرنفل[٢٠١] Caryophilleae

١٢- سلّيني فيللوزا[٢٠٢] *Sileno* Villosa (?) Forst

وجدناها في الفجوات بين التّلال الرّملية في ١١ مارس، بوفرة.

---

(١٩٧) نبات عشبي صبغي من الفصيلة البليحاوية. عن الشّهابي.

(١٩٨) تسمى محليًا قرضى، وكرد، وعَلَنْدَرة، وتذكر عنها فينسيت أنها عندما تزهر تجلب إليها النمل والذباب. وهي من فصيلة البُليحاء العطرية وتسمى أيضا ريسيداسيا، فاكهتها الصفراء تُؤكل، وهي نبتة طبية أيضا، وتزهر عادة في الأشهر الباردة وتتكون بذورها في شهري يونية ويولية.

(١٩٩) فصيلة اللاذن من ذوات الفلقتين عديدة التُويجات فيها القَسْتوس أي اللأذن (عن الشهابي).

(٢٠٠) زهرة الشمس أو الهيلينثمون (من اليونانية) جنس زهرٍ من الفصيلة اللاّذنية.

(٢٠١) هكذا ترجمت بيتي هذا المصطلح في كتابها *الأزهار البرية للمنطقة الوسطى في المملكة العربية السعودية*، ص١٤.

(٢٠٢) تقول عنها بيتي إنها واحدة من فصيلة القرنفل المسماة باللاتينية كاريو فيلاسيا، وهي صائدة الذباب ذات الزهرات الكبيرات. ولفظ سيلين مشتق من اليونانية (سيلون) بمعنى الناعمة، وبعض أنواعها =

١٣- اللّيوفنْجي مُتعدّد الثّمر.[٢٠٣] *Polycarpon* loeffligii. Wall.

حصلنا عليها من السّهول القاحلة بين سلاسل التّلال الرّملية في ٢٧ و٢٨ فبراير.

جنس الطّرْفاء والإثْل **Tamariscineae**

١٤- طرفاء مِفْصليّة أو عقداء (أثل)[٢٠٤] *Tamarix Articulata, Fahl*

شجرة تُزرع بوفرة في البساتين حول الرياض، وتُستخدم لسقف المنازل على ما يظهر.

خُبّازيّات[٢٠٥] **Malvaceae**

١٥- خُبّازة مُسْتَديرة الوَرَق *Malva* borealis? Wallm.

من المناطق المجاورة للكويت.

قِدّيسيّات[٢٠٦] **Zygophylleae**

١٦- حلاوى أو عاقول أو شويكة أو ضريمة[٢٠٧] *Fagonia* cretica.

في المناطق الحجرية إلى جوار الرياض.

= لزج. ولأن الذباب يلتصق بها فقد سُمِّيت صائدة الذباب. تزهر في مارس وأبريل ومايو وتنبت في الكثبان الرملية. وتسمى باللهجة المحلية تربة أو هجم.

(٢٠٣) كذا بالأصل، ولعلها كما ورد في معجم الشهابي Poly Carpous بمعنى متعدد الثمر، وقد ترجمناها على هذا الأساس.

(٢٠٤) يذكر الشهابي أن الأثل، لفظ من أصل سامي قديم، ضَرْب من الطَّرْفاء تكون جُنباته مُغطاة بطبقة مِلحية، موطنها الجزيرة العربية وإيران.

(٢٠٥) الفصيلة الخُبّازية من ذوات الفَلْقتين كثيرة التّويجات سلفية الأسدية.

(٢٠٦) أسماها الشّهابي فصيلة خَشَب القديسية من ذوات الفلقتين كثيرة التويجات، وبعض الباحثين في مصر يسميها الفصيلة الرُّطريطية، وَرُطريط أحد أنواع هذا الجنس النباتي.

(٢٠٧) ذكرت بيتي أنه توجد أجناس عديدة من الفاجونيا، وتقول إن لها أزهارًا رائعة قرنفلية، وهي نبتة صخرية تزهر من يناير حتى مايو.

الغَرْنُوقيّات(٢٠٨) Geraniaceae

١٧- المُونْسونيا نيفيا *Monsonia* nivea. Gay.

عثرنا عليها في التلال الرملية في ٢٧ و ٢٨ فبراير - نادرة الوجود - وتزهر في الصّباح الباكر؛ أما التّويجات (القعالات) petals . فَتَذْبُل ظُهرًا .

السَّذابيّات(٢٠٩) Rutaceae

١٨- عَفْنة أو مُسكة أو مجينية أو شجيرات الريح(٢١٠) *Haplophllam* tuberculata (?) Forst.

وجدناها في ٢٦ فبراير عارية .

القَرَنيّات أو السَّقطانيّات أو السنّفيّات(٢١١) Leguminosae

١٩- شجرة السنط العربي (الصَّمْغ العربي) *Acacia* Arabica. L.

شجرة يبلغ طولها أحيانًا خمسةَ عشرَ قدمًا ، توجد هنا وهناك بعد مرورنا بسلاسل التلال الرملية في ٢٥ فبراير.

---

(٢٠٨) تسمى أيضا فصيلة إبرة الراعي ، من ذوات الفلقتين كثيرة التويجات وبعض الباحثين في مصر يسميها الفصيلة الرطريطية ، ورطريط أحد أنواع هذا الجنس النباتي .

(٢٠٩) الفصيلة السذابية من ذوات الفلقتين فيها السّذاب والدرنيدار وغيرهما (عن الشهابي)

(٢١٠) من فصيلة روتاسيا وتسمى أيضا فصيلة الموالح . لها رائحة قوية تزهر من فبراير حتى مايو. تستخدم لتلطيف أثر لذغ العقارب بعد تجفيفها وطحنها ومزجها بالماء وربطها حول الجرح . عن فينسيت .

(٢١١) اقر مجمع اللغة في مصر مصطلح القرنيّات ويذكر الشهابي أنها تقال أيضا بقليات لأن اللفظة الإنجليزية منسوبة إلى legume بمعنى سِنفة وقَرْن وحُبْلة . والقرنيات فصيلة نباتية مهمة من ذوات الفلقتين تشمل القطاني وكثيرًا من نباتات العلف كالفول والحمص والعدس واللوبيا والفصفصة والبرسيم وبعض النباتات الطبية كالسّنا والقلقل وكثير من أنواع السنط ، عن الشهابي وتذكر فينسيت أنها تسمى أيضا فصيلة البازلاء .

٢٠- شبرق أو (أونونيس)[٢١٢] *Ononis* reclinata. L.

من المناطق المجاورة للكويت.

٢١- الجُرْبث ذو الأوراق الضّيّقة «غير القَريضَة»[٢١٣] *Astragalus* angustifolius? Forst.

نجدها بِنُدْرَةٍ في المناطق المجاورة للكويت، وهي في غاية الندرة في المناطق المجاورة للرياض.

٢٢- نَبْتة نَعْل الفَرَس[٢١٤] *Hippocrepis* cornigera. Borss.

من المناطق المجاورة للكويت.

الفصيلة المركّبة أو فصيلة زهرة الرّبيع[٢١٥] Compositae

٢٣- الطّرخون[٢١٦] *Artemisia* Dracunculus (?)

وجدناها في سلاسل التّلال الرّملية في ٢٧ و ٢٨ فبراير بوفرة وهي شُجَيْرة يبلغ طولها حوالي ثلاثة أقدام.

---

(٢١٢) تذكر بيتي أنه في بعض الأماكن لا يسمح بقطعها لاستخدامها وقودًا. قد تكون أشواكها قصيرة وقد تبلغ ثمانية أو تسعة سنتيمترات. تأكل الجمال أوراقها وتظهر أوراقها في وقت متأخر جدا (عادة في شهر مارس) وتزهر في أبريل. اللفظة Ononis من اليونانية بمعنى الحماريَّة وهي دالة على جنس نبات بري من القرنيات الفَراشية، فيه أنواع حولية أو معمرة. عن الشهابي.

(٢١٣) أشارت بيتي إلى أنواع من الحُرْبث دون وصفة بضيق الورق (الأوراق) أو تعبير Angustifolius، فقد أشارت، إلى Astragalus steberi & Astragalus Spinosus وذكرت أن اسمه المحلي هو قتاد أو كداد، وقالت إن الأشواك الطويلة الموجودة على هذه النبتة هي الأعصاب الرئيسة لأوراق السنة الماضية، وهكذا تصبح النبتة أكثر شوكا عاما بعد عام، وهي من فصيلة البازلاء. فينسيت، ص٣٨.

(٢١٤) ورد في معجم الشهابي أنه Hippocrepis جنس نباتات برية من القرنيات وبعضها طبي وبعض أنواعها ينبت في الشام.

(٢١٥) الفصيلة المركبة من ذوات الفلقتين وحيدات التويجة أو القعالة. وقد ترجمتها بيتي فصيلة زهرة الربيع.

(٢١٦) ورد في معجم خيطاط أن الكلمة الفرنسية من Tarcon كمصطلح نباتي مأخوذة من اللفظ العربي طرخون، ويُظَن أن الكلمة العربية إما من Drakon أو Drakontion اليونانيتين، ويصف النّبتة بأنها بقلة معمرة من فصيلة المركبات الأنبوبية الزهر ورائحتها طيبة، وأوراقها تؤكل.

٢٤ـ الفاجنالون النّابت بين الصّخور *Phagnalon* rupestre. D.C.

إنها شُجَيْرات هذا الجزء من الصحراء وهذه الشّجيرة تتفرَّعُ من أصلها، ويبلغ طولها نحو قدم ونصف القدم، أما جِجْرُها (امتدادها الدّائري الجانبي) فيتراوح ما بين قدمين إلى خمسة أقدام، أما الجذر فيشبه الهراوة. ومن السّهل نزعه من الأرض وهي موجودة بوفرة ما بين الواحدة والأخرى يتراوح ما بين ثلاثة إلى ستة أقدام.

٢٥ـ انثيمس ميلامبوديا(٢١٧) *Anthemis* melampodina Del.

من المناطق المجاورة للكويت عثرنا عليه في ١٨ و ١٩ فبراير.

٢٦ـ سينيكيو كورونوبيفوليا(٢١٨) *Senecio* coronopifolia. Desf.

من المناطق المجاورة للكويت عثرنا عليه في ١٨ و ١٩ فبراير.

٢٧ـ انفيللا كارسيبي(٢١٩) *Anvillea* Garcini. D.C.

موجود في الوديان الضحلة والمنخفضات عثرنا عليه في ٢٤ و ٢٥ فبراير.

٢٨ـ آذْريون(٢٢٠) *Galendula* arvensis. L.

من المناطق المجاورة للكويت.

---

(٢١٧) أشارت بيتي إلى زهرة أو نَبتة، Anthemis, deserti من فصيلة كومبوزيتا أو زهرة الربيع، واسمها المحلي أقحوان أو قريبان، وتنتشر بكثرة في الوديان خلال فصل الأمطار البارد، ويمكن للأزهار البيضاء الصافية أن تُغَطى مناطق شاسعة من التربة الرملية ذات الطمي وتبدو كأنها مزروعة. فينسيت، ص٢١.

(٢١٨) أشارت بيتي إلى نوع من الزهور أسمته Senecio desfontainini ولها أسماء محلية هي: مرير، زملوك، رجل الغراب، ويُزْهر في فبراير ومايو وأبريل.

(٢١٩) أشارت فينسيت إلى أن إسمه المحليْ (نقد) وهي نبتة تُعمِّر لأكثر من سنتين، ويمكن أن تكون شجيرة كبيرة تامة إذا نبتت في مكان ملائم لها. وأوراقها مغطاة بشعيرات صغيرة، يضفي على النبتة شكلاً لبُاديًا رماديًا، وأغلفة بذورها ذات مقاومة قوية تحميها أوراق كأسية تصبح حادة وشوكية جدًّا عند تكون البذور. وتقول بيتي إن أزهارها الصفراء اللامعة تشرق كالشموس، كما تقول إنها تزهر من شهر فبراير وحتى نهاية شهر أبريل.

(٢٢٠) من الفارسيَّة، وهي جنس زهر من المركبات الأنبوبية الزهر. عن الشهابي.

٢٩- الأذريون المصريّة — *Galendula* Aegyptiaca. L.

وجدناها خلال مسيرتنا في ١٨ و ١٩ فبراير في المناطق المجاورة للكويت.

٣٠- ايشينوبس(٢٢١) — *Echinops* sp.

من سلاسل التلال الرملية، وجدناها في ٢٧ و ٢٨ فبراير.

٣١- سركتيم بريتنس(٢٢٢) — *Circium* pratense (?)

وجدناها خلال مسيرتنا في ١٨ و ١٩ و ٢٠ فبراير.

دِبْسَاسِيَّات أو دبساكيَّات(٢٢٣) Dipsaceae

٣٢- سكابوسيا فلسطينية(٢٢٤) — *Scabiosa palaestina. L.*

وجدناها، لكن ليس بوفرة في ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ فبراير.

دِفْلِيّات(٢٢٥) Apocyneae

٣٣- أبوسينيم فينيتيم(؟) — *Apocynium* venetum(?)

ارتفاعها حوالي القدمين ونصف القدم، وقد وجدناها — لكن ليس بوفرة — بالقرب من الأرض التي تَوَقَّفْنا فيها في أول مارس وفي الأماكن الرمليّة إلى جوار الرياض.

---

(٢٢١) Echinops Sinosissimus والمسمى المحلي هو شدق الجمل، أو شوك الجمل، أو لضيق. وهذه النبتة فيما تذكر بيتي مُشوَّكة للغاية وتزهر عادة في أبريل ومايو ويونية، وتسمى أحيانًا شدقة.

(٢٢٢) علامة الاستفهام ـ كذا بالأصل.

(٢٢٣) عن الشهابي: مُعَرَّبة، فصيلة نباتات عشبية من ذوات الفَلْقتين وحيدات التويجية. وذكرت بيتي أن اسمها فصيلة شيخ الربيع أو مشط الرّاعي.

(٢٢٤) اسمها المحلي كما ذكرت بيتي هو أم القلاس أو عقوم وهي زهرة شيخ الربيع البيضاء القشدية. وتزهر في مارس وأبريل.

(٢٢٥) الفصيلة الدِّفْليّة من ذوات الفَلقتين تشمل الدِّفْلي. وتعرف أيضا بفصيلة قاتل الكلب. عن الشهابي.

الصُّقْلابِيَّات[٢٢٦] Asclepiadae

٣٤- بيريبلوكا أفيلا[٢٢٧] *Periploca*, an p. aphylla (?)

وجدناها في وادٍ صغير (مسيل) عبرناه في ٢ مارس. وهذه النَّبْتَةُ عبارة عن شُجيْرة يبلغ ارتفاعها عشرة أقدام، ويُغَطِّي سطحها الصَّمغ، وتُؤْكَل زُهورها بكثرة، ويُسمِّيها العرب مَرِتْ Muret

المَحْمُودِيَّات[٢٢٨] Convolvulacea

٣٥- كونفولفو لوس[٢٢٩] *Convolvulus* sp. near lineatus.

وجدناها في السَّهل، شبه القاحِل للغايةِ بين سلاسلِ التلال الرَّملية في ٢٧ و٢٨ فبراير.

الباذِنْجانيَّات[٢٣٠] Solaneae

(٢٢٦) عن الشهابي: فصيلة نباتية من ذوات الفلقتين منها الصُّقْلاب والعُشْر، وعن بيتي، أنها تسمى أيضا فصيلة حشيشة اللبن، ص٣٩.

(٢٢٧) اسمها المحلي سواسن، وهي شجيرة لا تُثير الاهتمام إلا إذا أزهرت بزهورها الشعرية ذات اللون البُني الأرجواني. وتُزهر عادة في شهر مارس. وهي نَبْتة طبِّية، وتوصف لتقوية القلب. علامة الاستفهام - كذا في الأصل.

(٢٢٨) يرى الشهـابي أنه كان يمكن تسميتها اللَّبْلابيَّات، ويصفها بأنها فصيلة نباتية من ذوات الفلقتين وحيدات التَّويْجيّة. وتسميها بيتي فصيلة اللبلاب أو النَّباتات المتعرِّشة.

(٢٢٩) اسمها المحلي الرخام، كما ذكرت بيتي، وتنمو على شكل شجيرة وتزهر في يونيو ويوليو. ويقوم بعض أهل البادية بمصِّ وعلك الصَّمغ الذي يتكون على الساق مثل مضغ اللبان ويسمى بالعربية اثيريس.

(٢٣٠) الفصيلة البـاذنجـانية من ذوات الفَلْقتـين وحيدات التُّـويْجية، ومنهـا الباذنجان والطماطم والفلفل والبطاطس والتبغ وغيرها، عن معجم الشهابي.

٣٦- اللّيسوم(٢٣١) *Licium* europaeum. L.

شُجيرة يبلغ طولها حوالي ستة أقدام، وُجدت في المنخفضات خلال مسيرتنا في اليومين الأول والثاني من شهر مارس.

بوراجينا أو الجِمْجِميَّات(٢٣٢) Boragineae

٣٧- هليوترويم سيبنيم (عَبَّاد الشمس)(٢٣٣) *Heliotropium supinum.*

وجدناها في سَهْل في الثاني من مارس، ليست متوافرة بكثرة. يبلغ طولها حوالى القدمين.

٣٨- الأونوزما *Onosma, sp.*

متوافرة في التّلال الرّملية والرّمال، ويبدو أنّ الجِمال تُفضلها طعامًا لها عن غيرها من النّبتات الصحراوية.

---

(٢٣١) تَحدَّثت بيتى عن نبتة أسمتها Lycium shawi واسمها المحلي عَوْسج، ولم تحدد فصيلتها. فينسيت، ص٦٢.

(٢٣٢) وقــد تُسمى فصيلة الجِمْجِم أي لسـان الثـور وهي من ذوات الفلقتـين تشمـل الجِمْجِم ورقيب الشمس.. إلخ، عن الشهابي.

(٢٣٣) وقد ذكر الشهابي منها أنواعا فقال: جنس زهر من فصيلة الجِمْجِميَّة واسم الجنس (الفصيلة) العِلمي من اليونانية بمعنى الذي يدور مع الشمس، وأطلق اليونان هذا الاسم على نباتات لها هذه الصفة كعبَّاد الشمس helianthus المُسَمَّى turnsole وهو ما أسماه العرب طُرْنشول تَعْريبًا، كما أسموه حشيشة العقرب وغير ذلك، لكن علماء النبات حديثا لم يراعوا التسمية القديمة فأطلقوا عليه هليوتروبيم مع أنه لا يدور مع الشمس، ومن أنواع الهليوتروبيم ما يلي: Heliotropium arborescens واسمه باللغة الانجليزية garden heliotrope وهو نبات يزرع في الحدائق لأزهاره الصغيرة الأرجوانية العطرة واسمه بالانجليزية Corymbose heliotrope أو رقيب الشمس البِيْرُوي.

وقد ذكرت بيتي في كتابها الأزهار البرية للمنطقة الوسطى في المملكة السعودية، من الهليوتربيوم نوعين وهما خلبوتروبيم راموسيسيوم واسمه المحلي (رَمْرَم) وذكرت أن زهرة هذا النبات بعد غليها في الماء، تعالج ألم اللثة وقروح الفم، كما ذكرت أن اسمها العربي دوار الشمس أو عباد الشمس؛ أما النوع الثاني فهو هليوثروبيم ديكينوم وقالت إن اسمه المحلي أيضًا (رَمْرَم) وإن كانت زهوره أقل جاذبية، وتنمو على الكثبان الرملية. وذكرت أن النوعين يزهران من فبراير إلى أبريل عادة.

٣٩ـ لسان الثّور أو بُوغَلْصِن(٢٣٤) *Anchusa?*

عثرنا عليها في المناطق المجاورة للكويت.

لاَبْياتا أو فصيلة النِّعناع(٢٣٥) Labiatae

٤٠ـ *Teucrium* Teucrio aff. T. Oliverianum.

تيوكريوم أوليفاريانيوم(٢٣٦)، وجدناها متناثرة في فجوات في ٢ مارس ووجدناها بوفرة أكثر في المناطق المجاورة للرياض مباشرة.

الأَقَنْثِيّات(٢٣٧) Acanthaceae

٤١ . الأكانثوديم سبكتيوم. *Acanthodium* spicatum. Delile.

من مسيل (وادٍ صغير). وجدناها في ٢ مارس. توجد عينة واحدة.

الخَنازِيريّات(٢٣٨) Scrophularineae

---

(٢٣٤) عن الشهابي: الاسم الانجليزي عن اليونانية بمعنى لسان الثور تشبيها لورقة مثل لسان الثور وهو جنس نبات من فصيلة الحِمْحِميَّات وقد ذكر الشهابي أنواعا من الانثوسا لاندري أيها يقصد بلي، وهي الشبيِّط والدّبّون:

– Anchusa aegyptiaco egyptian bugloss

– Anchusa melleri

وبالإنجليزية الكحلاء. . .

. . . وغير ذلك، علامة الاستفهام ـ كذا بالأصل.

(٢٣٥) في معجم الشهابي، اسمها فصيلة الشفويات، وتتميز نباتات هذه الفصيلة بانقسام كل من الكأس والتويج إلى قسمين متدليين غير متكافئين.

(٢٣٦) اسمها المحلي قَضْباء. طعمها مُر، ولا ترعاها الحيوانات، وتحيط بها عادة قراشات زرقاوات. عن فينسيت.

(٢٣٧) عن الشهابي: فصيلة نباتية من ذوات الفَلْقتين وَحيدات التّويْجيَّة.

(٢٣٨) عن الشهابي: فصيلة نباتية من ذوات الفَلْقتين تشتمل على عُشْبة البواسير وزهرة القُمْع وأنف العجل.. إلخ.

٤٢- *Scrophularia* sp. aff. Sc. syriaca. Btt.

سكر ـ وفيولاريا سيرياكا. من التلال الرملية. وجدناها في ٢٧ و ٢٨ فبراير. متوافرة. يتراوح طولها ما بين ثلاثة وأربعة أقدام. تنتشر ثم يتجّمع حول ساقها أهرام من الرّمل.

حَمْليات فصيلةُ لسانِ الحمل (٢٣٩) Plantagineae

٤٣- بلانتاجو أوفيتا *Plantago ovata. Forst.*

توجد متناثرة على كلّ السّهل الممتدّ من الكويت إلى الرياض.

السَّرْمَقيّات(٢٤٠) Chenopodiaceae

٤٤- السّاليكُورنيا(٢٤١) *Salicornia* Fruticosa. L.

وجدت في يومي ٢٤ و ٢٥ فبراير، نامية مع غيرها من الشجيرات الأخرى.

بِطْباطيّات أو فَصيلة عصَا الرّاعي(٢٤٢) Polygoneae أو فَصيلة الحِنْطة السَّوْدَاء(٢٤٣)

٤٥- كليجنوم كوموزوم(٢٤٤) *Calligonum* comosum. Zuit.

وجدناها في سلاسل التلال الرملية في ٢٧ و ٢٨ فبراير. متوافرة طولها حوالي ثلاثة أقدام.

---

(٢٣٩) عن الشهابي: لسان الحمل ترجمة قديمة للاسم اليوناني (أَرْنوغُلُّصن) والحمليات فصيلة نباتية من ذوات الفلقتين وحيدات التويجية عاليات المبيض.

(٢٤٠) عن الشهابي: فصيلة نباتية من ذوات الفَلْقتين تشمل السِّلْق والاسفاناخ وغيرها.

(٢٤١) عن الشهابي: أن الساليكورنيا جنس نباتات من الفصيلة السَّرْمقيَّة منها الأشنان العُشْبي.

(٢٤٢) عن الشهابي: فصيلة نباتية من ذوات الفلقتين عديمة التويجيات.

(٢٤٣) ترجمتها بيتي فصيلة الحِنْطة السوداء، ص٢٤.

(٢٤٤) اسمها المحلي أَرْطى أو عَبَل أو أَرْطة، وتصفها بيتي بأنها شجرة بيضاء خشبية عند قاعدتها، وهي من =

الصَّفْصَافِيَّات(٢٤٥) Salicineae

٤٦ـ الحَوَر الفُراتي(٢٤٦)) *Populus* or p. euphratica.

شجرة صغيرة يبلغ طولها عشرة أو اثني عشر قدمًا. وجدناها على طول جنب الوادي الذي عبرناه في ٤ مارس.

النباتات وحيدة الفَلْقَة(٢٤٧) Monocotyledons.

الزَّنْبَقِيَات(٢٤٨) أو فَصيلة الزَّنْبَق Liliaceae

١ ـ أسفو ديليوس فستلوزا(٢٤٩) *Asphodelus* fistulosus. L.

وجدناها في المناطق المجاورة للكويت.

٢ ـ جاجيا ريتكيولاتا(٢٥٠) *Gagea* reticulata. B. et. Sch.

وجدناها في المناطق المجاورة للكويت وأثناء سيرنا أيام ١٨ و١٩ و٢٠ فبراير.

= فصيلة الطحلب ذي العُقد أو الأنشوطة أو الحنطة السوداء. جذورها طويلة جدًا. ويجفف البدو أوراقها لعلاج الأمراض الجلدية، وتزهر عادة في شهر مارس.

(٢٤٥) عن الشهابي: الفصيلة الصَّفْصَافية من ذوات الفلقتين كثيرة التويجات.

(٢٤٦) عن الشهابي: يسمى أيضا غَرَب.

(٢٤٧) عن الشهابي: أحد قسمي كاسيات البذور، أما القسم الثاني فذوات الفلقتين، ومن فصائل وحيدات الفلقة النجيليّة والنخلية والزنبقية والقلقاسية. والسّحلبية والزِمَاريّة. وينعت كل نبات وحيد الفلقة بلفظ Monocotyledonous.

(٢٤٨) من وحيدات الفَلْقة. من نباتاتها البصل والثّوم. عن الشهابي.

(٢٤٩) اسمها المحلي كما تقول بيتي (بروق) وتنمو في قيعان الوديان.

(٢٥٠) زهورها تشبه النجوم فيها تقول بيتي. تبرز من بين الصخور على جوانب الوديان وتسمى بالعربية (ثلوج).

٣ - يوروبيتانيوم سكروتينيم *Uropetalum* scrotinum. Ker.

وجدنا هذه النبتة متناثرة على طول السهول من الكويت للرياض.

ايريداسيا أو فصيلة السَّوْسَن أو السُّوسَنِيَّات[٢٥١] **Irideae**

٤ - ايريس سيسيسنشيم[٢٥٢] *Iris* Sisysinchium

من المناطق المجاورة للكويت، ومتناثرة هنا وهناك في المناطق المجاورة للرياض.

السُّعْدِيَّات[٢٥٣] **Cyperaceae**

٥ - سيبيروس و أسيناريوس *Cyperus acenarius. Betz.*

توجد متناثرة وتنمو حول الأشجار.

النَّجِيلِيَّات[٢٥٤] **Gramineae**

٦ - ستيبا *Stipa* an orientalis. Trin.

تنمو في الرّوابي الصغيرة وتُشكّل الجانب الرئيس من حشائش الصحراء.

٧ - تريزيتيم بنياليم *Trisetum* punialum. Knutt.

وجدناها في التلال الرملية في ٢٧ و ٢٨ فبراير. ليست متوافرة.

---

(٢٥١) عن الشهابي: الفصيلة السوسنية من وحيدات الفلقة.

(٢٥٢) تسمى محليًا (عُنْصلان) أو (عنقود). تزهر في فبراير. تتفتح الأزهار إذا كان الجو صحواً، أما إذا كان رطبًا أو مُغطىً بالسحب فتظلّ مقفلة. لا تأكل الحيوانات هذه النبتة لأن طعمها مر. عن بيتي.

(٢٥٣) عن الشهابي: الفصيلة السّعدية من وحيدات الفَلْقة ومن نباتاتها السّعد والبردى.. إلخ.

(٢٥٤) عن الشهابي: الفصيلة النجيلية من وحيدات الفلقة من بين نباتاتها الشعير والنجيل والأرز.. إلخ.

٨ - برونيُّوس تِكْتوريم — *Bronius* tectorum. L.

وجدناها متناثرة هنا وهناك وتنمو عند جذور الشجيرات.

٩ - دَانْثُونيا فورستالي — *Danthonia* Forstalii. Trin.

وجدناها في التلال الرملية، في ٢٧ و ٢٨ فبراير. تبلغ حوالي ثلاثة أقدام طولاً.

١٠- اندروبوجان انيولاتيوم(٢٥٥) — *Andropogon* annulatum. Forst.

وجدنا هذه النبتة في الوادي الذي وصلنا إليه في ٣ مارس. وُجِدَت بكميّات قليلة.

١١- نبات سعدي. مشكوك في انتمائه لهذه الفصيلة — *Gram. dub.*

وجدناه في التّلال الرملية بوفرة في ٢٧ و ٢٨ فبراير.

---

(٢٥٥) عن الشهابي: سَفُون ورُكَيْب، وهما عاميّتان.

ملحق رقم (٣)

مخطط للطرق من الكويت إلى الرياض عن طريق سدوس. الأول منه هو الذي سلكه الكولونيل بلي.

مراحل الطّريق الأولى Stages	أسماء المناطق Districs	زمن الرحلة بالساعة	ملاحظـات
من الكويت إلى ملح(٢٥٦) Kuwait to Malah	العدان	٧,٣٠	آبار مياهها غير مستساغة
لقيط(٢٥٧) Legeet	العدان	٤,٤٥	مياه أمطار
الوفراء Wafrah	العدان	٨	مياه أمطار
دلّة الكبريت؟ Dela-al chebreet	الشّق(٢٥٨)	١٠	لا ماء
الوَريعة(٢٥٩) Wariyah	الشق	٩,٣٠	لا ماء
كُنيسات؟(٢٦٠) Tenaysat	الصّمّان	١٠,١٥	يقربها آبار تسمى وَبْرة
	الصّمّان		
المهيريّات Mehariyat	الصّمّان	١٠	لا ماء
غرّاء(٢٦١) Gharrah	الصّمّان	١٠,١٥	لا ماء
عريق الدّحول(٢٦٢)	الدهناء	١٠,١٥	قناة ماء جوفية
Eraij-ad-Dehool	الدهناء	٨,٤٥	(دِحْـل)
أوتـاد(٢٦٣) Owtat	الدهناء		لا ماء
شويـة Shawiyah	العرمة		لا ماء
الغيلانة(٢٦٤) Ghailanah			آبار مالحة تسمى الرماحية Ormahiyah
عريق بنبان(٢٦٥)	العارض		لا ماء
Eraij Bentan	العارض		آبار عذبة
سـدوس Sedoos	العارض		آبار عذبة
المَلْقي(٢٦٦) Malgah			آبار عذبة
الرياض Riyadh			

مراحل الطّريق الثانية Stages	أسماء المناطق Districs	زمن الرحلة بالساعة	ملاحظـات
من الكويت إلى ملح Kuwait to Malah		٧,٣٠	مياه مالحة نسبيًا
لقيط Legeet		٤,٤٥	مياه مالحة نسبيًا
الوَفْراء Wafrah	الصّمّان	٨	مياه مالحة نسبيًا
اللّهابة(٢٦٧) Lehabah	الدَّهْناء	١٨	آبار مياهها عَذْبة
الدَّجاني(٢٦٨) Dayjanee	العَرَمة	٢٤	آبار مياهها عذبة
سَـدوس Sedoos	سدير(٢٦٩)	١٠	آبار مياهها عذبة
الصُّفُرّات Esferrat	سنجق(٢٧٠) Sanjak	٤	آبار مياهها عذبة
حريملاء(٢٧١) Horaymelah	Sanjak	٤	آبار مياهها عذبة
العيينة Ayenah	العارض	٨	آبار مياهها عذبة
المَلْقى Malgah	العارض	٣	آبار مياهها عذبة
الرياض Riyadh	العارض	٣	آبار مياهها عذبة

(٢٥٦) مَلَح: مورد ماء في إمارة الكويت إلى الشمال من جبل وارة بنحو خمسة أكيال: الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١٦٨٣ـ١٦٨٤.

(٢٥٧) لقيط (Leged)، هكذا ضبط اسمها لوريمر، وقال إنها تقع على بعد ٢٤ ميلاً من الكويت على الطريق إلى الزلفي في نجد. لوريمر *دليل الخليج، القسم الجغرافي*؛ مج٤، ص١٣٤٠.

(٢٥٨) الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٩٢٤.

(٢٥٩) الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١٨٠٧ـ١٨١١.

(٢٦٠) الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، عبده، معجم *الأسماء الجغرافية*، ص٣٩٩.

(٢٦١) غراء، مؤنث الأغر، جبل صغير غرب بطن الخفق، شرق قارات الثّمان، وفي الجنوب منه آكام تسمى حُمْر غراء الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١٢٥٩ـ١٢٦٠.

(٢٦٢) عن الدّحل وعريق الدّحول، انظر: الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٦٧٣، وما بعدها.

(٢٦٣) لم نجد في المصادر المتوافرة لنا مكانًا باسم أوتاد أو أوطاط أو شويه (المرحلة التالية) في الدهناء وخاصة معجم *اليمامة* الذي يحوي أكثر التفاصيل عن أعلام الدهناء. أما (شويه) التي يذكر الشيخ الجاسر أنها تقع في شرقي الدهناء وأنها هجرة أعطيت لوليد بن شويه أحد شيوخ سبيع في عَشْر الستينات من هذا القرن (الرابع عشر للهجرة) (الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٩٣٤) فلا ينطبق على المكان الذي ذكره بلي لأن المكان الأول في شرقي الدهناء بينما يتحدث بلي عن مكان في غربها. بالإضافة إلى أن هجرة سُبيع حدثت في تاريخ متأخر عن رحلة بلي كما ذكر الشيخ الجاسر.

(٢٦٤) الغيلانة، منهل من مناهل العَرَمة بأسفل وادي الثمامة الشرقي. ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج٢، ص٢٣٣.

(٢٦٥) انظر: ابن خميس، معجم *اليمامة*، ص٤٧٩.

(٢٦٦) الملقى: اسم مكان يمثل مُلْتقى وادي حنيفة من الشمال ووادي العمارية من الغرب والقرى من الشرق، وتجتمع هذه الأودية الثلاثة ثم تنحدر مارة بقرية (العِلْب) ثم (العودة) ثم (الدرعية) ثم (عِرْقة) فالرياض. ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج٢، ص٣٨٩.

(٢٦٧) اللّهابة، مورد ماء قديم ومشهور يقع في الصّمّان بقرب خط الطّول ٤٦,٥٩ وخط العرض ٢٥,١٥، وليس في الدهناء. الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص١٥٤٦، وما بعدها.

(٢٦٨) الدّجاني، انظر عنه: ابن خميس معجم *اليمامة*، مج١، ص ص٤٠٩ـ٤١٠.

(٢٦٩) لا تعتبر بلدة سدوس من منطقة سدير، بل هي من بلدان منطقة الشعيب، ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج٢، ص٥٦) كما أن المتجه من منهل الدجاني إلى الرياض مارًا بشرق سدير، يمر بالصُّغُرَّات في منطقة المِحْمل ثم ببلدة حُرَيْملاء في منطقة الشعيب أيضا، ولا يبدأ بسدوس كما ذكر المؤلف، حيث تقع سدوس إلى الجنوب الشرقي بالنسبة لكل من الصُّغُرَّات وحريملاء.

(٢٧٠) ليس في البلاد التي يمر بها المؤلف منطقة تسمى سنجق Sanjak وقرى الصُّغُرات تقع في منطقة المِحْمل. (ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج٢ ص٧٣.

(٢٧١) حريملاء من بلدان منطقة الشّعيب ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج٢، ص٥٦).

ملحق رقم (٤)

مخطط للطرق من الرياض إلى الأحساء والعقير، وقد سلك الكولونيل بلي الطريق الأول المسمّى مخَيط

مراحل الطريق الأولى Stages	أسماء المناطق Distric	زمن الرحلة	ملاحظات
من الرياض إلى الدغم(٢٧٢) Riyadh to El-Dagham	العرمة		لا ماء
وثيلان(٢٧٣) Vetailan	العرمة		آبار قريبة منها تسمى رميلان
الحومة(٢٧٤) Howmah	الدّهناء		لا ماء
البريصة(٢٧٥) Braysah	الدّهناء		لا ماء
ربيداء(٢٧٦) Orbayth	الصّمان		لا ماء
جَودَة(٢٧٧) El-Jowd	الصمان		آبار بنفس الاسم
الفُروق(٢٧٨) Ferooy	نفود الأحساء		لا ماء
غريميل(٢٧٩) El-Gheramel			لا ماء
الأحساء El-Ahsa	هجر Jajar		عيون ماء
موتة؟(٢٨٠) Motah	هجر		لا ماء
العُقير Okair			آبار مالحة

مراحل الطريق الثانية Stages	أسماء المناطق Distric	زمن الرحلة	ملاحظات
من الرياض إلى الدَغم Riyadh to El-Dagham	العرمة	١٠	لا ماء
مخَيط(٢٨١) Makhyat	العرمة	٨	لا ماء
سعْد(٢٨٢) Saad	الدّهناء	١٢	لا ماء
الدّهناء Dahneh	الدّهناء	١٠	لا ماء
عريق / عريج ؟ Oraij	الصمان	١٠	آبار ماء يمكن شربه
Rowat Bay thah(?)	الصمان	٦	آبار ماء يمكن شربه
ربيداء(؟) Orbaythah	الصمان	٣	آبارماء يمكن شربه
روضة الحنى(٢٨٣) Rowthat Henay	الصمّان	٣	آبار ماء يمكن شربه
الفروق Feroog	الصمّان	١٠	آبار ماء يمكن شربه
الأحساء El-Ahsa	النّقرة Nakra	١٠	آبار وعيون
العُقير Okair		١٣	آبار ماء مالح .

(٢٧٢) الدُّغْم: هضبة منخفضة تحف بجبل خنزير (الجبيل) من الناحيتين الشمالية والشرقية وتقع بينه وبين العَرَمة. ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج١، ص٢٤.

العَرَمة. ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج١، ص٢٤.

(٢٧٣) عن وثيلان ومنهل رميلان (رملان) ارجع إلى التعليقات على فقرة رقم (٨٨) أعلاه.

(٢٧٤) عرَّف ابن خميس (معجم *اليمامة*، مج١، ص٣٦١) الحومة بأنها مجتمع الأنْقاء أو الأنْقية أي كُثبان الرَّمل ذات الشكل الهرمي أوالمحدَوْدب في داخل الدهناء، وذكر منها حومة النقيان الواقعة في مغلظ الدهناء.

(٢٧٥) ليس فيما بين أيدينا من المراجع، مرجع يذكر البريصة أو البريسة Braysah أمامعجم *الأسماء الجغرافية* فيحدد البريسيات عند خط عرض ٢٨,٤٧ وخط طول ٣٧,٥٧.

(٢٧٦) ربما كان المقصود هنا (ربيداء) وهي أرض تمتد من غرب الفروق حتى شرقي الصلب، بين درب مزاليج ودرب معقلة (الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٧٤٢) وهي قريبة من المنطقة التي يتكلم عنها المؤلف.

(٢٧٧) عن منهل جودة ارجع إلى التعليقات على فقرة رقم ٩٥ أعلاه.

(٢٧٨) المقصود Ferooy و Feroog هنا (الفروق) وهو وادٍ بين الصَّمّان والأحساء يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي تحف به سلاسل من التلال. يبعد عن الأحساء مسيرة يوم. انظر التعليقات على فقرة رقم ٩٧ أعلاه؛ والجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص، ١٢٩٧-١٣٠٨.

(٢٧٩) غُرَيْميل: جبل صغير يقع شمال الأحساء، شمال شرق نعلة شدقم؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١٢٦٠-١٢٦٢.

(٢٨٠) علامة الاستفهام تدل على عدم قدرة المترجمين على تحديد الموقع.

(٢٨١) مِخْيَط: كثيب من كثبان الدهناء مدبب الرأس كأنه مخيط سُميت به الطريق الواصلة بين اليمامة والأحساء عبر الدهناء (ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج٢، ص٣٤٧) ويلاحظ أن كُلاًّ من الدُّغْم ومِخْيط ليسا من العرمة، فالأول إلى الغرب منها والثاني في الدّهناء شرق العرمة.

(٢٨٢) سِعْد: ليس في المصادر المتوافرة لنا موضع في الدهناء باسم سِعْد Saad بفتح الأول والثاني. والمعروف أن سِعْد بكسر الأول وإسكان الثاني مَنْهل يقع بين العَرَمة والدّهناء، يمر به طريق مِخْيط (ابن خميس، معجم *اليمامة*، مج٢، ص٢٤) لكن بلِي يجعله بعد كثيب مِخْيَط بمرحلة مقدارها مسيرة ١٢ ساعة. والأقرَب للصحة هو العكس.

(٢٨٣) يقع الحنى في الطرف الجنوبي الغربي للصّلب وهو ملتقى طرق يمر به طريق مزاليج الواصل ما بين اليمامة والأحساء. الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص٥٥٥-٥٥٦.

ملحق رقم (٥)

أسماء المراحل على طول الطرق من الكويت إلى القطيف.

مراحل الطريق الأولى Name of Stages	ملاحظـات
من الكويت إلى أبو حليفة[٢٨٤] Kowait to Aboo Helayfah	هذه هي المراحل نفسها
السّلوع[٢٨٥] El-Seloo	التي تقطعها القوافل إلى
الحزيم[٢٨٦] El-Hezaim	الأحساء والماء سهل
المجاتة[٢٨٧] El-Megata	المنال حتى الحبل.
السّودة[٢٨٨] El-Soodah	
الردايف[٢٨٩] El-Radayef	
الحبل[٢٩٠] El-Habl	
الجزيرة[٢٩١] El-Jezirah	يمر هذا الجانب من
الجبيل[٢٩٢] El-Jebail	الطريق عبر التلال
البياض (البيضاء)[٢٩٣] El-Biyadh	الرملية وليس ثمة
الأوجام[٢٩٤] El-Owjam	ماء حتى القطيف.
القطيف Kateef	

مراحل الطريق الثانية Name of Stages	الزمن الذي تستغرقه الرحلة بالساعة
من الكويت إلى الفنطاس Kowait to Fentass	٤
أبو حليفة Aboo Helayfah	٨
مراغـة[٢٩٥] Meraghah	١٠
مجاتة Megata	٥
حمض[٢٩٦] Hamadh	١٠
السّودة Soodah	١٠
دبيب أو دبيّة[٢٩٧] Dobayb or Dobbiyah	١٢
الصّباخة[٢٩٨] El-Sebakhah	٨
القطيف Kateef	٤

(٢٨٤) أبـو حليقة: قرية ساحلية في منطقة العدان تقع على بعد ١٨ ميلاً جنوب الجنـوب الشرقي لمدينـة الكـويت. . مياههـا عذبـة على عمق ٢٠ قدمًا. لوريمر، *دليل الخليج*، *القسم الجغرافي*، مج٢، ص٩٣٩.

(٢٨٥) السّلوع: منطقة جرداء إلى الجنوب من الكويت، تقع جنوب العَدَان وشمال الخزيم، طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي ٣٠ ميلاً وتمتد حوالي عشرين ميلاً من ساحـل البحـر إلى الـداخـل. لوريمـر، *دليل الخليج*، *القسم الجغرافي*، ص٣٠٧٩.

(٢٨٦) الخزيم: مِنْطقة واسعة وسهل لا شجر فيه إلى الجنوب من السّلوع، يحدها البحر من الشرق ومنطقة الشق من الغرب. تبعد عن مدينة الكويت حوالي ٦٠ ميلاً. لوريمر، دليل الخليج، *القسم الجغرافي*، مج٢، ص١٠٦٠.

(٢٨٧) المجاتة: لم نجد في مصادرنا ذكرًا لمكان بهذا الاسم في تلك المنطقة.

(٢٨٨) السّودة: اسم يطلق على أرض واسعة بطول حوالي ستّين ميلاً تمتد من رأس الخَفْقي (الخفجي) شمالاً حتى تقـترب من الأحساء جنوبًا وتكوِّن القسم الشرقي من وادي المياه (السّتار)؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص٨٧٦ـ٨٨١.

(٢٨٩) الرّدايف: أرض تقع شرقي وادي المياه وغرب الساحل من رأس منيفة إلى الخرسـانية، إلى الجنـوب من السّـودة تمتـد مسـافـة ٤٠ ميلاً طولاً تقريبًا و١٤ ميلاً عرضًا في المتوسط؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص٧٤٩ـ٧٥٠.

(٢٩٠) الحَبْل، أرض ممتدة من الشمال إلى الجنوب من غرب الجبيل وشرق الحناة إلى عين دار، غرب بقيق، يدخل في جانبها الجنوبي الجوف، وهي طويلة وليست عريضـة، وهي جزء مما يعـرف باسم البيضـاء؛ الجـاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص٤٧١ـ٤٧٢.

(٢٩١) الجزيرة: هناك العديد من الجزر الواقعة على شاطىء الخليج لكل منها اسمها الخاص والمؤلف لم يحدد هنا اسم هذه الجزيرة.

(٢٩٢) الجبيل: هي الميناء المعروف قديمًا باسم (عَيْنَين) يقع إلى الشمال من رأس تنورة.

(٢٩٣) البياض أو البيضـاء: أرض مستـطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب موازية لساحل البحر بطول ١٣٠ميلا تقريبًا. تبدأ بالقرب من جزيرة أبي علي في الشمال حتى تقترب من العُقير في الجنوب، ويحاذيها من الغرب الحَبْل والجوف ووادي المياه وواحـة الأحسـاء؛ أمـا من الشرق فيحـاذيهـا سـاحـل البحر (الخط)، الجاسر، معجم *المنطقةالشرقية*، ص ص٢٥٢ـ٢٥٧.

(٢٩٤) الأوجام: إحدى قرى واحة القطيف تقع في طرفها الشمالي الغربي وتبعد عن بلدة القـطيف حوالي ستة أميال؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ٩٧، ١٨٥، ١٨٦.

(٢٩٥) مَرَاغة: مورد ماء في منطقة الخفجي؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص١٥٩٨.

(٢٩٦) حَمَضْ: منهل ماء يقع في شمال منطقة السّودة إلى الجنوب الشّرقي من أُبْرق الكبريت؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص٥٤٢ـ٥٤٤

(٢٩٧) الدّبيبية: يذكر الجاسر أنها قرية من قرى القطيف تقع إلى جهة القِبْلة منها كما ينقل عن لوريمر أن الدّبيبية تقع على بعد نصف ميل جنوب غرب كوت مدينة القطيف (الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٦٦٥ ويلاحظ أن موقع الدّبيبية هنا قريب جدا من القطيف بينما يجعل بِلِي بينها وبين مدينة القطيف مرحلتين.

(٢٩٨) الصّباخة. قد يكون هذا الاسم تحريفًا لمسمى الصّبخاوية، والصّبخاوية من مياه منطقة القطيف، إلى الغرب من الآجام (الأوجام) بنحو عشرة أميال، الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٩٦٣.

ملحق رقم (٦)

عدد المراحل وأسماؤها على طول الطرق من الكويت إلى الأحساء.

مراحل الطريق الأولى خرائب ثاج	مراحل الطريق الثانية الذي يتقاطع مع الطريق المؤدي للرياض	مراحل الطريق الثالثة المتطابق مع طريق القطيف	مراحل الطريق الرابعة المباشر: المرحلة	مراحل الطريق الرابعة المباشر: المسافة بالساعة
من الكويت إلى مَلَح× Kowait to Malah	من الكويت إلى الشّعيبات(٣٠٩) Kowait to Shaaybat	من الكويت إلى أبي حليفة× Kowait to Aboo Helayfah	من الكويت إلى الفنطاس× Kowait to Fentass	٤
الصُّبَيحيّة(٢٩٩) Sebahiah	مراغة× Meraghah	السلوع× El Seloo	أبو حليفة× Aboo Helayfah	٨
الوفْراء× Wafrah	عَرْق Arg	الحزيم× El Hazaim	مَرَاغة× Meraghah	١٠
مراغة× Meraghah	السلوع× El Seloo	المجاتة× El Megata	مجاتة× Megata	٥
عَرْق(٣٠٠) Arg	نُقير(٣١٠) Negayer	السودة× El Soodah	حمض× Hamadh	١٠
حمض(٣٠١) Hamadh	الحَمّار× Hammar	الردايف× El Redayef	السودة× Soodah	١٠
نُقَيْر(٣٠١) Negayer	بتمة(٣١١) Batmah	الحَبْل× El Habl	الحَبْل× El-Habl	٨
النَّعَيْرية(٣٠٢) Noariyah	عشبة Oshbah	اللدام(٣١٤) El Daum	الجوف× El Jowf	١٢
نطاع(٣٠٣) Antah (Village)	مُسلّخ(٣١٢) Mossallakh	الجوف(٣١٥) El Jowf	عين دار(٣١٦) Ain Dar	١٢
ثاج(٣٠٤) Taj	ملاحة Melahah	غُريْميل× El Gheramal	الأحساء El Ahsa	٨
مغار(٣٠٥) Maghar	العيون(٣١٣) El Ayoon	الأحساء El Ahsa		
الضَّبْطية(٣٠٦) Debatiyah	الأحساء El Ahsa			
جُودة(٣٠٧) Jowdah				
الثليا(٣٠٨) Telaimah				
الأحساء El Ahsa				

× علامة الضرب تعني أن الموقع قد سبق التعريف به.

(٢٩٩) الصّبيحية، مورد ماء يقع على بعد ٣٢ ميلاً جنوب الكويت وعلى مسافة عشرين ميلاً من الساحل؛ لوريمر، *دليل الخليج، القسم الجغرافي*، مج١، ص٣٦.

(٣٠٠) عَرْق: أصبح قرية من قُرى العوازم في منطقة الخَفْجي يبعد عن العظامي بنحو ثلاثين كيلاً. الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص١١٥١.

(٣٠١) نُقَيْر: منهل ماء للعوازم يقع في شمال غرب السّودة، شمال النُّعيْرِيَّة بحوالي أربعين كيلاً، يقع بقرب خط طول ٤٨,١٨ وخط عرض ٢٧,٥٥؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١٧٥٦-١٧٥٩.

(٣٠٢) النُّعَيْرِيَّة: مورد ماء يقع في شمال وادي المياه، وقد أصبحت بعد اكتشاف النفط قرية ومركزًا إداريًا معروفا؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص١٧٤٩.

(٣٠٣) نِطَاع: تنطق العامة الاسم (إِنْطاع) منهل ماء قديم وقرية على الجانب الغربي لوادي المياه (السّتـار) تقع بقرب خط طول ٤٨,٢٦ وخط عرض ٢٧,١٣؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١٧٣١-١٧٤٦.

(٣٠٤) ثَاج: كتبهـا بِلِي (تـاج بالمثناه) خطأ والاسم قد يُهْمر (ثَأج) كما ينطقه بعض السكان المحليين بالفاء (فاج) تقع على بعد ثمانين كيلاً غربي مدينة الجبيل في وادي المياه. راجـع المقـال المطول (ثاج وآثارها) في: الجاسر، *معجم المنطقة الشرقية*، ص ص٣٠٧-٣٣١.

(٣٠٥) مغار: مورد ماء في منطقة الحَبْل يقع على بعد ١٣ ميلاً إلى الشمال من جبل قدام وملاصقة لطرف جَوْسَامين؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٤٧٥.

(٣٠٦) الظَّبْطيةُ: سبخة واقعة جنوب قرية حنيذ في الشمال الغربي من شَفيّة، وفي غرب هذه السَّبْخة مورد ماء بالاسم نفسه، الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص١٠١٦.

(٣٠٧) جُودَة انظر عنها التعليقات على فقرة رقم (٩٥) أعلاه.

(٣٠٨) الثّليا: مورد ماء يبعـد عن عين دار ثلاثة أكيال في منطقة الجوف؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٣٣٨.

(٣٠٩) الشّعيبة: آبار وقرية ساحلية صغيرة في منطقة العذان في إمارة الكويت تقع على بعـد حوالي ٢٤ ميلاً جنوب الجنوب الشرقي لمدينة الكويت؛ لوريمر، *دليل الخليج، القسم الجغرافي*، جـ٦، ص٣٣٤٩.

(٣١٠) الحِمَار: بميم واحدة، سلسلة آكام يطلق عليها اسم جَبل الحِمار تقع في شمال الصلب، إلى الشرق من أم الهوشات؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٥٣٥.

(٣١١) لا تذكر المصادر المتوافرة لدينا موضعا بهذا الاسم.

(٣١٢) مُسلَّخ: آبار تقع عند الطرف الشمالي للحبل وعند أسفل الطرف الشرقي لجبل الابتلة، شرقي ثاج وغربي منهل رحة؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص٤٧٥.

(٣١٣) العيون: واحة صغيرة متصلة بواحة الأحساء من الشمال، كثيرة العيون والقرى. تقع بين خطي طول ٤٩,٣٠° و٤٩,٤٠° وخطي عرض ٢٥,٣٠° و٢٥,٤٥° تقريبًا؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص١٢٤٨-١٢٥٢.

(٣١٤) اللّدام: ينطلق أحيانا (الدّام أو دام) خطأ، وهو جبل يقع جنوب الحبل بينه وبين الجوف، شمال عين دار. يقع بقرب خط الطول ٤٩,٢٩° وخط العرض ٢٦,٢٠°. الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص٤٤٢، ١٥٣١.

(٣١٥) الجوف: أرض منخفضة تبعد عن واحة الأحساء ثمانية أميال شمالاً وطولها من الشـمال الغـربي إلى الجنـوب الشرقي حوالي ثلاثـين ميلاً. من أهم مواردهـا عصيفرات، عين دار، فودة وأبو الحمام؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص٤٣٩-٤٤٥.

(٣١٦) دار، اسم لموضع في جنوب مِنْطقة الجوف، كانت فيه عين ماء تُعرف (بعين دار) تقع غرب بقيق وشرق جبل عريعرة، بقرب خط الطول ٤٩,١٨° وخط العرض ٢٥,٥٩°. وهناك موقع آخر بهذا الاسم عند خط طول ٤٩,١٥° وخط عرض ٢٥,٤٥°؛ الجاسر، معجم *المنطقة الشرقية*، ص ص٦٤٥-٦٤٩، ١٢٢٤.

الملحق رقم (٧)

تقرير يوضح المسافة بين المدن والمناطق المذكورة أدناه، والرياض، عاصمة نجد.

أسماء الأماكن	المسافة	ملاحظات
من الرياض إلى الكويت	١٢ يومًا	
من الرياض إلى القطيف	٨ أيام	
من الرياض إلى الأحساء	٦ أيام	
من الرياض إلى العقير	٧ أيام ونصف	بمعدل ثماني ساعات سفرًا
من الرياض إلى الزلفي	٤ أيام	على ظهور الجمال في اليوم
من الرياض إلى القصيم	٥ أيام	
من الرياض إلى جبل شمر	٩ أيام	
من الرياض إلى جوف آل عمرو	١٢ يومًا	
من الرياض إلى حزم الرَّاجي[٣١٧]	٩ أيام	
من الرياض إلى وادي الدواسر	٧ أيام	
من الرياض إلى الوشم	٤ أيام	
من الرياض إلى الحريق	يومان	
من الرياض إلى الخرج (اليمامة)	يوم ونصف	
من الرياض إلى مكة	١٨ يومًا	
من الرياض إلى الحوطة	يومان	
من الكويت إلى القطيف	٦ أيام	بمعدل ثماني ساعات سفرًا
من الكويت إلى الأحساء	١٠ أيام	على ظهور الجمال في اليوم
من الكويت إلى العُقير	١٠ أيام	
من الكويت إلى الزُّلفي	١٠ أيام	
من الكويت إلى القصيم	١٢ يومًا	
من الكويت إلى جبل شمَّر	١٦ يومًا	
من الكويت إلى حَزْم الرَّاجي	١٨ يومًا	
من الكويت إلى مكة	٢٦ يومًا	

(٣١٧) مقاطعة عظيمة من الصحراء الحجرية، حدودها الشرقية قريبة من آبار عفيف وتمتد من الجنوب الغربي من عفيف على بعد يومين ونصف سيرًا. ويقال إن طولها من الشمال إلى الجنوب يزيد على عرضها. وتكون جزءاً من ديرة قبيلة عتيبة. لوريمر، *دليل الخليج*، *القسم الجغرافي*، مج ٥، ص٢٣٤٥.

ملحق رقم (٨)

موازين الرياض ومكاييلها

٢ تومان = ١ ربعة (Orbaa).

٤ تومان = ٢ ربعة = ١ نصيف (Nesayf).

٨ تومان = ٤ أرباع = ٢ نصيف = ١ مُد (Madd).

٢٤ تومان = ١٢ ربعة = ٦ نصيف = ٣ أمداد = ١ صاع (Saa)

ما هو مذكور أعلان مكاييل مصنوعة من الخشب أو من الصاج ووحدة الوزن الوحيدة المصنوعة من الحجر أو الحديد هي المعروفة بالوزنة والوزنتان تساويان صاعًا واحدًا.

عملة الرياض

٢ بيزة بمباي (Bombay Pice) = ١ قمرية تركية Turkish Kamaree

٤ بيزة بمباي = ٢ قمرية تركية = ١ روبية تركية Turkish Robeeyah

٢٠ بيزة بمباي = ١٠ قمرية تركية = ٥ روبية تركية = ١ قران تركي Turkish Kran

٢٦ بيزة بمباي = ١٣ قمرية تركية = ٦,٥ روبية تركية = ١ قران فارسي Persian Kran

٢٦ بيزة = ١ قران فارسي

٦٥ بيزة = ٢,٥ قران فارسي = ١ روبية بمباي Bombay Rupee

١٣٠ بيزة = ٥ قران فارسي = ٢ روبية بمباي = ١ دولار Dollar

٦٥٠ بيزة = ٢٥ قران فارسي = ١٠ روبية بمباي = ٥ دولارات = ١ جنيه إنجليزي .English sov.

ملحق رقم (٩)

تقرير يبين أسماء مناطق نجد السعودية (الوهابية) والعدد التقريبي لسكانها وعوائدها السنوية، وعدد المقاتلين التي تستطيع كل منطقة تقديمهم.

اسم المنطقة	عدد السكان	العوائد بالدولارات	عدد الرجال المقاتلين	ملاحظات
القَصيم	٢٠,٠٠٠	٧٠,٠٠٠	٦٠٠	تشمل العوائد من هذه المناطق الرسوم الجمركية، والضرائب على الأرض والماشية (الزكاة) ويفترض أن تكون العوائد الجمركية في حدود ١٠٪، لكنها تختلف في كثير من الأماكن، ففي بعضها يفرض ١٠٪ وفي أماكن أخرى ٥٪ وفي بعضها الآخر أقل من ذلك. والضريبة المفروضة على الأرض ١٠٪ إذا كانت تُروى بالينابيع الطبيعية، و ٥٪ إذا كانت تُروى من الآبار. أما ضريبة الماشية والدّواب فهي بالنسبة للعرب المستقرّين والبدو على سواء، إذ هي لكليهما جمل على كل أربعين بعيراً، ورأس على كل ١٠٠ من الغنم، ورأس على كل ٢٠ من الخيل وهكذا.
الوَشْم	٨,٠٠٠	١٢,٠٠٠	٤٠٠	
سُدَير	١٢,٠٠٠	٧٠,٠٠٠	٤٠٠	
العَارض	١٢,٠٠٠	٥٠,٠٠٠	١,٢٠٠	
اليمامة (الخَرْج والحريق)	٦,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	لا أحد	
الحوطة	٨,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٥٠٠	
الأفْلاج	٢,٠٠٠	٧,٠٠٠	٣٠٠	
السّلَيل	٤,٠٠٠	٧,٠٠٠	٥٠٠	
وادي الدّواسر	١٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠	١,٠٠٠	
الأحْساء	٢٠,٠٠٠	٢٧٠,٠٠٠	١,٠٠٠	
القَطيف	٦,٠٠٠	١٣٠,٠٠٠	لا أحد	
العُقَير		٤,٠٠٠		
المنطقة الواقعة بين العارض وحزم الرَّاجي المسماة القرنية (Garaniah)	٧,٠٠٠	٦,٠٠٠	٢,٠٠٠	
الإجمالي	١١٥,٠٠٠	٦٩٢,٠٠٠	٧,٩٠٠	

ملحق رقم (١٠)

تقرير يبين أسماء قبائل نجد وعددها التقريبي وما تدفعه كل منها سنويًا لأميرها.

أسماء القبائل	عددها	العوائد السنوية	ملاحظات
سُبيع	٨٠٠	٦٠٠٠ دولار	نادرا ما تُدفع العوائد نقدا، وإنما تُجنى عَيْناً: جمل من كل أربعين، وخروف من كل مائة، وحصان من كل عشرين وهكذا.
السُّهول	٦٠٠	٨٠٠٠ دولار	
العُجمان (الرَّخم)	١,٢٠٠	٨٠٠٠ دولار	
قَحْطان	٦٠٠٠	١٦٠٠٠ دولار	
قَحْطان (جَنْب)	١٠٠٠	٤٠٠٠ دولار	
عُتَيبة (بأقسامها الثلاثة)	١٤٠٠	١٢٠٠٠ دولار	
حَرْب	١٠٠٠	٨٠٠٠ دولار	
عِنزة (في نجد)	٦٠٠	٤٠٠٠ دولار	
بُرَية (من مطير)	٨٠٠	٤٠٠٠ دولار	
مطير (هتيم)[٣١٨]	٤٠٠	٤,٠٠٠ دولار	
الصُّهَبة (مطير)	٢٠٠	٢,٠٠٠ دولار	
بنو خالد والعُجمان في الأحساء	٢,٠٠٠	٢,٠٠٠ دولار	
بَنو هاجر	٥٠٠	٣,٠٠٠ دولار	
المَنَاصير (في نجد)	٤٠٠	٢,٠٠٠ دولار	
آل مُرَّة	٦٠٠	٣,٠٠٠ دولار	
الدوَّاسِر	١٦٠٠	١٢,٠٠٠	
الإجْمالي	٢٠,٣٠٠	١١٤,٠٠٠ دولار	

(٣١٨) قبيلة هتيم ليست قِسْما من قبيلة مطير، ويظهر أن المؤلف ألحق هتيم بمطير لأنها من أتباعهم.

ملحق رقم (١١)

كلمة عن بعض الطرق التي يستخدمها العرب البدو لحماية أولئك الذين يرتكبون جرائم القتل[٣١٩]

١. يصبح القاتل آمنا إذا تلقى ردّاً على سلامه من قِبَل الجماعات التي تبحث عنه للاقتصاص منه.

٢. إذا استطاع القاتل أن يجد وسائل للهرب من سجنه بالحديد الذي يكبل به، ثم وصل إلى مسكن أي شخص، وطرق بابه، فإنه سيلقى الحماية من صاحب الدار، ويصبح الحديد المكبل به ملكه شخصيًا، ولا يعاد لمن وجه إليه التهمة.

٣. إذا استطاع القاتل المسجون في حُفْرة حُفِرَتْ لهذا الغرض للتحفظ عليه، ووضع على تلك الحفرة لوح خشب ينام فوقه حارس، لمنع أي اتصال بالسجين القاتل - أن يُقنع أي شخص بأن يمد له حبلاً من منزله إلى مكان حبسه، وربط هذا الحبل بشخصه، فإن صاحب المنزل الذي مُدّ منه الحبل سيمنحه الحماية بدعوى أن الحبل قد مُدّ إلى بيته.

٤. إذا نجح القاتل السجين في أن يرسل سِراً إلى منزل أي شخص، وحصل على شيء من الطعام ووضع الطعام في فمه، فإن صاحب البيت المجلوب منه الطعام سيحميه على اعتبار أنه قد أكل من خُبْزِه.

---

(٣١٩) من الواضح أن هذه المعلومات التي استقاها بلي من الأعراب وغيرهم ممن قابلهم، كانت فيها بعض المبالغة. ومهما كان الأمر فإن مثل هذه الأمور، ما كانت لتتم بعلم حكومة تطبق الشريعة الإسلامية فبوركهارت الذي سبق بلي بحوالي خمسين سنة في زيارته لجزيرة العرب يذكر في كتابه ملاحظات عن البدو والوهابيين (Burckhardt, Notes) والذي نشره في لندن سنة ١٣٨١ والذي ترجم فصولاً منه الدكتور عبدالله العثيمين - وعن هذه الترجمة ننقل - أن سعودًا (أحد أمراء الدولة السعودية الأولى توفى سنة ١٢٢٩هـ) لم يكن يحترم أبدا الحماية التي يمنحها العرب الآخرون للمذنب. وقد ألغى نظام الدّخيل في كل مناطق حكمه مادامت تستغل في إفلات شخص من العدالة. فإذا قتل عربي رجلًا آخر فله أن يبحث عن حماية صديق لينفذ نفسه من ثأر فوري على أيدي أقارب المقتول، لكنه كان يستطيع أن يبقى تحت تلك الحماية فقط حتى يطلبه الشرع. ويجب عليه حينذاك أن يستجيب. انظر: بوركهارت، مواد، ص ص٤٧-٤٨.

٥ . إذا استطاع القاتل المكبل بالحديد أن يبصق على أي شخص قريب منه، فإن المبصوق عليه سيمسح البصقة ويقوم بحماية القاتل.

٦ . إذا سوى القاتل الأمر مع متهميه بأن يدفع لهم الدّية (١٠٠ بعير) وحصل على الأمان حتى تحضر الإبل، وفي أثناء فترة الأمان هذه تلقى التحية من أي شخص من الجماعة فرد على تلك التحية، فإن الشخص الذي ألقى التحية عليه أولاً سيقدم له الحماية وساعتها لن يأخذ منه أحدٌ إبلاً، ولن يطالبه أحد بدية.

٧ . إذا بحث القاتل عن ملجأ ووجده حيث تبيت الجمال، وقضى ليلته نائمًا مع الجمال، فإنه سيلقى الحماية من أصحاب هذه الجمال.

٨ . إذا كان القاتل راكبًا جملاً، وعقل جمله إلى منزل أي شخص، فإنه سيلقى الحماية من صاحب الدار التي عقل إليها بعيره.

٩ . إذا أرسل القاتل بصفة سرية إلى بيت متهمه وحصل على طعام من هنالك وأكل هذا الطعام في حضور متهميه ولم يعرف متهموه أن هذا الطعام من بيتهم، ثم اكتشفوا هذا الأمر بعد ذلك، فإنهم في هذه الحالة سيصفحون عن المتهم باعتباره شخصًا حل عليهم ضيفًا.

١٠ . إذا كان القاتل حَالَ القبض عليه ضيفًا لأي شخص، فإن المضيف يحميه يومًا وليلة لأن طعام صاحب البيت مازال في جوفه، وفي هذه الأثناء يحاول القاتل بطرائق أخرى أن يحصل على المساعدة من مكان آخر.

١١ . إذا استطاع القاتل عند إلقاء القبض عليه أن يلقي غطاء رأسه على أي شخص، فإن الشخص الذي وقع عليه الغطاء سيحميه.

١٢ . إذا حضر القاتل مجلسا للجماعة الذين يتهمونه بالقتل وكان مُلَثَّمًا، وألقي عليهم السلام، وردوا عليه السلام دون أن يعرفوه فإنه سيغدو آمنًا وسيقدمون له الحماية.

١٣ . إذا وجد القاتل عند القبض عليه فرصة لربط ثوبه بثياب مُتَّهميه فسيكون آمنًا.

١٤. إذا وجد القاتل عند القبض عليه من قبل متهميه، فرصة للإمساك بثيات أخي المتهم له، أو أن يلقي بنفسه عليه، فسيلقي الحماية لمدة عام واحد، وفي هذه الأثناء، إما أن يجد طريقًا للأمان أو أن يحصل على حماية أشخاص آخرين قبل انقضاء العام.

١٥. إذا وجد القاتل عند القبض عليه فرصة تلمس يد أي شخص أو قدمه فإن الشخص الملموس سيقدم له الحماية.

١٦. إذا وجد القاتل عند القبض عليه فرصة لإلقاء حجر أو عصًا على أي شخص، فإن الشخص الذي وقع عليه الحجر أو العصا سيحميه.

١٧. إذا عزم القاتل على القيام برحلة، وكان متخوِّفًا من أن يقتله متهموه في الطريق، فإنه إن حصل على حماية شخص قريب لمتهميه بإصطحابه، ففي هذه الحالة يصبح آمنا، ولا يتخلى عنه إذا ما طلبه مُتَّهِمُوه.

ملحق رقم (١٢)

قائمة بالسلالات(٣٢٠) المختلفة للخيول النجدية(٣٢١)

توجد خمس سلالات أساسية هي كالآتي: (٣٢٢):

١ . صَقلاوية ابن جدران — Saglawiyah ben Jedran
٢ . كُحيلة العجوز — Kohaylat al Ajooz
٣ . عُبَيّة الشرّاك — Obayyat oosh Sherrak
٤ . دَهمة الشوّان، (الشّعوان، الشّهوان؟) — Dahmat oosh Shawan
٥ . وذنة خرسان — Wadhnat Khersan

السلالة الأولى ليس بالإمكان الحصول عليها في نجد. فليس ثمة إلا القليل منها عند قبيلة عنزة. وهناك سلالة مُخَلَّطة من السلالة الأولى متوافرة باسم صقلاوية وبير (Saglawiyah Obair) وقد وُلِّد من السلالة الثانية عدد من السلالات الأقل درجة وهذه أسماؤها: (٣٢٣)

---

(٣٢٠) للاطلاع على تفاصيل أكثر عن سلالات الخيل العربية الأصيلة، انظر:

Blunt, *A Pilgrimage*, particularly chapter XII.

أو ترجمته العربية تحت عنوان، *رحلة إلى بلاد نجد*، ص٢٦٩ وما بعدها؛ وكتاب *الجواد العربي*، لعلي البرازي، ص٥٩، وما بعدها، وكتاب *الخيل وفرسانها*، لنجيب خوري ص ص٦٥-٦٧.

(٣٢١) لا ينبغي أن يفهم من تعبير بلي (سلالات الخيل النجدية) أن هذه السلالات قَصْرٌ على الخيل الموجودة في نجد، وإنما هذه السلالات وغيرها من سلالات الخيل العربية الأصيلة مُتعارف عليها في نجد وغيرها من البلاد العربية وخاصة في الجزيرة العربية وبلاد الهلال الخصيب.

(٣٢٢) يتفق مع بِلي كل من الدكتور نجيب خوري (طبيب وخبير خيل لبناني) وعلي البَرازي (مربي وخبير خيل سوري) في أن هناك خمس سلالات أساسية للخيل العربية، لكنهما لا يتفقان معه على أسماء تلك السلالات إلا في ثلاث منها هي، صقلاوية جدران، والكحيلة، والعُبَيّة؛ انظر البرازي، *الجواد* ص٦٥ وما بعدها؛ وخوري، *الخيل*، ص ص٦٥-٦٧). أما الشريف عبدالله بن الحسين، أمير شرق الأردن، فيذكر سبعة سلالات أساسية للخيل العربية، وهو يتفق مع بِلي في أسماء أربع سلالات فقط. انظر رسالته: جواب السائل عن الخيل الأصائل، ملحقة *بعقد الأجياد في الصّافنَات الجياد*، للأمير محمد بن عبدالقادر الجزائري.

(٣٢٣) اعتمدنا في تحقيق بعض أسماء سلالات الخيل الأساسية والسلالات المُخَلطة أو المُوَلَّدة منها التي ذكرها بلي هنا، على كتابي علي البرازي ونجيب خوري المشار إليها أعلاه.

جارية؟	Jariah	شويمان (شوية)	Shovayman
جازية؟	Jaziah	حمدانية	Hamdaniyah
حرقة	Hargah	هدبة	Hadbah
مرادي؟	Meradee	ربداء	Rabdah
زهية	Zohayya	شهيب	Shohaib
جرادة	Jerradah	معنزية (معنقيّة)	Maanaziyah
مِصَنّة	Mossanah	طويسة	Towaysah
		أطرفية؟	Atrafiah

وغيرها كثير، معروفة بأسماء القبائل والشيوخ أو الأسرات التي تملكتها. أما السلالة الثالثة والرابعة والخامسة من السلالات الأساسية فإنها لا تتغير أسماؤها عندما تُخلط بسلالات أخرى مولّدة من السلالة الأساسية الثانية.

مـذكـرة

لا يهتم العرب بشكل الحصان أو حجمه، وهم يدفعون أي مبلغ مقابل حصان من سلالة جيدة. والعرب مُولعون بالحصان الجيد. وربما يكونون أكثر استعدادًا للتخلي عن أولادهم ولا يتخلون عن حصان جيّد. والذين يملكون منهم خيولاً من سلالات كريمة، يستطيعون العيش في رغد باستخدام خيولهم الأصيلة كفحول للنزو والاستيلاد.

ملحق رقم (١٣)

ملاحظات على قبيلة صُليب (Selaib) (٣٢٤) **(الصُّلبة أو الصّلَب)**

إذا لم تَخُني الذاكرة، فإنني قد قدمت في المذكرة المرفقة بتقريري المؤرخ في ١٤ فبراير ١٨٦٦م، ملاحظات عن الصّلب Selaibees وعلى أية حال، ولكي أتحاشى اللَّبس فإنني أُلحق الآن ما يمكن استعادته بخصوص هذه المسألة.

لقـد أُطلق لفظ صُليْب أو صليبوه على هؤلاء الناس، لأنهم في بعض الاحتفالات وخاصة تلك المتعلقة بالزواج أو الختان يغرسون صليبا خشبيا مُغَطىً بقماش أحمر ويجعلون في أعلاه ريشًا، أمام باب خيمة الشخص الذي سيتزوج أو الذي سَيُختن، ويعد هذا الصليب بمثابة دعوة للجيران كي يتجمعوا ويتحلقوا ويرقصوا حول الصليب المُكْسُو.

وثمة تفسير آخر متوارث وهو أن (صُليب) اسم مشتق من الصُّلْب بمعنى الظهر، لأن هذه القبيلة هي الأقدم والأعرق، وهي بتعبير آخر تمثل العمود الفقري للعرب، وأكثر الأعراق نقاء. لكن المسلمين العرب ينكرون هذا الادعاء ويسمون (صُليب) بأنهم منبوذون، ويؤكدون أنه عندما كان نمرود على وشك طرح إبراهيم (عليه السلام) في النار ظهر بعض الملائكة لحمايته. وعندئذ ظهر إبليس أو الشيطان على مسرح الأحداث، ووضّح للناس أنه إذا ما كان أحدهم على درجة من الصلاح بحيث يقوم بارتكاب جريمة مُخجلة. فإن الملائكة ساعتها ستضطر إلى الاختفاء، وعندئذ، يكون إبراهيم بلا حماية. واستجابة لهذه الدعوة الشيطانية وقع واحد من العرب على أمّه. وعندئذ اختفت الملائكة رُعْبًا. ولكن ظهر الملك جبريل فجأة، وأحال مكان إحراق إبراهيم إلى حديقة، ومن يومها كانت الذرية الناتجة عن هذه الجريمة يطلق عليهم احتقارًا اسم (صُليب) الصّلب.

وكان هؤلاء الصّلب قد هاجروا إلى نجد وغيرها من مناطق الجزيرة العربية وراحوا يتظاهرون بممارسة شعائر الدين الإسلامي، ويتظاهرون بمشاركة المسلمين احتفالاتهم وأعيادهم. ولكنهم، بينهم وبين أنفسهم، كانوا يمارسون شعائر دينهم الخاص بهم. إنهم يعتقدون في إلهٍ واحد ويحترمون

---

(٣٢٤) يستخدم المؤلف هنا صيغ (Selaib صُليْب) للمفرد و (Selaibees) للجمع للدلالة على قبيلة الصّلبة أو الصّلب، ربما لأن صيغة التصغير هي الأكثر انتشارا في شرق الجزيرة وقد استخدم ابن بشر كلمة الصّلبة وصليب في موضع واحد للدلالة على تلك القبيلة، ابن بشر، *عنوان المجد*، مج٢، ص٥٤.

النبي محمدًا، كرجل ولكنهم ينكرون نبوته، وهم يعتقدون أيضًا في بعض الأشخاص المقدسين المجهولين، كأخلاء الله.

وهم يصلون ثلاث مرات في اليوم، مرة عند شروق الشمس وتنتهي هذه الصلاة قبل أن يملأ قرص الشمس الأفق، والثانية قبل أن تميل الشمس عن خط الزوال، والثالثة يجب أن تتم قبل غروب الشمس. ويقال إن الصّلب الذين مازالوا في العراق هم الذين يمارسون عباداتهم بشكل نقي. وأنهم يحتفظون ببعض الكتابات المقدسة بالكلدانية أو الآشورية. ويمكن أن تكون من بين هذه الكتابات مزامير داود Psalms of David وبعض تعاليم أنبيائنا من اليهود. ويصوم الصّلب ثلاث مرات في السنة، ثلاثين يوما في رمضان وما بين أربعة إلى سبعة أيام في شعبان، وما بين خمسة إلى تسعة أيام خلال شهور الصيف.(٣٢٥)

والصّلب يوقرون النجم القطبي Polar Star باعتباره النقطة الثابتة التي ترشد كل المسافرين بحرا وبرا. وهم في توقيرهم له يُيَمِّمُون وجوههم شطره ويمدون أيديهم بحيث تشكل صليبًا.(٣٢٦)

ولا يتزاوج العرب مع الصّلب أبدًا. واحتفالات الزواج عند الصلب بسيطة، إذ يتم عقد الزواج بحضور أبوي العروسين أو أقرب الناس لهما من عشيرتهما. وتعد موافقة الطرفين أمرا ضروريًا لإتمام الزواج. ويقبض والد العروس مبلغًا مُعيّنًا. وعندئذ يقوم المُلاّ، أو شيخ عجوز بسؤال الطرفين عما إذا كانا قد قبلا الاقتران، ويتقاضى أجره، ويعقد لهما ليعيشا عيشة الأزواج.

وبعد مرور أربعين يوما على ميلاد الطفل يغطسونه سبع مرات في الماء. ويجب أن يُختن الطفل قبل أن يبلغ السابعة من عمره. وعند الختان يغرس الصليب بالوضع الذي أشرنا إليه سابقًا وتُذبح الخراف، ويدعى الجميع للحفل ويلقون ترحابًا.

---

(٣٢٥) أشار الشّهرستاني في *الملل والنّحل*، إلى فرقة لم يُدْرجها ضمن حديثه عن فرق المسلمين، تمارس شعائر قريبة مما ذكره بِلي عن الصّلب، وهي فرقة (الصّابئون) فيذكر أن الصّابئة كلّهم يصلون ثلاث صلوات ويغتسلون من الجنابة، ومن مَسّ الميّت ويُحَرِّمون أكل الجزور والخنزير والكلب، ومن الطّير كلّ ما له مخلب، والحمام ويتمون الزواج بولي وشهود ولا يُجَوِّزون الطلاّق إلا بحكم حاكم، ولا يجمعون بين امرأتين، *الملل والنّحل*، مج٢، ص٥٧.

(٣٢٦) إذا صح ما ينقله بِلي هنا عن الصّلب، فإنه لم يعد لعقائدهم وشعائرهم وجود ظاهر الآن. وربما يعود هذا إلى انتشار شعائر الإسلام بين سكان الصحراء بفضل الدعوة الإصلاحية.

وفي واقع الأمر فإنه يبدو أن الصّلب في الصّحراء قد راحوا يحتفلون بأعياد ومناسبات الدين السائد.(٣٢٧) وشيئًا فشيئا وجيلاً بعد جيل فقدوا معتقداتهم الأصلية ومع هذا فإنهم يعلنون أنهم في الأصل من الصّابئة، لكن يبدو أن قولهم خاطيءٌ.

والصّلب قومٌ مسالمون، وتأنف القبائل من إيذائهم أو سلبهم. وهم مفيدون للغاية كمرشدين وأصحاب حرف، مما يجعل إيذاءهم أمرًا غير مقبول. وهم لا يدفعون إتاوة tribute وتأنف القبائل من الاقتراض منهم. وللصلب من يدافع عنهم في كل قبيلة ذات شأن، ويلجأ الصّلب إليهم طلبًا للحماية إذا دعت الحاجة، حين تُحَل المشكلات بالوساطات لإصلاح ذات البَين. والصّلبي لا ينهب (لا يغزو) أبدًا. وهو مثل غيره من الناس المعدمين، مضياف بشكل واضح. والصّلب مشهورون بأنهم رُماة ممتازون، وأنهم أفضل المرشدين في الصّحراء، وتَثِق القبائل نفسها في معلومات الصّلب عن المياه الباطنية.

ويتكون غذاء الصلب الأساسي من التمور والجراد مع الحليب والزبد اللذان يحصلون عليهما من قطعانهم العديدة ويبيعون الفائض على ساحل الخليج، حيث ينحدرون إليه، ويقضون هناك أربعة أشهر في السنة ويظلون في حالة تجوال خلال الشهور الثمانية الباقية. وخيام الصّلب من شعر الماعز السوداء، وهي خفيفة يمكن نقلها بسهولة. وعند نصب خيامهم، فإنهم يختارون مكانًا منعزلاً عن القبائل، ويبدو أنه ليس لهم شعائر خاصة بهم فيما يتعلق بالدّفن فهم — كالمسلمين - يُغَسّلون الميّت ويُغَطّونه بكفن أبيض ويُودعونه الثّرى وهم يُصَلّون. وبعد دفنه يذبحون خروفًا ويوّزعون لحمه على الفقراء. وعندما لا يكون الكفن متوفرًا فإنهم يدفنون الميّت بعد تكفينه بعباءته الجلدية، كما يفعل البدو الذين يدفنون من مات لهم بعد تكفينه في ردائه.

والصّلب يحترمون مَكّة وإن كانوا يَعْتبرون حرّان في العراق أو بلاد الرافدين مقصدهم الذي يحجون إليه. وهم يسمون النجم القطبي (جاه) Jah كما يوقرّون أيضًا نجمًا يسمى جدي Jedy في مجموعة نجوم برج الحمل.

ويتفق الجميع على أن النساء الصّلبيات ذوات ملامح أكثر رقة من ملامح نساء كل القبائل الرحل، إلا أنهن يُضْرب بِهِن المثل في القذارة إذ لا يستنكفن عن أكل الجيف عند بوابة المدينة.

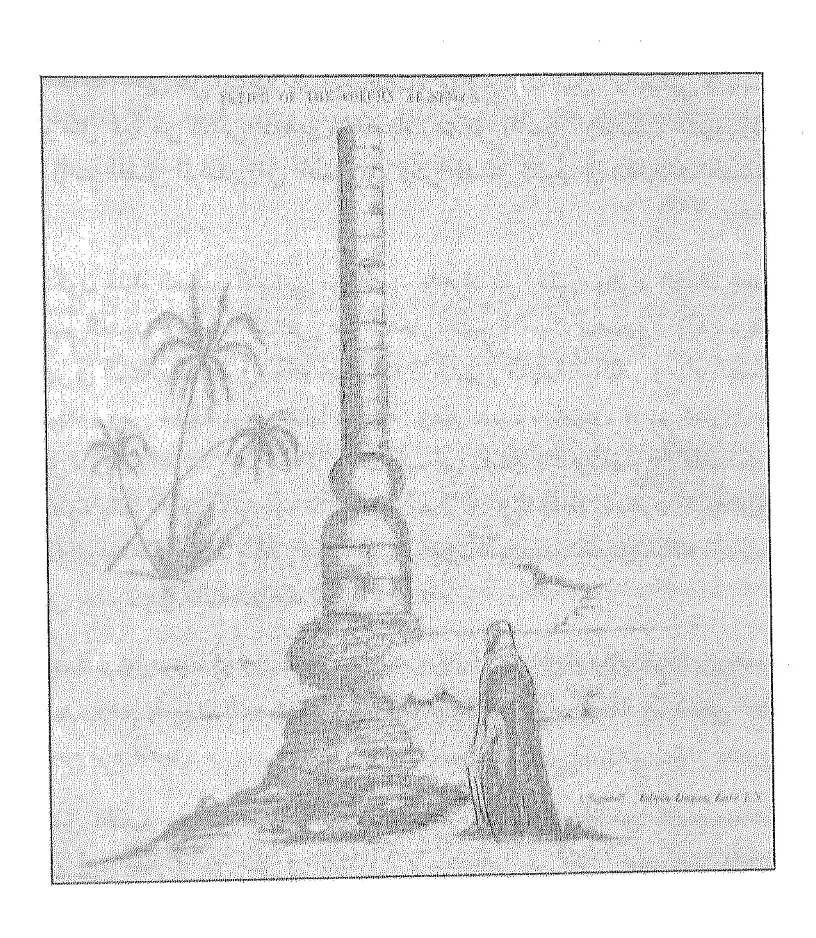
١٤٠ مايو ١٨٦٦

توقيــع

لـويس بلــي

(٣٢٧) أي الإسلام.

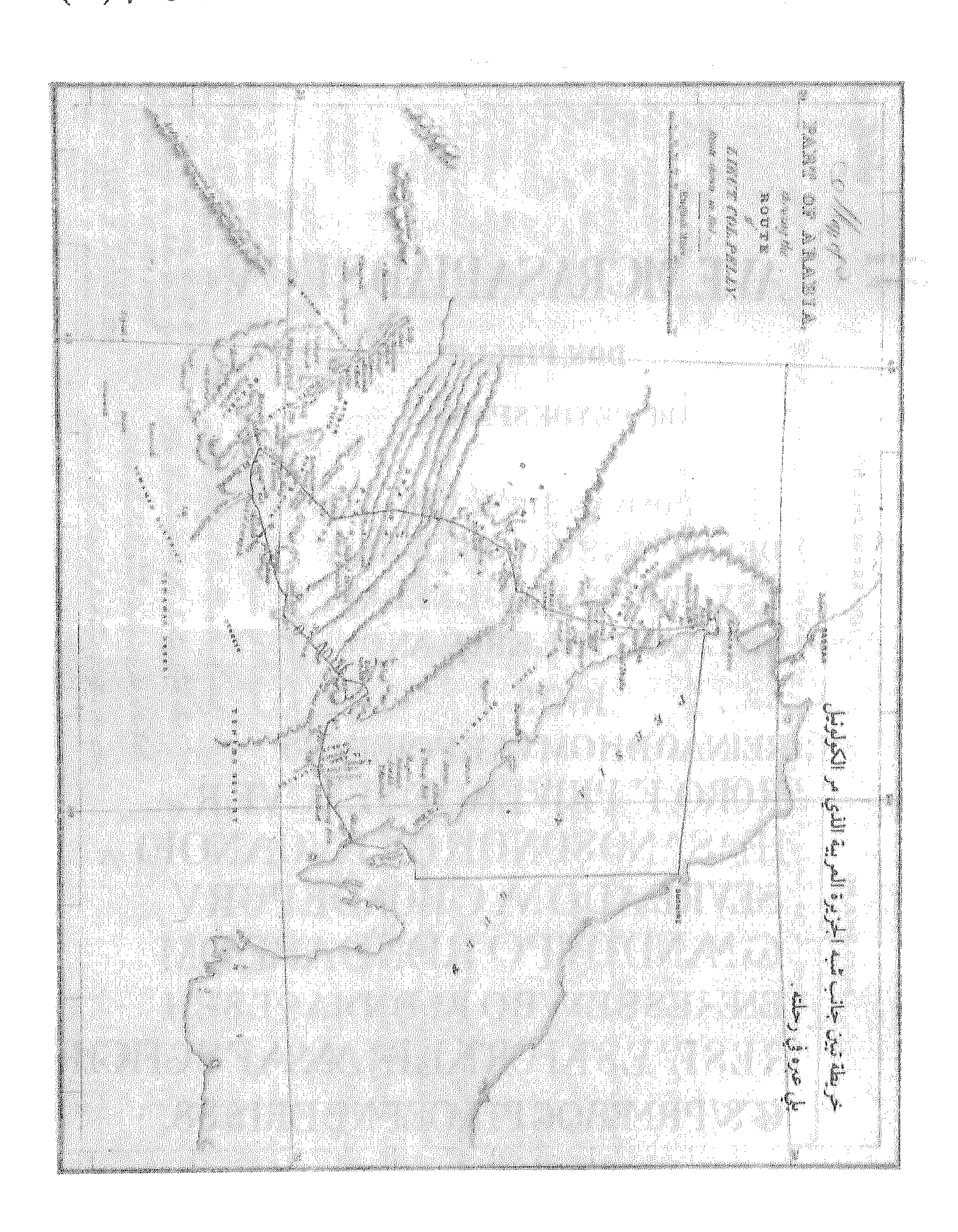
ملحق رقم (١٤)



مخطط لعمود سدوس

بريشة ديوز Dawes

ملحق رقم (١٥)


PART OF ARABIA
ROUTE
خريطة تبين جانب من الجزيرة العربية التي مر الكولونيل
بلي عبره في رحلته

ملحق رقم (١٦)

كتابات محفورة على مبان مختلفة وبنادق وغيرها في مسقط

ON THE CHAPEL

AVE MCRASAPIADSECV

ON THE BRASS GUN

DON, PHILLIP

III. REYDESPANA

DONIVAN, DE, ACVÑA
DESV, CONSECIO, DECVERA
V, S.V. CAPITAN GENERAL
DE.LAARTILLERIA ANO
1605

ON THE GATE

REINAODHOMVAEFOIEPOD
RORO.F. PRIVEROOSENCVFRe
HE.S NOSONOH OVRVOANOED
SEVREADOM GROADEPORV
GMANDOVPO RDNDAREEDM
ENEAESSEWRO R DNDIA ESEH
ESE ESTAFORALERAAAF SGFICHR
GSVPRMEROCPITROEFNDERIS 88.

ملحق رقم (١٧)

موجز ترجمة إنجليزية (ومن ثم بالعربية) للكتابات المحفورة على المباني وغيرها (في مسقط) والتي أوردها بلي في الملحق السابق

AVE M̃ CRASA PIA DS ECVM.
Ave Maria Gratia Plena Dominus Tecum

DON PHILLIP
Don Phillip
III REY DE SPANA
III Rey De Spana
DON IVAN DE ACVÑA
Don Juan De Acuña
DE SV CONSẼIO DE CVERA
Do Su Conségio De Guerra
Y SV CAPITAN GENERAL
Y Su Capitan General
DE LA ARTILLERIA ANO
De La Artilleria Ano
1605.
1605.

POED-
Poder.

RORO E PRIERO
Poso e primeiro

OVTVO ANO D.
Outavo Ano Do

SEV REINDO M CROA DE PORV-
seu reinado na Coroa De Portu-
G MANDOV POR DV DARTE M-
gal mandou por Don Duarte M-
ENEZES SEV VROR E INDIA E SE M-
eneses seu veedor da India que se fi-
ZESE ESA FORALEZ M M ES EL GE
zesse esta fortaleza na qual (fosi) elegeu
C SV PRIMERO CPITO E ANDDR 1588.
so seu primeiro Capitão e fundador 1588.

Hail Mary full of grace the Lord is with thee.

Don Philipp III
King of Spain
Don Juan De Acuña
Of His Council of War
And His Captain General
Of the Artillery in the year
1605.

in the eighth year of
his reign in the crown of Portugal
ordered through Don Duarte Meneses
His Commissioner for India that this
fortress should be built made (se fizesse) in which he
caused to be elected its first Captain & founder 1588

فليكن الله معك دون فيليب الثالث ملك أسبانيا دون جوان دي أكونا في مجلس الحرب هذا والقائد العام لسلاح المدفعية في سنة ١٦٠٥.

في العام الثامن من حكمه للبرتغال (من توليه تاج البرتغال)، أمر من خلال دون دوارت مينزر، هذه البعثة للهند، بتشييد هذه القلعة فأصبح (أي دوارت) أول قائد للقلعة، كما كان هو المؤسس ١٥٨٨.

ملحق رقم (١٨)

من اللّفتنانت كولونيل لويس بلي
المقيم السياسي لصاحبة الجلالة ملكة بريطانيا، الخليج الفارسي.

إلى الكابتن هـ. و. وارنر.
قبطان باخرة المقيمية السياسية لصاحبة الجلالة ملكة بريطانيا (برنيس).

مؤرخ في الكويت، ١٧ فبراير ١٨٦٥م

سيدي ـ لي الشرف أن أتلقى خطابك رقم ١٣ المؤرخ في الثاني والعشرين من الشهر الماضي.

إذا ما كنت مستعدا للإبحار، وسمحت الأحوال الجوية، فتفضل بمغادرة هذا الميناء إلى بوشهر يوم الأحد الموافق لليوم العشرين من الشهر الحالي. وعند الوصول إلى بوشهر، تفضل بتحويل البريد المرفق للمساعد غير المعتمد للمقيم.

أُمكث في بوشهر حتى الخامس من مارس، ثم — إذا سمحت الظروف الجوية — اتخذ طريقك إلى البحرين.

وعند الوصول إلى البحرين، أحرص على الاتصال بالعُقير في ١٤ مارس للتأكد عما إذا كانت هناك أية خطابات وصلت مني من المناطق الداخلية (ربما تكون هناك تعليمات تشير إلى تغيير في خط السير). وإذا لم يصلك مني شيء خلاف ذلك، فانتظر وصولي للبحرين. سوف أكون في العقير في الثامن عشر من مارس أو حول ذلك.

من فضلك دَبِّر واحدًا من قواربك، مع زورقين من الحجم المعقول، مما يمتلكه الأهالي، لتكون في خور العُقير في الثامن عشر من مارس، مع أوامر بانتظار وصولي. (إذا لم أصل بنفسي إلى العُقير في الثامن عشر من مارس فستجد خطابًا، وربّما بعض الخيول).

من فضلك أصدر تعليمات لمن سيكون مسؤولا عن هذه القوارب ألا يصيخ السمع لأية إشاعات تفيد أنني سأغير طريقي، مما يجعله — أي المسؤول عن القوارب ـ يغادر العُقير. وإذا ما

تلقى خطابًا مني، فإن هذا الخطاب سيشمل تعليماتي بهذا الشأن. وإذا ما اقتضت ضرورات أمن القوارب وسلامتها ألا يكون في العُقير، فعليه أن يُرسل قاربًا إليك لتلقي الأوامر والتعليمات وأن يحتفظ بالقاربين الآخرين في أقرب مكان للعُقير، تسمح به الظروف العملية.

سيذهب معك تابعي العربي (المِرْزا)، الحاج أحمد إلى بوشهر وسوف يعود معك مرة أخرى عندما تغادر بوشهر قاصدًا البحرين. ولقد زودته بتعليمات سيطلعك عليها. لكن كل الترتيبات في البحرين، ستكون تحت إشرافك وبناء على توجيهاتك.

من فضلك اسمح لِخَدمي ولأغراضي الشخصية، الذين سيصعدون للباخرة من الكويت، بالبقاء على ظهر السفينة حتى ألحق بهم عليها.

لقد طلبتُ من مساعد المقيم أن يرسل على الباخرة مؤنا من الشعير والتّبن. وبما أنه من المحتمل أن تكون خيولي في حاجة إلى علف عندما تصل إلى العُقير، فإنني سأكون ممتنًا إذا ما أرسلت جانبا من المخزون على القوارب للعقير، وسيركب إثنان من المساعدين orderlies من بوشهر، مزودين بالتعلميات لمصاحبة الأعلاف على القوارب.

وبما أنك من المشهود لهم بالكفاءة، فإنك ستستطيع الاستغناء مؤقّتًا عن خدمات الليفتنانت دَيْوز Dawes لأنه سيرافقني للداخل لجمع الملاحظات وتحديد الاتجاهات. إن الأجهزة التي تفضلت بتأمينها عن طريق طلب الشراء قد طلبت مسبقًا.

وإني متأكد أن الليفتنانت ديوز سيضع في اعتباره أن الناس الذين سنمر بهم حساسون جدا لأي تدخل في حياتهم. لذلك فهو سيستخدم أجهزته بعد الاتصال بي مباشرة فقط، وسيعتبر أي أمر متعلق بهذه الرحلة سرًّا.

إن لدى مساعد المقيم تعليمات ليحول إليك مراسلاتي بالإضافة إلى خطاب آخر خارج البريد، فمن فضلك أرسل هذا الخطاب مع القوارب للعُقير، ومن الأنسب أن تُطْلع مُساعد المُقيم على تعليماتي الحالية.

إذا ما استُدعيتَ من قِبَل مسؤولين آخرين لأداء عمل ما فأجب بإرفاق جانب من تعليماتي في رَدِّك. وأجِّل استجابتك لأي استدعاء حتى أتصل بك وتسمع مني.

أرجو التفضل بالسماح بوضع صندوق المراسلات المعدني المرفق في خزانتك حتى أتمكن من اللحاق بالباخرة التي تحت قيادتك.

وإني أرفق خطابًا لشيخ البحرين لتقديمك إليه وتعريفه بك كصديق.

لي الشرّف.

(توقيع) لويس بلي، لفتنانت كولونيل، المقيم السياسي لصاحبة الجلالة ملكة بريطانيا، الخليج الفارسي.

(نسخة طبق الأصل)

(توقيع) ج. س. أدواردز المساعد غير المُعتمد للمقيم

الخليج الفارسي

ملحق رقم (١٩)

مستخلص من خطاب تعليمات

من اللفتنانت كولونيل لويس بلي:
المقيمية السياسية لصاحبة الجلالة ملكة بريطانيا، الخليج الفارسي.

إلى و. هـ. كولقل المبجل:
الطبيب الجراح المدني - مقيمية بوشهر.

الكويت في ١٤ فبراير ١٨٦٥م

إن واجبك في هذه الرحلة سيكون هو العناية الطبية بمن هم برفقتي. وذلك إذا لم أُوجهك بنفسي توجيها خاصا.

وكل ما يتعلق بهذه الرحلة يعتبر سرًّا.

(صورة طبق الأصل)

(توقيع) جيمس س. أدواردز

المساعد غير المعتمد للمقيم، الخليج الفارسي

تعليقات عن مراجع الترجمة والتحقيق

ترجع ضرورة هذا الملحق إلى ثلاثة أسباب، أولها، أن هذا النص لرحلة بلي يتسم بالصعوبة الشديدة، فأسلوبه مُمْعِنٌ في الإيجاز، كما أنه حافل بمعارف متباينة عن الحياة النباتية، والجيولوجية والحيوانية، وعن العادات والتقاليد، وعن جغرافية المنطقة وتاريخها، مما يجعل إيراد المراجع التي استشرناها للتأكد من صحة الترجمة في كل هذه المجالات، أمرًا ضروريًّا. ثانيها: أن المترجمين، لم يكتفيا بالترجمة وإنما عمدا إلى التعليق على كثير من الأماكن والمواضع والأشخاص الذين ورد ذكرهم في الرحلة؛ ثالثها: أن دواعي الإيجاز جعلت المترجمين يشيران إلى مراجع التحقيق المعروفة باختصار في الحواشي؛ أما البيانات الببليوجرافية الكاملة فسيجدها القارىء مدرجة في هذا الملحق.

أولا: المراجع التاريخية والمراجع ذات الصلة بالدعوة الإصلاحية

المراجع التي استشرناها في تحقيق بعض الحوادث التاريخية وفي ذكر نبذة عن حياة بعض المشاهير، وتوضيح بعض العادات والتقاليد: فبالرغم من أن رحلة بلي تمت زمن الدولة السعودية الثانية، إلا أن بلي أفاض في الحديث عن الحركة الإصلاحية السلفية في نشأتها الأولى، وفي مضامينها الفكرية، كما أشار كثيرا للدولة السعودية الأولى، وكانت أهم مصادرنا لتحقيق ما ذكره والتعليق عليه تتمثل في المراجع التالية:

إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني: *علاقة ساحل عمان ببريطانيا، دراسة وثائقية*. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

ابن بشر، عثمان. *عنوان المجد في تاريخ نجد*. الرياض: وزارة المعارف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح: *عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر، وأول الرابع عشر*. مطبوع كذيل على كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر. الرياض: وزارة المعارف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

———: *تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠ إلى ١٣٤٠هـ*. الرياض، دار اليمامة، ١٩٦٦م/١٩٨٦م.

ابن غنام، حسين: *تاريخ نجد المسمى روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام*. تحقيق ناصر الدين الأسد. الرياض، د. ن. ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

أبو علية، عبدالفتاح. *الدولة السعودية الثانية* (١٢٥٦/١٣٠٩هـ/١٨٤٠-١٨٩١م). الرياض: مؤسسة الأنوار، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.

———، نظرة على رحلة لويس بلي إلى الرياض، *مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية*، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السادس، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

الأحسائي، محمد بن عبدالله آل عبدالقادر. *تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد*. الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٢م/١٤٠٣هـ

الألوسي، محمود شكري *تاريخ نجد*، نشر محمد بهجت الأثرى، ١٣٤٣هـ.

البسام، عبدالله بن عبدالرحمن. *علماء نجد خلال ستة قرون*. مكتبة النهضة الحديثة ١٣٩٨هـ.

الجاسر، حمد. *مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ*، الرياض: دار اليمامة، د. ت.

جمعة، محمد كمال. *انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية*. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

حمزة، فؤاد. في بلاد عسير. الرياض: مكتبة النصر الحديثة ١٣٨٨هـ.

الرشيد، عبدالعزيز. *تاريخ الكويت*. بيروت: دار مكتبة الحياة ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

سعيد، أمين. *تاريخ الدولة السعودية من محمد بن سعود إلى عبدالرحمن الفيصل*. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز د. ت.

السويداء، عبدالرحمن بن زيد. *نجد في الأمس القريب*. الرياض: دار العلوم، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم. *الملل والنحل*. بيروت: دار المعرفة ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف. *مشاهير علماء نجد وغيرهم*. الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٢هـ.

الشيخ، عبدالرحمن عبدالله. *دول الإسلام وحضارته في أفريقيا*. الرياض: دار اللواء ١٩٨٣م.

العبيد، عبدالرحمن، *قبيلة العوازم*، دراسة عن أصلها ومجتمعها وديارها، بيروت: ١٣٩١هـ.

العثيمين، عبدالله الصالح. *تاريخ المملكة العربية السعودية*. الرياض: ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

ـــــــــــ، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، *حياته وفكره*. الرياض: دار العلوم، ١٩٧٩م.

الفاخري، محمد بن عمر، *الأخبار النجدية*، *دارسة وتحقيق وتعليق عبدالله الشبل*، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د. ت.

لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، لمؤلف مجهول. تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ. الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، د. ت.

ثانيا: المراجع التي استشرناها للتأكد من مسميات المواضع والبلدان، والتعليق عليها

ابن بليهد، محمد بن عبدالله. *صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار*. مراجعة محمد محيي الدين عبدالحميد. القاهرة، د. ن، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، وقد استعنا أحيانا في استخدام هذا المرجع بالفهرس الذي أعده له أسعد سليمان عبده.

ابن جنيدل، سعد بن عبدالله. *المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: عالية نجد*. الرياض: دار اليمامة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

ابن خميس، عبدالله بن محمد. معجم *اليمامة*. الرياض، ١٣٩٩هـ/١٩٧٧م.

الأصفهاني، الحسن بن عبدالله. *بلاد العرب*. تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي الرياض: دار اليمامة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

بوركهارت، ج. ل. *مواد لتاريخ الوهابيين*. ترجمة عبدالله صالح العثيمين. الرياض، ١٤٠٥هـ.

بيرين، جاكلين. *اكتشاف جزيرة العرب*، ترجمة، قدري قلعجي. الرياض: الفاخرية، د. ت.

الجاسر، حمد. *المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية*، المنطقة الشرقية (البحرين قديما). الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٩هـ-١٤٠٧هـ/١٩٧٨-١٩٨٦م.

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: *شمال المملكة*. الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

عبده، أسعد سليمان. معجم *الأسماء الجغرافية المكتوبة على خرائط المملكة العربية السعودية*ـ مقاس ١ : ٥٠٠,٠٠٠ جدة: مكتبة المدني، ١٩٨٤م.

وقد اعتمدنا على هذا المرجع للتأكد من أن إسم الموضع المشار إليه ضمن المنطقة التي سلكها بلي أو يتحدث عنها، وفقا لخطوط الطول والعرض، وذلك نظرا لوجود أسماء مواضع مشابهة في مناطق أخرى من الجزيرة العربية خارج المنطقة التي زارها بلي، ونظن أن هذه المسألة تعد من أهم المزالق التي قد يتعرض لها من يترجمون لكتب الرحالة الأجانب في شبه جزيرة العرب. ومما يذكر أن عددًا من المواضع التي أشار إليها بلي لم ترد في المعجم المذكور، وعلى أية حال، فبعد التأكد من هذه المسألة (أي من وجود الموضع ضمن المنطقة التي زارها بلي أو يتحدث عنها) شرعنا في الرجوع للمراجع التالية للتحقيق والتعليق.

ثالثا: المصطلحات القانونية

وبالنسبة للمصطلحات القانونية القليلة التي وردت في النص عند إشارة بلي لبعض المعاهدات رجعنا، بالإضافة للقواميس العامة إلى:

المعجم القانوني، إنجليزي - عربي، الذي أعده حارث سليمان الفاروقي. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٠م، ويعرف المعجم أيضًا بمعجم الفاروقي.

ويجد القارىء أن الملحق رقم(١٦) الذي أورده بلي عن الكتابات المحفورة على بعض البنايات وغيرها، في مسقط، يضم كتابات باللغتين الإسبانية والبرتغالية السائدتين في القرن السادس عشر، والسابع عشر ولم يفعل المترجمان إزاء هذه النصوص سوى تصويرها، كما هي، لكن بلي عاد في الملحق رقم(١٧) فكتب هذه النقوش بخط واضح بالإسبانية والبرتغالية، ثم ترجمها للإنجليزية أو ترجمت له، وعن هذه الترجمة للإنجليزية قمنا بدورنا بالترجمة للغة العربية، بعد معاناة شديدة، لأن النص الإنجليزي لهذه الكتابات كتب بخط اليد غير الواضح، والصغيرة حروفة جدا.

رابعًا: مراجع ترجمة المصطلحات الطبية والفنية والعينات الجيولوجية

بشاى، ميلاد، المعجم الطبي الحديث. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧. وهو معجم إنجليزي عربي يتميز بإيراد الكلمات الطبية المهجورة نسبيًا كالتي استخدمها بلي. فعلى سبيل المثال استخدم بلي تعبير March Fever للدلالة على المرض الذي نعرفه اليوم باسم الملاريا وقد أورد المعجم المذكور هذا المصطلح في مادة March ولم يورده في المادة الأساسية Fever.

الخطيب، أحمد. *معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية. - إنجليزي - عربي - مكتبة لبنان، بيروت*؛ ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م. كما رجعنا في أحيان قليلة إلى معجم المصطلحات العلمية والفنية ليوسف خياط السابق الذكر. كذلك أثبتنا أيضًا المسمى الأوروبي زيادة في الفائدة والدقة.

لوريمر، ج. ج. *دليل الخليج - القسم الجغرافي*. ترجمة المكتب الثقافي لحاكم قطر. بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

الهمداني، الحسن بن أحمد. *صفة جزيرة العرب*. تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي. الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

خامسًا: مراجع ترجمة أسماء النباتات، وتحقيقها

خياط، يوسف. معجم *المصطلحات العلمية والفنية، عربي، فرنسي، إنجليزي، لاتيني*. بيروت: دار لسان العرب، د. ت. وقد ألحقه بطبعته للسان العرب لابن منظور وهو مرتب وفقا للهجائية العربية. وذلك بالإضافة إلى المعاجم العامة إنجليزي ـ عربي، أو عربية خالصة.

الشهابي، مصطفى. *معجم الشهابي، في مصطلحات العلوم الزراعية، إنجليزية. . عربية*. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٢م. وهو معجم موسع أساسه معجم الألفاظ الزراعية.

وقد عمدنا إلى انتقاء المقابل العربي الذي أقرته مجامع اللغة العربية في العالم العربي، إذا كان هناك أكثر من مقابل للنبات، وفي حالات قليلة رجعنا إلى:

عيسى، أحمد. معجم *أسماء النبات. القاهرة: المطبعة الأميرية*، ١٩٣٠م/١٣٤٩هـ. *ونظرا* لعدم الاتفاق التام على أسماء النباتات والفصائل النباتية، فقد أثبتنا الاسم اللاتيني كما هو دون تغيير، وكتبناه بالحروف العربية، والحروف اللاتينية، نظرا لأنه هو الاسم المستخدم بين الباحثين والطلاب في مجال علم النبات، لذلك رأينا إثباته كما هو إتماما للفائدة، وإن كان هذا لا يمنع من قيامنا بالبحث عن الاسم المحلي في جزيرة العرب، كلما أمكننا ذلك، وقد أثبتنا ذلك في الحواشي، معتمدين غالبًا على المراجع التالي:

فينسنت، بيتي أ. ليبسكوب. *الأزهار البرية للمنطقة الوسطى في المملكة العربية السعودية*. ترجمة جلال محسن السنوي ميلانو: (د. ن.) ١٩٧٧م/١٣٩٨هـ. وهو كتاب زاخر بالصور الجميلة التي تستحق الرجوع إليها هناك.

وهناك نبات لم نجد له أصل في المعاجم التي رجعنا إليها وهو: (Jow) وربما يكون قد حدث في الأصل خطأ مطبعي.

سادسا: مراجع ترجمة وتحقيق سلالات الخيل وأسمائها

لم يلتزم بلي بقواعد محددة عند كتابة الأسماء العربية، ولم يذكر في مقدمة كتابه ولا في أي من ملاحقه الطريقة التي استخدمها عند نقل الكلمات العربية بالحروف اللاتينية، لذلك فقد تعذر في بعض الحالات معرفة المقصود، خاصة بالنسبة لسلالات الخيل وأسمائها، وأسماء بعض البلدان والمواضع، وللتأكد من صحة فهمنا لمقصوده، رجعنا بالنسبة للخيل إلى المراجع التالية، للتأكد من صحة مقصوده، ولإضافة المزيد من المعلومات في الحواشي:

البرازي، علي. *الجواد العربي*. بيروت: دار الهدى، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

بلنت، آن. *رحلة إلى بلاد نجد*. ترجمة محمد أنعم غالب، الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٨م.

الحسين، عبدالله بن (أمير شرق الأردن) *جواب السائل عن الخيل الأصائل*، ملحق بكتاب: عقد الأجياد في الصافنات الجياد للأمير محمد بن عبدالقادر الجزائري. دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

خوری، نجيب. *الخيل وفرسانها*. لبنان: المطبعة الانطونية بعبدا، ١٣٣١هـ/١٩١٢م.

سابعًا: مراجع باللغة الإنجليزية

Bidwell, R. "Lewis Pelly 1852-1895" in: *Report on a Journey to Riyadh* in Central Arabia by Lewis Pelly. N.Y., Oleandor, reprinted from the edition of 1866.

Blunt, L. A. *A Pilgrimage :o Naid*, London, 1984.

Burchardt, John Lewis. *Notes on the Bedouins & Wahabys.* London, 1830. (?)

Cole, Donald P. *Nomads of the Nomads, The Al-Murra Bedouin of the Empty Quarter*, Harlan Davidson, Inc. 1975.

Freeth, Z. and H.V.F. Winstone: *Explorers of Arabia*, from the renaissance to the end of the victorian era. London, Allen, 1978.

Kelly, J.B. *Britain and Persian Gulf* (Oxford, Clarendon Press, 1968).

Niebuhr, M. *Travels Through Arabia and Other Countires in the East* (Edinburgh, 1792)

Palgrave, William G. *Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia.* London: MacMillan and Co. 1866.

Philby, J. B. *Arabian Highlands.* N.Y.: Cornell University Press, 1952.

Winder, R. Bayly. *Saudi Arabia in the 19th Century.* London: MacMillan, 1965.

كشاف شامل

أ

ب

ت

ذ

ر

ز

س



ن

